

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نَفْسِيَّ وَشَح

الْصَّحِيفَةُ الْبَنَجَاذِيَّةُ

آيَةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي حُسَيْنٍ أَنْصَارِهِ

الجزء الرابع

تعريب: كمال السيد

تتمّة الدعاء الرابع

في الصلاة على أتباع الأنبياء ﷺ

- [﴿١٦﴾ لَتَرُدَّهُمْ إِلَى الرَّغْبَةِ إِلَيْكَ وَالرَّهْبَةِ مِنْكَ وَتُزَهِّدَهُمْ فِي سَعَةِ الْعَاجِلِ وَتُحَبِّبَ إِلَيْهِمُ الْعَمَلَ لِلْآجِلِ وَالِاسْتِعْدَادَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ.
- ﴿١٧﴾ وَتُهَوِّنَ عَلَيْهِمْ كُلَّ كَرْبٍ يَحِلُّ بِهِمْ يَوْمَ خُرُوجِ الْأَنْفُسِ مِنْ أَجْدَانِهَا.
- ﴿١٨﴾ وَتُعَافِيَهُمْ مِمَّا تَقَعُ بِهِ الْفِتْنَةُ مِنْ مَحْذُورَاتِهَا وَكَبَّةِ النَّارِ وَطُولِ الْخُلُودِ فِيهَا.
- ﴿١٩﴾ وَتُصَيِّرُهُمْ إِلَى أَمْنٍ مِنْ مَقِيلِ الْمُتَّقِينَ].

ما بين خوف ورجاء وخشية ورهبة وأمل باللقاء يتحرك الانسان المؤمن وهو يطوي الطريق إلى الله عزوجل وهكذا تراود النفس الانسانية مخاوف وآمال ترشد حركة الانسان في طريق واضح مغمور بنور يسطع في النفوس ويشرق على القلوب فتتكشف دروب الخير المفضية إلى أفق واعد وغد مضيء .

معاني الأسماء الحسنى

الانسان وهو يتحرك نحو بلوغ مقام العبودية لله عزوجل وهو مقام رفيع يجسد ذروة ما يصل إليه العبد من درجات الكمال، عليه أن يتشرب معاني الأسماء الحسنى لله عزوجل؛ انه المقام الذي يجسد رضوان الله حيث استلهم صفاته وتشرب معانيها فأشرق أنوارها على قلبه .

١- الله جلّ جلاله

وهو الاسم الذي تنضوي تحته جميع الصفات الكمالية والمالك والرب لجميع الكائنات والمخلوقات، وهو أعظم الأسماء والمعبر عن جميع الصفات. والعبد الحقيقي يعي عظمة هذا الاسم المقدس العظيم وذلك من خلال وعي ان كلّ شيء فان والبقاء لله وحده فكلّ شيء هالك إلا وجهه سبحانه. الله هو الاله الذي يستحقّ وحده العبادة فلا إله إلا هو ولا يحق العبادة إلا له ولقد ضلّ الوثنيون عندما تصوّروا أنّ أصنامهم تستحق العبادة فاطلقوا عليها اسم «الآلهة»^(١).

فعلى الانسان أن يعبد الله وحده لا شريك له وأن يكون «عبدالله» فهذا هو موقعه في الوجود.

ولقد جسّد الرسول الأكرم ﷺ أسمى صور العبوديّة لله عزّ وجلّ فعاش حياته بسيطاً في مأكله وملبسه متواضعاً في سيرته مواصلاً طريق العبوديّة في مسيرته لا يرى في الوجود شيئاً حقيقياً إلا الله عزّ وجلّ، ولذلك أثنى على الشاعر المعمر لبّيد بن ربيعة في قوله:

١. لما ضلّ المشركون فقدّروا أن العبادة تجب للأصنام سموها آلهة واصله الالهة وهي العبادة ويقال أصله الاله، يقال أله الرجل يأله إليه أي فزع إليه من أمر نزل به وأله أي أجاره ومثاله من الكلام الامام فاجتمعت همزتان في كلمة كثر استعمالهم لها واستثقلوها، فحذفوا الاصلية، لأنهم وجدوا فيما بقي دلالة عليها فاجتمعت لآمان أولاهما ساكنة فأدغموها في الاخرى فصارت لاماً مثقلة في قولك «الله». الشيخ الصدوق، التوحيد: ١/١٦٩ - ١٩٦ - المترجم.

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ.^(١)

يا من يرى ما في الضمير ويسمع	أنت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها	يا من إليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن ملكه في قول كن	امنن فإن الخير عندك أجمع
ما لي سوى فقري إليك وسيلة	بالافتقار إليك فقري أرفع
ما لي سوى قرعي لبابك حيلة	ولئن رددت فأني باب أقرع
ومن الذي أدعو وأهتف باسمه	إن كان فضلك عن فقير يمنع
حاشا لمجدك إن تقنط عاصيا	والفضل أجزل و المواهب أوسع

٢ و ٣ - الواحد الأحد

الله سبحانه واحد أحد فرد ليس مؤلفاً من أجزاء وليس له أعضاء .
الواحد الأحد معناه أنه واحد في ذاته ليس بذي أبعاد ولا أجزاء ولا أعضاء
ولا يجوز عليه الاختلاف لأن اختلاف الأشياء من آيات وحدانيته ومما دلّ به
على نفسه ويقال لم يزل الله واحداً، ومعنى ثان، انه واحد لا نظير له فلا يشاركه
في معنى الوحدانية غيره، لأن كلّ من كان له نظراء وأشباه لم يكن واحداً في
الحقيقة .

ويقال: فلان واحد الناس أي لا نظير له فيما يوصف به .

١ . لبيد بن ربيعة ، الشاعر المعمر الذي زادته تجارب الحياة حكمة وله أشعار كثيرة يصف فيها الحياة وأنها مجرد سراب وخيالات ، عاش زهاء قرنين من الزمن كما يقال .
أدرك النبي ﷺ وآمن به وتوقف عن قول الشعر احتراماً للقرآن الكريم - المترجم

والله واحد لا من عدد، لأنّه عزّ وجلّ لا يعد في الأجناس ولكنه واحد ليس له نظير.

وقال بعض الحكماء في الواحد والأحد إنّما قيل الواحد لأنّه متوحّد والأوّل لا ثاني معه ثمّ ابتدع الخلق كلّهم محتاجاً بعضهم إلى بعض.

والواحد من العدد في الحساب ليس قبله شيء بل هو قبل كلّ عدد.

والواحد كيفما أدرته أو جزأته لم يزد عليه شيء ولم ينقص منه شيء.

تقول: «واحد في واحد واحد» فلم يزد عليه شيء ولم يتغيّر اللفظ عن الواحد، فدلّ على أنّه لا شيء قبله وإذا دلّ على انه لا شيء قبله دلّ على أنّه محدث الشيء.

وإذا كان هو محدث الشيء دلّ أنّه مفني الشيء وإذا كان هو مفني الشيء دلّ أنّه لا شيء بعده.

فاذا لم يكن قبله شيء ولا بعده شيء، فهو المتوحّد بالأزل فلذلك قيل واحد أحد.^(١)

١. الشيخ الصدوق، التوحيد: ١٩٥/١ ويضيف الشيخ الصدوق رضوان الله عليه قائلاً: «وفي الأحد خصوصيّة ليست في الواحد، تقول: ليس في الدار واحد، يجوز أن يكون واحداً من الدواب أو الطير أو الوحش أو الانس لا يكون في الدار وكان الواحد بعض الناس وغير الناس.

وإذا قلت: ليس في الدار أحد، فهو مخصوص بالآدميين دون سائرهم. والأحد ممتنع من الدخول في الضرب والعدد والقسمة وفي شيء من الحساب وهو متفرّد بالأحديّة والواحد منقاد للعدد والقسمة وغيرهما داخل في الحساب، تقول: واحد، اثنان وثلاثة فهذا العدد والواحد علّة العدد وهو خارج من العدد وليس بعدد تقول: واحد في

وهو الموجود من الأزل والباقي إلى الأبد، وهو المتوحد بالأزل والمتفرد بالوحدة والأحديّة.

وهو الباقي بعد فناء الأشياء.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾^(١).

وهو الباقي بعد هلاك كلّ شيء في الوجود وبعد زوال الوجود وفنائه.

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(٢).

فالذين يتشرّبون معاني الصفات الالهية في الأحديّة والأزليّة والأبديّة يكتسبون صبغة الله عزّ وجلّ التي تتألق على عباده المتقين.

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾^(٣).

إنّ التوحيد والحقيقة والإيمان والفضيلة والكرامة هي صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة، أجل هي لونه عزّ وجلّ المتفرد الذي لا يضاهيه لون.

يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام في دعائه المعروف بـ «دعاء كميل»:

وَاجْعَلْنِي مِنْ أَحْسَنِ عِبِيدِكَ نَصِيباً عِنْدَكَ، وَأَقْرَبِهِمْ مَنْزِلَةً مِنْكَ وَأَخْصِهِمْ زُلْفَةً لَدَيْكَ.^(٤)

➤ اثنين أو ثلاثة فما فوقها فهذا الضرب، وتقول: واحد بين اثنين أو ثلاثة، لكل واحد من الاثنين نصف ومن الثلاثة ثلث، فهذه القسمة.

والأحد ممتنع في هذه كلّها، لا يقال أحد واثنان ولا أحد في أحد ولا واحد في أحد ولا

يقال أحد بين اثنين - المترجم. ١. سورة الرحمن (٥٥): ٢٦.

٢. سورة القصص (٢٨): ٨٨. ٣. سورة البقرة (٢): ١٣٨.

٤. مصباح التهجد: ٨٤٩؛ المصباح، للكفعمي: ٥٥٩، دعاء كميل.

٤ - الصمد

الله الصمد الذي هو السيّد والمطاع والمقصود في الحاجات وقاضيهام فهو المصمود إليه في الحوائج وهو الذي ليس بجسم ولا جوف، والصمد هو الذي أراد شيئاً قال له كن فيكون والصمد هو الذي أبدع الأشياء فخلقها أضداداً وأشكالاً وأزواجاً وتفرّد بالوحدة بلا ضدّ ولا شكل ولا مثل ولا ندّ، وهو الغني بذاته الذي لم يلد ولم يولد ولا يوجد له كفؤ.

يقصده عباده في حوائجهم فيعطيهام ويغمرهم بنعمه التي لا تحصى.

فهو الله الصمد الذي لا من شيء ولا في شيء ولا على شيء؛ مبدع الأشياء وخالقها ومنشئ الأشياء بقدرته يتلاشى ما خلق للفناء بمشيئته ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه.

الله الصمد الذي يسأله عباده فيجيبهم بلطفه ويرزقهم برحمته.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: مَنْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؟
قَالَ: أَنْفَعُ النَّاسِ لِلنَّاسِ. ^(١)

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: خَيْرُ النَّاسِ مَنْ انْتَفَعَ بِهِ النَّاسُ. ^(٢)

الله حيّ قديم قادر صمد وليس يشركه في ملكه أحد

١. سفينة البحار: ٦٠٥/٢؛ الكافي: ١٦٤/٢؛ مستدرک الوسائل: ٣٩٠/١٢.

٢. سفينة البحار: ٦٠٥/٢؛ مستدرک الوسائل: ٣٨٨/١٢؛ بحار الأنوار: ٢٣/٧٢.

٥ و٦ - الأوّل والآخر

هو الأوّل والآخر، يعني أنّه الأوّل بغير ابتداء والآخر بغير انتهاء .
وهو الأوّل بلا أوليّة له والآخر بلا آخريّة له، إليه يعود الخلق ويرجع إليه العباد
وهو المبدئ المعيد .

وبالنسبة إلى منازل السلوك هو الأوّل بمعنى أنّه أساس منزل السالك العارف
الذي عرفه ببصيرته فلا يرى غير المحبوب محرّكاً للانسان نحو اكتشاف الحقائق
والسير في طريق التكامل وبلوغ المنازل .

وهو الآخر بمعنى انه آخر مراحل السلوك وآخر المنازل وهو منزل الوصال
وبلوغ القرب من المحبوب وهي آخر درجة يبلغها العارف حيث يدرك أنّ الله
عزّوجلّ هو الأوّل والآخر في جميع شؤونه وأموره وحالاته .

يا ربّ إن عظمت ذنوبي كثرة	فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلّا محسن	فمن ذا الذي يدعو ويرجو المجرم
أدعوك ربّ كما أمرت تضرّعاً	فاذا رددت يدي فمن ذا يرحم
مالي إليك وسيلة إلّا الرجا	وجميل عفوك ثمّ إنني مسلم
يا من عليه توكلّي وكفايتي	اغفر لي الزلات إنني آثم

٧ - السميع

الله السميع ومعناه اذا وجد المسموع كان له سامعاً وهو سميع الدعاء بمعنى
المجيب .

سبحانك يا الهي تسمع جميع الأصوات ، تسمع صوت ديبب النمل في الفلوات .
سبحانك تسمع أنفاس الحيتان في قعور البحار .
سبحانك سبّحت في الأعلى وتسمع وترى ما تحت الثرى .
سبحانك وأنت أقرب إلى الانسان من حبل الوريد تسمع نواياه وتسمع أفكاره .
يا سامع الدعاء ويا رافع السماء ويا دائم البقاء ويا واسع العطاء
يا سامع كلّ نجوى يا الله يا سامع الصوت يا محيي العظام بعد الموت .
تفتح أبواب السماء ودونها إذا قرع الأبواب منهم قارع
إذا وردت لم يردّ الله وفدها على أهلها والله راء وسامع
وإني لأرجو الله حتّى كأنّما أرى بجميل الظنّ ما الله صانع
ولو اصغى الانسان إلى نداء الحق ينطلق من بين آيات القرآن ولو ارهف سمعه
إلى دعوة الأنبياء والرسل والأئمّة والأولياء وهي دعوة السماء لتشرّب من اسم
«السميع» ولأصاب حظاً وافراً منه .
اللهمّ أنا نحمدك ونشكرك أن وهبتنا نعمة السمع لنصغي إلى صوت الحق
ونستجيب إلى نداء الحقيقة .
المتّقون هم من أوقفوا أسماعهم على سماع الحقائق واستلهاها .
يقول الامام أميرالمؤمنين (عليه السلام) :
وَقَفُّوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ^(١)

١ . نهج البلاغة: الخطبة ١٨٤ ، خطبة همام . وفيها يصف (عليه السلام) حالات المتّقين ، وكان أحد

لا تخفى عليه سبحانه المسموعات بغير حواس ولا آلات.

٨ - البصير

الله البصير الذي لا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء والبصير بمعنى إذا كانت المبصرات كان لها مبصراً وهو سبحانه بصير لذاته أي انه مدركاً.

فهو سبحانه البصير إذ لا منظور إليه من خلقه وبصير لا يوصف بالحاسة.

ولذا فإنّ الانسان إذا أبصر ما حوله من الآيات في الآفاق من عجائب السماوات والأرض لأدرك حقائق الوجود وبلغ حقيقة التوحيد وتشرب حقيقة البصير.

فانتهى عن ارتكاب الذنب لأنّه في حضرة ربّ بصير لا يغيب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

٩ و ١٠ - القدير، القاهر

الله سبحانه القدير والقاهر ومعناهما أنّ الأشياء لا تطيق الامتناع منه وممّا يريد الانفاذ فيها، فهو القادر القدير المطلق والقاهر المطلق.

والقادر من يصح منه الفعل، إذا لم يكن في حكم الممنوع والقهر والغلبة والقدرة.

فهو سبحانه قدير قادر مقتدر وقدرته على ما لم يوجد واقتداره على ايجاده

➡ أصحابه ويدعى «همام» قد طلب منه ﷺ أن يصف له المتقين فلما انتهى ﷺ صعد همام وفارق الحياة لشدة تأثره - المترجم .

هو قهره وملكه له فهو مالك يوم الدين .

وهو القاهر بمعنى أنّ الأشياء لا تطيق الامتناع منه ومما يريد انفاذه فيها ولم يزل مقتدراً عليها ولم تكن موجودة وقد جاء في دعاء كميل قوله أمير المؤمنين عليه السلام:

وَبِقُوَّتِكَ الَّتِي قَهَرْتَ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ^(١)

ولو أنّ العبد استخدم قدرته في العبادة وخدمة الخلق ولم يستعمل قوّته إلا في عمل الخير وقهر شهواته وغرائزه الحيوانية وغلب أهواءه النفسية ولم يستسلم أمام دعوات الشيطان وهمزاته لتشرّب معنى القدير القادر والقاهر ولتحقق معناه في وجوده .

١١ و ١٢ - العلي الأعلى

الله عزّ وجلّ العلي الأعلى ومعناه القاهر فالله ذو العلي والعلاء والتعالي أي ذو القدرة والقهر والافتدّار .

يقال علا الملك علوّاً ويقال لكلّ شيء قد علا يعلو علوّاً وعلي يعلو علاء .
وفلان من عليّة القوم وهو اسم ومعناه الارتفاع والصعود والهبوط عن الله تبارك وتعالى منفي .

فهو العليّ الأعلى تبارك وتعالى عن الأشباه والأنداد وعمّا خاضت فيه وساوس وتصورات الجهّال وترامت إليه أفكار الضلال فهو علي متعال عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً .

١ . مفاتيح الجنان: دعاء كميل .

وَأَمَّا الْأَعْلَى فَمَعْنَاهُ الْعَلِيِّ وَالْقَاهِرُ وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ لِمُوسَى: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ أَيُّ الْقَاهِرِ وَقَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ: فِي تَحْرِيطِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ:

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ وَقَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنْ فِرْعَوْنُ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾.

تبارك الله ربنا وتعالى المتعال عن الاشباه والانداد وعمّا يشرك المشركون.

١٣ - الباقي

الله سبحانه الباقي بعد فناء كلّ شيء ومعناه الكائن بغير حدث ولا فناء، والبقاء ضدّ الفناء، فكلّ من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام، فهو سبحانه الأزلي في قدمه الأبدي في بقاءه فلا أوّل كان قبله ولا آخر يكون بعده وهو الأوّل والآخر وهو سبحانه الباقي بعد فناء الأشياء.

والعبد إذا انقاد بالتسليم إليه ووعى معنى الباقي يلج عالم الأبدية والاقامة في النعيم الدائم.

١٤ - البديع

الله تبارك وتعالى بديع السماوات والأرض، بمعنى المبدع للبدائع والمحدث للأشياء على غير مثال واحتذاء.

والبديع الشيء الذي يكون أوّلاً في كلّ أمر، فهو سبحانه البديع المطلق.

١٥- البارئ

الله تبارك وتعالى بارئ الخلائق أجمعين بارئ البرايا أي خالق الخلائق، وبرأهم أي خلقهم والبرية الخليفة، خلق الله عز وجل الخلق وبرأهم من البرية والتراب فهو البارئ لهم والخالق.

ولو ان العبد طهر قلبه وجلاله وتحلى بأخلاق الله عز وجل وقهر هواه لبلغ مقام القرب ولبلغ مرحلة يصبح فيها قادراً على الخلق باذن الله تعالى الخالق البارئ ولتحكم في مفردات الكون والوجود وآتاه الله الملك الذي آتاه سبحانه إبراهيم الخليل والسيّد المسيح عيسى بن مريم الذي أرسله الله إلى بني إسرائيل بالمعجزات:

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ١١﴾.

١٦- الأكرم

والله المتعال الأكرم بمعنى الكريم الذي لا نهاية لكرمه، قد غمر الوجود بنعمه. والعبد إذا وعى معنى هذا الاسم وتخلّق به فقد تحلّى بصفته واصطبغ بصبغة الله ومن أحسن صبغة من الله.

١٧ و ١٨ - الظاهر والباطن

الله سبحانه الظاهر بآياته التي أظهرها من شواهد قدرته، وآثار حكمته وبيانات حجته التي عجز الخلق جميعاً عن ابداع أصغرها وإنشاء أيسرها وأحقرها لديهم. فهم أعجز عن خلق ذبابه أو بعوضة ولو اجتمعوا لذلك ما أمكنهم فليس شيء من خلقه إلا وهو شاهد له على وحدانيته من جميع جهاته، وأعرض سبحانه وتعالى عن وصف ذاته، فهو ظاهر بآياته وشواهد قدرته، محتجب بذاته.

وهو تبارك وتعالى الظاهر الغالب القادر على ما يشاء؛ وهو عز وجل الباطن، قد بطن عن الأوهام فهو باطن بلا احاطة لا يحيط به محيط ولأنه قدم الفكر فخبث عنه وسبق المعلوم فلم يحط به وفات الأوهام فلم تكتننه، وحارت عنه الأبصار فلم تدركه.

فهو باطن كل باطن ومحتجب كل محتجب، بطن بالذات وظهر وعلا بالآيات، فهو الباطن بلا حجاب، والظاهر بلا اقتراب وهو باطن كل شيء أي خبير بصير بما يسرون وما يعلنون، وبكل ما ذراً وبرأ.

وهو العالم بسرائرهم سبحانه وتعالى الظاهر والباطن، الذي له من الظهور ما ليس لغيره.

يقول الامام الحسين (عليه السلام) في دعائه بعرفات:

أَيُّكُونُ لِيْغَيْرِكَ مِنَ الظُّهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُظْهَرُ لَكَ؟ مَتَى غِبْتَ حَتَّى تَحْتَاجَ إِلَى دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ؟ وَمَتَى بَعُدْتَ حَتَّى تَكُونَ الْآثَارُ هِيَ السَّبِيلُ تُوَصِّلُ إِلَيْكَ. (١)

١. بحار الأنوار: ٢٢٦/٩٥، دعاء عرفة.

أجل هو سبحانه الظاهر الذي ليس لأحد من الظهور ماله وكل ما في الوجود يهتف بظهوره، ظهور عظيم ممتد من الأزل إلى الأبد.

من أجل ذلك يهتف الانسان الكامل الذي يعي أسماء الله الحسنی قائلاً:

عَمِيَّتْ عَيْنٌ لَا تَرَكَ عَلَيْهَا رَقِيْبًا^(١)

وبعد أن تظهر الآثار الأخلاقية والایمانیة والسلوكیة على الانسان فانه يصبح قدوة لغيره في مضمار المكارم والفضائل.

١٩ - الحيّ

الله لا إله إلاّ الحيّ القيّوم، انه سبحانه الحيّ ومعنى ذلك انه الفعّال المدبّر وهو حيّ لنفسه، لا يجوز عليه الموت والفناء، وليس يحتاج إلى حياة بها يحيا. فاذا أدرك العبد مفهوم هذا الاسم بالعلم والمعرفة فقد أحيا عقله واكتسب حياة العلم وتشرب قلبه وباطنه بالحالات الالهية والاحساسات الملكوتية ونجا من الموت وبلغ الحياة الطيبة بالایمان والعمل الصالح، وسطع اسم الحيّ بأنواره ومعانيه على باطنه وظاهره.

٢٠ - الحكيم

والله هو الحكيم ومعناه انه عالم؛ والحكمة في اللغة العلم ومن ذلك قوله سبحانه العزيز الحكيم: «يؤتي الحكمة من يشاء» وهو سبحانه الحكيم أي انه محكم وأفعاله محكمة متقنة من الفساد.

١. بحار الأنوار: ٢٢٦/٩٥، دعاء عرفة.

يقال قد حكّمته وأحكّمته، وحكمة اللجام سميت بذلك لأنّها تمنع لأنّها تمنعه (الجواد) من الجري الشديد وهي ما احاطت بحنكه .
ويتلقى العبد المؤمن معنى هذا الاسم فيسطع نوره على قلبه فيتولّد أثر ذلك الخشية منه سبحانه وتنمو حالة التقوى في داخله، ويتصرّف بحكمة .

٢١ - العليم

الله عزّ وجلّ العليم العالم ومعنى العليم انه عليم بنفسه عالم بالسرائر مطلع على الضمائر، لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرّة، عليم بالأشياء قبل حدوثها، وبعدها ما أحدثها، سرّها وعلايّتها، ظاهرها وباطنها .
وفي علمه عزّ وجلّ بالأشياء على خلاف علم الخلق، دليل على انه تبارك وتعالى بخلافهم في جميع معانيهم .
والله عالم لذاته والعالم من يصح منه الفعل المحكم المتقن فلا يقال انه يعلم الأشياء بعلم، كما لا يثبت معه قديم غيره بل يقال انه ذات عالمة، وهكذا يقال في جميع صفاته ذاته .

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَآسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ٥٩﴾^(١)

فاذا انبرى العبد لحرب الجهل وانطلق إلى ميدان العلم والمعرفة ووعى المبدأ وعرف الأنبياء والأوصياء وأصغى إلى القرآن واطلع على الحلال والحرام وعرف

طريق الحياة الذي يفضي إلى التكامل هنالك يفيض عليه الاسم المقدس بنور العلم والمعرفة فيتخلق بأخلاق المحبوب العليم علّام الغيوب.

٢٢ - الحليم

والله عزّ وجلّ هو الحليم ومعنى الحليم انه حليم عمّن عصاه لا يعجل على من عصاه بعقوبته، بل يمهله ويفتح له باب التوبة والعودة.

وعلى الانسان المؤمن أن يكون حليماً في مواجهة أذى الآخرين فقد تصدر عن أبنائه وزوجه وأقاربه اساءة فقابل ذلك بالحلم والصبر فقد يرعون المسيء وقد ينّبّه المخطئ، لذا على المؤمن أن يبقي على جسور الأخوة مع غيره ويبقى على النوافذ مفتوحة أمام الآخر.

فاذا فعل الانسان ذلك واكتسب صفة الحلم بالتمرين سطع هذا الاسم المقدس في أعماقه وأصبح وسيلته في القرب الالهي وقد جاء في الأثر: إذا لم تكن حليماً فتحلم.

٢٣ - الحفيظ

الله عزّ وجلّ الحفيظ الحافظ ومعناه يحفظ الأشياء، ويصرف عنها البلاء، ولا يوصف بالحفظ على معنى العلم، لأننا نوصف بحفظ القرآن والعلوم على المجاز والمراد بذلك إنّا علمناه لم يذهب عنا، كما إذا حفظنا الشيء لم يذهب عنا.

الله عزّ وجلّ حفيظ حافظ قد حفظ السماوات والأرض ومليارات النجوم في هذا الفضاء اللانهائي وهو سبحانه حافظ البحار والمحيطات وكلّ الكائنات من

الذرات الدقيقة إلى المجرات الهائلة فإذا حفظ العبد المؤمن أفعاله وأخلاقه وعقائده وصانها من الاخطار باستمداد العون من الحافظ الحفيظ الجبار تحقق هذا الاسم المقدس وأضاء في وجوده وتأهل للسعادة في الدنيا والآخرة.

٢٤- الحق

الله تبارك وتعالى الحق ومعناه المحق ويوصف به عز وجل توسعاً والحق بمعنى آخر هو أن عبادة الله هي الحق وعبادة غيره هي الباطل ويؤيد ذلك قوله سبحانه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾^(١).

أي يبطل ويذهب ولا يملك لأحد ثواباً ولا عقاباً. وبالحق قامت السماوات والأرض وقام الوجود كله وغيره سبحانه هو الباطل. «أكل شيء ما خلا الله باطل».

الله هو الحق والعدل المحض وهو مصدر الوجود وهو الحاكم والقاهر فوق عباده بيده مقاليد السماوات والأرض.

فالممتنع بالذات مطلقاً باطل، والواجب بالذات مطلقاً حق، والممكن بالذات هو واجب بالغير مثل كل الكائنات فهي من جهة حق ومن جهة أخرى باطل. فهو سبحانه الحق أزلاً وأبداً وغيره بالذات باطل.

فكل حقيقة منشأها هو وحق الحقائق هو: فإذا أدرك العبد أنه هالك ووجوده باطل ولم ير لغير الله وجوداً، حينئذ يرسد إلى مسار الخير والحق والكمال.

١. سورة الحج (٢٢): ٦٢.

والذي يرى لنفسه وجوداً قائماً فإنه يقع في شرك وفخ الانانيّة التي هي أساس الأمراض النفسيّة.

٢٥ - الحسيب

الله سبحانه الحسيب ومعناه المحصي لكلّ شيء، العالم به، لا يخفى عليه شيء. وأنه عزّ وجلّ الحسيب أي المحاسب لعباده يحاسبهم بأعمالهم ويجازيهم عليها.

أنه تبارك وتعالى الحسيب أي أنه الكافي والله حسبي وحسبك أي كافينا، وأحسبني هذا الشيء أي كفاني وأحسبته أي أعطيته حتّى قال: حسبي. ومنه قوله عزّ وجلّ:

﴿جَزَاءٌ مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَاباً﴾^(١).

أي كافياً.

فاذا تشرّب العبد معنى هذا الاسم المقدّس ووعاه فإنه يشرق في أعماقه ويحفظه الله ويكفيه أموره، فيكون همّه الآخرة والشوق إلى لقاء الله.

٢٦ - الحميد

الله سبحانه هو الحميد ومعناه المحمود، حامداً لذاته أزلاً وأبداً محمود من لدن عباده على نعمه وعلى غير نعمه، وإذا وعى العبد هذا الاسم المقدّس وتشرّب معناه كان محموداً على سيرته وعقيدته مقتدياً بعبد الله محمد ﷺ وسائر الأنبياء

١. سورة نبا (٧٨): ٣٦.

والأوصياء وعباد الله الصالحين .

٢٧ - الحفي

الله سبحانه الحفي ومعناه العالم ، ومنه قوله عز وجل :

﴿ يَسْأَلُونَكَ كَاتِبًا حَفِيٍّ عَنْهَا ﴾ . (١)

أي يسألون رسول الله ﷺ عن الساعة كأنه عالم بوقت مجيئها وزمان حلولها .
والله الحفي أي انه اللطيف ؛ والحفاية مصدر الحفي ، اللطيف المحتفي بك ببرك
وبلطفك .

٢٨ - الرب

الله سبحانه ربنا ورب آبائنا ورب العالمين . ومعنى الرب المالك وكل من ملك
شيئاً فهو ربه ، ومنه قوله عز وجل : « ارجع إلى ربك » أي إلى سيّدك ومليكك .
وفي معركة حنين قال أحد الذين أسلموا من أهل مكّة يوم الفتح : « لأن يربني
رجل من قريش أحب إليّ من أن يربني رجل من هوازن » .
يقصد أن يملكني ويصير لي ربّاً ومالكاً ولا يقال لمخلوق : « الرب » بالألف
واللام ، لأن الألف واللام دالتان على العموم ، وإثما يقال للمخلوق « ربّ كذا »
فيعرف بالاضافة لأنّه لا يملك غيره فينسب إلى ما يملكه .
والربانيون نسبوا إلى « التّأله » والعبادة للرب تبارك وتعالى في معنى الربوبيّة
له ، والربيّون الذين صبروا مع الأنبياء ﷺ في جهادهم .

١ . سورة الأعراف (٧) : ١٨٧ .

٢٩ و ٣٠ - الرحمن الرحيم

الله عزّوجلّ هو الرحمن الرحيم، ومعنى الرحمن الواسع الرحمة على عباده،
يعمّهم بالرزق والانعام عليهم ويغمرهم بالنعمة.

والرحمن من أسماء الله تبارك وتعالى في الكتب لا سميّ له فيه.

ويقال للرجل رحيم القلب، ولا يقال الرحمن، لأنّ الرحمن يقدر على كشف
البلوى ولا يقدر الرحيم من خلقه على ذلك.

وقد جوّز بعضهم أن يقال للرجل رحمان، وأرادوا به الغاية في الرحمة وهذا
خطأ.

والرحمن هو لجميع العالم والرحيم بالمؤمنين خاصّة، لأن معنى الرحيم انه
رحيم بالمؤمنين، يخصّهم برحمته في عاقبة أمرهم كما قال عزّوجلّ: ﴿وَكَانَ
بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

والرحمن والرحيم اسمان مشتقان من الرحمة، ومعنى الرحمة النعمة والراحم
هو المنعم كما قال سبحانه مخاطباً رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً
لِّلْعَالَمِينَ﴾ يعني أنّ الله أرسله نعمة عليهم.

ويقال للقرآن الكريم، هدىّ ورحمة، وللغيث والمطر رحمة، يعني نعمة،
وليس معنى الرحمة، لأنّ الرقة عن الله منفية وإنّما سميّ رقيق القلب من الناس
رحيماً، لكثرة ما توجد الرحمة منه ويقال: ما أقرب رحم فلان، إذا كان ذا مرحمة
وبرّ والمرحمة تعني الرحمة، ويقال: رحمته مرحمة ورحمة.

٣١- الذارئ

الله سبحانه هو الذاري، ومعنى الذارئ الخالق، يقال:

ذَرَأَ اللهُ الْخَلْقَ وَبَرَأَهُمْ، أَيْ خَلَقَهُمْ.^(١)

ويقال: ان اسم الذرية مشتق من الذارئ، إذ أنهم ذهبوا إلى أنها خلق الله عز وجل خلقها من الرجل.

وأكثر العرب حذفوا الهمزة من «الذارئ» لكثرة ترددها في أفواههم، كما حذفوا همزة «بري» وأمثال ذلك.

ويذهب البعض إلى ان هذا الاسم جاء من فعل «ذروت» أو «ذريت» معاً أي أنه قد كثرتهم وبثهم في الأرض بئاً كما قال عز وجل:

﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾.^(٢)

٣٢- الرزاق

الله سبحانه هو الرزاق ومعناه أنه عز وجل يرزق عباده برّهم وفاجرهم «رزقا» بفتح الراء، رواية من العرب.

فهو سبحانه يرزق الكائنات جميعاً، والرزق نوعان: رزق ظاهري مادي للأبدان، ورزق باطني معنوي للقلوب.

والانسان المؤمن يتشرب هذا الاسم فتسطع في داخله أنوار معانيه ويكون

١. التوحيد: ٢٠٣؛ بحار الأنوار: ٤ / ١٩٤.

٢. سورة النساء (٤): ١.

سبباً في وصول رزق الله عز وجل إلى بعض عباده .

وقد جاء في الحديث الشريف :

أَيُّدِي الْعِبَادِ خَزَائِنُ الْمَلِكِ الْجَوَادِ.^(١)

٣٣ - الرقيب

الله تبارك وتعالى هو «الرقيب» ومعنى الرقيب الحافظ ، ورقيب القوم حارسهم .

ووعي وإدراك هذا الاسم المقدس يكون في استحضار هذا المعنى في النفس في أن الله عز وجل هو الحافظ .

وقد جاء في الدعاء عن أمير المؤمنين عليه السلام :

وَكُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيَّ مِنْ وَرَائِهِمْ.^(٢)

فعلى الإنسان المؤمن أن يعي أن الله عز وجل هو من يحفظه من وساوس الشيطان ، وهو سبحانه من يلهمه التوجه إليه .

فمن استحضر هذا المعنى في نفسه كان في مأمن من كيد الشيطان وَاغْوَاةِ فيسده عليه منافذه ومجاريه .

يقول أحد العرفاء :

في ضوء ما أدركه أنا الإنسان الضعيف من «العقل» و «النقل» هو أن أهم

١ . فيض القدير : ٧٠٩ / ٣ .

٢ . إقبال الأعمال : ٧٠٩ ؛ مصباح المتهجد : ٨٤٩ ، دعاء آخر و هو دعاء الخضر عليه السلام ، دعاء كميل .

الأشياء لطالب القرب، الجدّ والسعي التام في ترك المعصية، فما لم تقم بهذه الخدمة فلا ذكر ولا فكرك ينفع في أحوال قلبك، ذلك أنّ الخدمة في ركاب السلطان لا تكون في الإنكار والعصيان؛ إذ لا فائدة من ذلك.

اذن أيها العزيز! فلأن هذا الكريم الرحيم، جعل لسانك خزانة جبل النور، أي جعله محلاً لذكر اسمه الشريف، فانه من المخجل أن تلوث خزانة السلطان بالنجاسة والقاذورات من الغيبة والكذب والفحش والأذى وغيرها من المعاصي. ان خزانة السلطان يكون محلّها مملوءاً بالعطر والطيب والشذى لا أن يكون محلّها نجساً مملوءاً بالقاذورات.

ولا شك أن التساهل في المراقبة هو الذي يجعل الانسان لا يدري ماذا يصدر من جوارحه السبعة يعني الأذن واللسان والعين واليد والرجل والبطن والفرج من المعاصي ولا يدري ما يضره من النيران وما يسعى فيه من الفساد في الدين، وما يجرح به القلب بسيف لسانه وسنانه فاذا لم يقتل به نفسه فهذا جيّد جداً^(١).

٣٤- الرؤوف

الله سبحانه «الرؤوف» بعباده ومعنى الرؤوف الرحيم، والرأفة هي الرحمة.

٣٥- الرائي

ومعنى هذا الاسم المقدّس «الرائي» العالم، والرؤية العلم، و«الرائي» يعني المبصر ومعنى الرؤية الإبصار، ويجوز في معنى العلم لم يزل رائيّاً، ولا يجوز ذلك في معنى الإبصار.

١. الآخوند ملا حسين قلي الهمداني، تذكرة المتّقين: ١١٢ - ١١٣.

٣٦ - السلام

هو سبحانه «السلام» ومعنى السلام السلم وهو توسّع لأنّ السلام مصدر، والمراد به أنّ السلامة تُنال من قبله والسلام يعني السلامة ممّا يلحق الخلق من العيب والنقص والزوال والانتقال والفناء والموت.

وقوله عزّ وجلّ:

﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾. ^(١)

فالسلام هو الله عزّ وجلّ وداره الجنّة، ويجوز أن يكون سماها سلاماً، لأنّ الصائر إليها يسلم فيها من كلّ ما يكون في الدنيا من مرض ووصب وموت وهم وأشباه ذلك، فهي دار السلامة من الآفات والعاهات.

وقوله عزّ وجلّ:

﴿فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾. ^(٢)

أي فسلامة لك منهم أي يخبرك عنهم سلامة والسلامة في اللغة الصواب والسداد.

٣٧ - المؤمن

الله عزّ وجلّ هو «المؤمن» ومعنى المؤمن المصدّق والایمان هو التصديق يدلّ على ذلك قوله عزّ وجلّ حكاية عن أخوة يوسف يخاطبون أباهم لدى عودتهم عشاءً يبيكون:

١. سورة الأنعام (٦): ١٢٧.

٢. سورة الواقعة (٥٦): ٩١.

﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾^(١).

فالعبد مؤمن مصدق بتوحيد الله وبآياته.

والله مؤمن مصداقاً لما وعده ومحققه.

والله المؤمن يعني المحقق حَقَّ وحدانيته بآياته عند خلقه وعرفهم حقيقته لما أبدى من علاماته وأبان من بيئاته وعجائب تدبيره ولطائف تقديره.

والله المؤمن بمعنى أنه سبحانه آمن عباده من الظلم والجور.

قال الامام جعفر الصادق عليه السلام:

الْمُؤْمِنُ مَنْ انْتَمَنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ.^(٢)

وقال صلوات الله عليه:

سُمِّيَ الْبَارِي عَزَّوَجَلَّ مُؤْمِنًا لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ مِنْ عَذَابِهِ مَنْ أَطَاعَهُ، وَ سُمِّيَ الْعَبْدُ

مُؤْمِنًا لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ عَلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فَيُجِيزُ اللَّهُ أَمَانَهُ.^(٣)

٣٨ - المهيمن

الله تبارك وتعالى هو «المهيمن» ومعنى المهيمن الشاهد يدل على ذلك قوله عز وجل: ﴿وَمُهِيمِنًا عَلَيْهِ﴾ أي شاهداً عليه.

والمهيمن اسم مبني عن «الأمين» والأمين اسم من أسماء الله عز وجل ثم بني وكأن الأصل فيه «المؤيمن» فقلبت الهمزة هاء كما قلبت همزة «أرقت» وهمزة

١. سورة يوسف (١٢): ١٧.

٢. علم اليقين: ١١٢/١؛ بحار الأنوار: ٥١/٧٢؛ معاني الأخبار: ٢٣٩.

٣. بحار الأنوار: ١٩٦/٤؛ التوحيد: ٢٠٥؛ عدة الداعي: ٣٢٥.

«أيها» إلى هاء فاصبحتا «هرقت» و«هيها».

و«المهيمن» اسم من أسماء الله في الكتب السماوية السابقة.

٣٩- العزيز

الله سبحانه وتعالى هو «العزيز» والعزير يعني لا يعجزه شيء ولا يمنع عليه شيء أرادته، فهو قاهر للأشياء، غالب غير مغلوب، وقد يقال في المثل «من عزّ بزّ» أي من غلب سلب ويدلّ على ذلك قوله عزّ وجلّ حكاية عن الخصمين اللذين دخلا على داود في المحراب إذ قال ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ أي غلبني في الاجابة.

و«العزيز» هو الملك، ويقال للملك «العزيز» كما قال اخوة يوسف ليوسف قبل أن يتعرّفوا عليه: «يا أيّها العزيز» والمراد هو «يا أيّها العزيز» والعزّة لله سبحانه وتعالى ولرسوله وللمؤمنين، قال تعالى:

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

٤٠- الجبار

الله عزّ وجلّ هو «الجبار» ومعنى الجبار «القاهر» الذي لا ينال وله التجبّر والجبروت، أي التعظيم والعظمة ويقال للنخلة التي لا تنال جبارة. والجبر أن تجبر انساناً على ما يكرهه، تقول جبرته على أمر كذا وكذا. وقد جاء في الحديث النبوي الشريف:

١. سورة المنافقون (٦٣): ٨.

لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي.^(١)

كما جاء في الحديث الشريف عن الامام جعفر الصادق قوله:

لا جبر ولا تفويض، بل أمرٌ بين أمرين.^(٢)

٤١ - المتكبر

الله تبارك وتعالى «المتكبر» ومعنى المتكبر مأخوذ من الكبرياء، وهو اسم للتكبر والتعظم.

والمتكبر هو المتعالي عن صفات الخلق، ويقال المتكبر على عتات خلقه، إذ نازعوه العظمة.

والانسان المؤمن إذا وعى هذا الاسم واستلهم معناه اشرق في قلبه النور وأدرك أنّ الله هو المتكبر وأنّ الكبرياء رداؤه وحده سبحانه وان الانسان لا يحق له أن يتكبر فهو عبد لله المتكبر الذي له الكبرياء.

٤٢ - السيّد

الله سبحانه «السيّد» المطاع ومعنى السيّد الملك ويقال لملك القوم وعظيمهم وكبيرهم «سيّد» فله السيادة عليهم.

وقد جاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ:

عَلِيُّ سَيِّدُ الْعَرَبِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَلَسْتَ سَيِّدَ الْعَرَبِ؟ فَقَالَ: أَنَا

١. بحار الأنوار: ٩٩/٢؛ الدعوات، للراوندي: ١٧٠.

٢. التوحيد للشيخ الصدوق: ٢٠٦/١.

سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ وَ عَلِيُّ سَيِّدِ الْعَرَبِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا السَّيِّدُ؟ قَالَ: مَنْ
افْتَرَضَتْ طَاعَتُهُ كَمَا افْتَرَضَتْ طَاعَتِي.^(١)

فمن وعى معنى هذا الاسم وتشربته أشرق نوره على قلبه فاتقى سيده ومولاه
وربه وتحلّى بأخلاقه وأسلم له، فالسيد هو الملك الواجب الطاعة.

٤٣ - السَّبُّوح

الله سبحانه هو «السَّبُّوح» ربّ الملائكة والروح ومعنى السَّبُّوح المنزه عن كلّ
ما لا ينبغي أن يوصف به وهو اسم مبنيّ على صيغة «فعلول» وليس في كلام العرب
«فعلول» بضمّ الفاء إلّا اسم «سَبُّوح» و «قَدَّوس» ومعناها واحد.
الله عزّ وجلّ هو السَّبُّوح الذي تسبّح الكائنات جميعاً بحمده وتقّده له.

٤٤ - الشهيد

وهو سبحانه وتعالى «الشهيد» والشاهد، وهو الذي لا يغيب عنه شيء فهو
شاهد وشهيد وعالم وعليم مطلع على كلّ شيء فهو الحاضر الشاهد الذي لا يعزب
عنه شيء وهو بمعنى العليم قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.^(٢)

﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾.^(٣)

والإنسان إذا استحضر هذا الاسم المقدّس في نفسه ووعاه سطع نوره في قلبه

١. التوحيد: ٢٠٧؛ بحار الأنوار: ٤/ ١٩٨؛ كنز العمال: ١١/ ٦١٩.

٢. سورة الحجّ (٢٢): ١٧.

٣. سورة آل عمران (٣): ٩٨.

ورأى الله عز وجل شاهداً عليه في نفسه الحياء منه ويرتدع عن ارتكاب المعصية في حضرته .

قال الإمام الصادق عليه السلام:

عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ عَلَيَّ فَاسْتَحْيَيْتُ^(١).

٤٥ - الصادق

وهو عز وجل «الصادق» ومعنى الصادق الذي يصدق في وعده ولا يبخس ثواب من يفي بعده .

والإنسان إذا تشرب معنى هذا الاسم المقدس وكان في سيرته صادقاً فعلاً وقولاً نال خير الدنيا والآخرة وكان مع الصادقين .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٢).

والصادقون هم من بلغ مرتبة الأنبياء والأوصياء ومثالهم الكامل رسول الله ﷺ والأئمة من آل الأطهار .

﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾^(٣).

٤٦ - الصانع

وهو سبحانه «الصانع» المطلق ، وهو الصانع لكل مصنوع ، أي خالق كل مخلوق ، ومبدع جميع البدائع ، وفي هذا دلالة على أنه لا يشبهه شيء ، لأننا لم نجد

١ . مستدرک الوسائل : ١٢ / ١٧٢ ؛ بحار الأنوار : ٧٥ / ٢٢٨ .

٢ . سورة التوبة (٩) : ١١٩ . ٣ . سورة المائدة (٥) : ١١٩ .

فيما شاهدنا فعلاً يشبه فاعلاً البتة، وكلّ موجود سواه فهو فعله وصنعه، وجميع ذلك دليل على وحدانيته، شاهد على انفراده، وعلى انه بخلاف خلقه وأنه لا شريك له .

وفي هذا المعنى قال بعض الحكماء يصف ورود النرجس :

عيون في جفون في فنون بدت وأجاد صنعتها المليك
بأبصار التغنّج طامحات كأن حذاقها ذهب سبيك
على قصب الزمرد مخبرات بأنّ الله ليس له شريك

وعلى الانسان المؤمن أن يتأمل في ما حوله من صنع الله وما أودع فيه من بدائع صنعه، فيقبل على عبادته شاكراً حامداً مسبحاً الخالق الصانع لهذا الوجود .

٤٧ - الطاهر

وهو سبحانه وتعالى «الطاهر» ومعنى الطاهر المنتزّه عن الاشباه والأنداد والأمثال والأضداد، والصاحبة والأولاد، والحدوث والزوال، والسكون والانتقال والطول والعرض، والدقة والغلظة والحرارة والبرودة، وبالجمله هو طاهر عن معاني المخلوقات متعال عن صفات الممكنات، مقدس عن نعوت المحدثات فتعالى وتكرّم وتقدّس وتعظم أن يحيط به علم أو يتخيّله وهم .
والعبد المؤمن إذا أراد أن يتشرب هذا الاسم المقدّس تطهّر قلبه وطهّر سلوكه وترفع عن فعل القبائح .

٤٨ - العدل

إنَّ الله عزَّ وجلَّ هو «العدل» ومعناه الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم، والعدل من الناس المرضيُّ قوله وفعله وحكمه.

خلق الله عزَّ وجلَّ الوجود بقدرته وحكمته فوضع كلَّ شيء في موضعه وأعطى كلَّ شيء خلقه هداه.

والانسان المؤمن إذا أراد أن يستلهم هذا الاسم المقدَّس والاتِّصال بمفهومه فعليه أن يسيطر على قوَّة الغضب لديه وقوَّة الشهوة والقوى الغرائزيَّة التابعة وأن يحكِّم العقل والدين في سيرته.

فاذا خضع عقله لشهوته فهذا هو الظلم المحض.

ومن أجل ذلك يسأل الانسان المؤمن ربَّه أن يرزقه القدرة على تشخيص الحقِّ من الباطل:

اللَّهُمَّ أَرِنَا الْحَقَّ حَقًّا وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ، وَأَرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ.^(١)

أجل ان صفحة الوجود مرآة لو أنَّ الانسان تأمَّل فيها ببصر وبصيرته لما رأى إلا العدل والعدا.

٤٩ - العفو

وهو عزَّ وجلَّ «العفو» أي المحاء للذنوب الموبقات، ومبدلها بأضعافها من الحسنات والعفو هو الصفح عن الذنب وترك مجازاة المسيء.

١. الانصاف فيما تضمنه الكشاف: ٨٤/٢؛ تفسير ابن كثير: ٢٥٨/١.

وقيل هو مأخوذ من عفت الريح الأثر إذا درستته ومحته .
 وإذا استلهم الانسان المؤمن هذا الاسم المقدّس ، فأضاء معناه في وجوده
 أصبح عفواً في سيرته يصفح عن الآخرين إذا أساءوا إليه .

٥٠ - الغفور

وهو سبحانه « الغفور » ومعناه الكثير المغفرة ويكون هذا المعنى منصرفاً إلى
 مغفرة الذنوب في الآخرة والتجاوز عن العقوبة وهو مشتق من الغفر وهو الستر
 والتغطية .

ومنه سمّي المغفر لستره الرأس والمبالغة في العفو أعظم من المبالغة في الغفور ،
 لأن ستر شيء قد يحصل مع بقاء أصله بخلاف المحو ، فانه إزالة له رأساً وقلع لأثره
 جملة ومحوه تماماً .

٥١ - الغنيّ

وهو تبارك وتعالى « الغنيّ » المطلق ومعناه المستغني عن الخلق بذاته ، فلا
 تعرض له الحاجات ، وبكماله وقدرته عن الآلات والأدوات وكلّ ما سواه محتاج
 ولو في وجوده ، فهو الغني المطلق في غناه .

٥٢ - الغياث

وهو عزّ وجلّ « الغياث » ومعناه المغيث سمي بالمصدر توسعاً لكثرة اغاثته
 الملهوفين ، واجابته دعاء المضطّرين .

٥٣- الفاطر

وهو سبحانه «الفاطر» الذي فطر السماوات والأرض ومعناه انه فطر الخلق، أي خلقهم وابتدأ صنعه الأشياء وابتدعها فهو فاطرها أي خالقها ومبدعها.

٥٤- الفرد

وهو تبارك وتعالى «الفرد» ومعناه المستفرد بربوبيته وبالأمر دون خلقه، والموجود وحده ولا شريك موجود معه وعلى الانسان المؤمن أن يدرك معنى هذا الاسم المقدس فلا اله معه سبحانه ولا خالق غيره ولا فعال سواه، فيتوجه إليه وحده لا شريك له.

٥٥- الفتاح

وهو عز وجل «الفتاح» ومعناه الحاكم بين عباده، يقال: فتح الحاكم بين الخصمين إذا قضى بينهما ويدل على ذلك قوله تعالى:

﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾. (١)

أي احكم بيننا.

والفتاح انه الذي يفتح الرزق والرحمة لعباده.

﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. (٢)

٢. سورة الفاطر (٣٥): ٢.

١. سورة الأعراف (٧): ٨٩.

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(١).

أجل بيده سبحانه مفاتيح الغيب والرزق وبيده مقاليد السماوات والأرض ومن استلهم معاني هذا الاسم المقدس تمت عنده ملكة التوكل على الله سبحانه وحده لا شريك له.

٥٦ - الفالق

وهو الله سبحانه «الفالق» الذي يفلق الحب والنوى والبذور وهو عز وجل فالق الأرحام، وفالق الأرض والصخور وفالق الظلمات.

فالق البذرة تنشق فيخرج منها شجرة وفالق الظلام فينفلق عمود الفجر والضياء وفالق الصخور فتشقق عن النياييع وتتدفق المياه وهو سبحانه فالق البحر لنبيّه موسى عليه السلام.

﴿فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾^(٢).

٥٧ - القديم

وهو سبحانه «القديم» الموجود منذ الأزل المتقدم على جميع الأشياء ليس لوجوده أول ولا يسبقه عدم.

هو الأول بلا أولية له والآخر بلا آخرية له وهو سبحانه قديم لنفسه بلا أول ولا نهاية، فكل الأشياء لها بداية ونهاية.

وهو عز وجل الموجود لم يزل، وإذا قيل لغيره سبحانه: أنه قديم كان ذلك على المجاز، لأن غيره محدث ليس بقديم.

١. سورة الفتح (٤٨): ١.

٢. سورة الشعراء (٢٦): ٦٣.

٥٨ - الملك

وهو سبحانه «الملك» القدوس، وهو المالك قد ملك كل شيء، والملكوت ملك الله عز وجل.

والانسان المؤمن عند ما يعي هذا الاسم ويشرق معناه في فؤاده يدرك انه المحتاج والفقير الذي لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ولا حياة ولا نشوراً، فيتحلى بالتواضع.

٥٩ - القدوس

وهو سبحانه «القدوس» رب العزة تعالى عما يصفه الواصفون بغير ما وصف نفسه.

ومعنى «القدوس» الطاهر المنزه والمقدس.

قال عز وجل حكاية الملائكة لما أخبرهم بأنه سوف يخلق بشراً من طين ويجعله خليفة له:

﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾^(١).

أي ننسبك إلى الطهارة ونسبحك ونقدس لك بمعنى واحد؛ وحظيرة القدس موضع الطهارة من الأدناس التي تكون في الدنيا، والأوصاب والأوجاع وغير ذلك.

والقدوس من أسماء الله سبحانه وتعالى في الكتب السماوية.

١. سورة البقرة (٢): ٣٠.

٦٠- القوي

وهو تبارك وتعالى «القوي» ومعناه واضح فهو سبحانه بلا معاناة ولا يستعين بشيء بل كل شيء يستعين به وهو المستعان على كل شيء.

٦١- القريب

وهو سبحانه القريب، فهو أقرب للإنسان من حبل الوريد ومعنى هذا الاسم: المجيب ويؤيد ذلك قوله عز وجل:

﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾^(١).

وهو «القريب» بمعنى العالم بوساوس النفس الانسانية، ويؤيد هذا المعنى قوله عز وجل:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(٢).

فهو عز وجل قريب من عباده بغير تماس بائن من دون انفصال مسافة بل هو على المفارقة لهم في المخالطة، والمخالفة لهم في المشابهة وكذلك التقرب إليه لا يكون بالطرق والمسافات إنما يحصل القرب منه بالطاعات والعبادات.

ذلك أنه سبحانه وتعالى قرين دان في دنوه ومن غير انطواء مسافة يدنو ولا باجتياز الهواء والفضاء والأجواء يعلو.

وكيف لا يكون كذلك وهو عز وجل كان قبل الدنو والعلو وهو قبل أن يوصف بالعلو والدنو.

١. سورة البقرة (٢): ١٨٦.

٢. سورة ق (٥٠): ١٦.

٦٢ - القَيُّوم

وهو تبارك وتعالى «القَيُّوم» والقَيَّام، صيغتان «فيعول و«فيعال» من قمت بالشيء إذا وليته بنفسك وتوليت حفظه وإصلاحه وتقديره.
والإنسان المؤمن إذا وعى معنى هذا الاسم المقدس أشرق نوره على قلبه، فيتوكل على الله الحيّ القَيُّوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم.

٦٣ - القَابِض

وهو سبحانه وتعالى «القَابِض» وهو اسم مشتق من القبض وله عدد من المعاني:

١ - المالكِيَّة: كقولك إن هذه الضيعة في قبضتي يؤيد ذلك قوله عز وجل:

﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. (١)

وقوله سبحانه:

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. (٢)

٢ - الإِفْنَاء: أي إفناء الأشياء، فهو سبحانه وتعالى المتوحد بالعز والبقاء والقاهر لعباده بالموت والفناء.

ومن ذلك القول للميت، قبضه الله إليه.

وكذلك قوله عز وجل:

٢. سورة الفاتحة (١): ٤.

١. سورة الزمر (٣٩): ٦٧.

﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. (١)

٣- القاء الحجاب على القلوب غير المؤهلة لتلقي الفيض الالهي، فيصبح جرّاء الصداً ضيقاً قاسياً.

٦٤- الباسط

وهو عزّوجلّ «الباسط» ومعناه المنعم المفضل، قد بسط على عباده فضله واحسانه وأسبغ عليهم نعمه.

﴿وَاللَّهُ يَفْضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. (٢)

وقد بحثت مسألة القبض والبسط في الدراسات العرفانية والفلسفية.

٦٥- قاضي الحاجات

وهو سبحانه «قاضي الحاجات» والقاضي اسم مشتق من القضاء ومعنى القضاء من الله عزّوجلّ على ثلاثة أوجه:

الأول: الحكم والالزام، يقال: قضى القاضي على فلان بكذا أي حكم عليه به وألزمه إياه، ومنه قوله عزّوجلّ:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾. (٣)

والثاني: هو الإخبار ومنه قوله عزّوجلّ:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾. (٤)

٢. سورة البقرة (٢): ٢٤٥.

١. سورة الزمر (٣٩): ٦٧.

٤. سورة الإسراء (١٧): ٤.

٣. سورة الإسراء (١٧): ٢٣.

والثالث: هو الإتمام ومنه قوله عز وجل:

﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾. (١)

أو قول البعض: قضى فلان حاجتي وقصده انه أتم حاجتي على ما سألته.

٦٦ - المجيد

وهو سبحانه «المجيد» ومعنى هذا الاسم المقدس الكريم العزيز، ومنه قوله عز وجل:

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾. (٢)

أي كريم عزيز.

والمجد في اللغة نيل الشرف وسبحانه وتعالى هو «المجيد» أي الممجّد، يمجّده خلقه وعباده أي يعظّموه.

٦٧ - المولى

وهو تبارك وتعالى «المولى» ومعنى هذا الاسم المقدس الناصر، ينصر المؤمنين من عباده ويتولّى نصرهم على عدوّهم، ويتولّى ثوابهم وكرامتهم، ووليّ الطفل هو الذي يتولّى إصلاح شأنه، والله عز وجل هو وليّ المؤمنين وهو مولاهم وناصرهم.

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾. (٣)

٢. سورة البروج (٨٥): ٢١.

١. سورة فصلت (٤١): ١٢.

٣. سورة البقرة (٢): ٢٥٧.

وللمولى معنى آخر هو الأولى يؤيده قول رسول الله ﷺ للمسلمين في وادي «غدير خم» من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه.

وكان رسول الله ﷺ قد مهد لذلك بسؤاله: أأست أولى بكم منكم بأنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله!

فقال ﷺ: من كنت مولاه أي من كنت أولى به منه بنفسه فعليّ مولاه أي أولى به منه بنفسه.

٦٨ - المَنَّان

وهو سبحانه «المَنَّان» ومعناه المعطي المنعم، ومنه قوله عز وجل:

﴿فَأَمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. (١)

وقوله سبحانه:

﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾. (٢)

وإذا تشرب الإنسان المؤمن هذا الاسم وأشرق معناه في نفسه تحلّى بهذا الخلق الرفيع فيغدق بالخير والعطايا على اخوانه وعلى الفقراء والمساكين والمحتاجين.

٦٩ - المحيط

وهو عز وجل «المحيط» ومعنى هذا الاسم العظيم من أسماء الله الحسنى هو انه محيط بالأشياء، عالم بها كلها، وكل من أخذ شيئاً كَلَّه أو بلغ علمه أقصاه فقد أحاط

٢. سورة المدثر (٧٤): ٦.

١. سورة ص (٣٨): ٣٩.

به، وهذا على التوسّع لأن الاحاطة في الحقيقة احاطة الجسم الكبير بالجسم الصغير من جوانبه كاحاطة البيت بما فيه، واحاطة السور بالمدن، ولهذا يسمى الجدار الذي يحيط بالبستان حائطاً وله معنى آخر فيعني «المحيط» المستولي المقتدر كقوله عز وجل:

﴿وَضَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾^(١).

فسماه احاطة لهم لأن الجنود إذا أحاطوا بعدوهم لم يقدر العدو على التخلص منهم.

٧٠ - المبين

وهو سبحانه «المبين» ومعناه الظاهر البين حكمته المظهر لها بما أبان من البينات من آثار قدرته ويقال: بان الشيء وأبان واستبان بمعنى واحد.

٧١ - المقيت

وهو تبارك وتعالى «المقيت» ومعناه الحافظ الرقيب ويقال بل هو القدير القادر.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾^(٢).

٧٢ - المصوّر

وهو عز وجل «المصوّر» وهو اسم مشتق من التصوير فهو سبحانه يصوّر

٢. سورة النساء (٤): ٨٥.

١. سورة يونس (١٠): ٢٢.

الصور في الأرحام كيف يشاء، فهو مصوّر كلّ صورة وخالق كلّ مصوّر في رحم ومدرّك ببصر وممثل في نفس ولا يوصف الله تبارك وتعالى بالصور والجوارح ولا يعرف بالحدود والأبعاد ولا يطلب في سعة الهواء والفضاء بالأوهام والخيال؛ ولكنه سبحانه يعرف بالآيات وبالعلامات والدلالات ويوصف بالقدرة والعظمة والجلال والكبرياء، لأنّه ليس له في خلقه شبيه ولا في بريّته عدل.

٧٣- الكريم

وهو تبارك وتعالى «الكريم» ومعنى هذا الاسم المقدّس العزيز، يقال: فلان أكرم علي من فلان أي أعزّ منه، يؤيّد هذا المعنى قوله عزّ وجلّ:

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾^(١)

وكذلك قوله سبحانه:

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾^(٢)

ولهذا الاسم المقدّس معنى آخر هو الجواد المفضل، يقال رجل كريم، أي جواد وقوم كرام أي أجواد.

فاذا استلهم الانسان المؤمن معنى هذا الاسم المقدّس وسطع نوره على فؤاده أصبح كريماً عزيزاً جواداً.

١. سورة الواقعة (٥٦): ٧٧.

٢. سورة دخان (٤٤): ٤٩.

٧٤ - الكبير

وهو عز وجل «الكبير» ومعناه السيد، يقال لسيد القوم: كبيرهم والكبرياء هي العظمة:

والانسان المؤمن إذا طلب العلم ونهل من المعرفة الإلهية واتقى الله سبحانه وعمل بما علم وأرشد الناس إلى صراط الله المستقيم عدّ في ملكوت الله عظيماً. وقد جاء في الحديث الشريف عن سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام قوله:

مَنْ عِلْمٍ وَعَمَلٍ وَعِلْمٌ عُدَّ فِي الْمَلَكُوتِ الْأَعْظَمِ عَظِيماً.^(١)

٧٥ - الكافي

وهو سبحانه وتعالى «الكافي» وهو اسم مشتق من الكفاية وكلّ من توكلّ عليه سبحانه كفاه ولا يلجئه إلى غيره.

٧٦ - الكاشف

وهو تبارك وتعالى «الكاشف» فهو كاشف الضرّ ومعنى هذا الاسم المقدّس: المفرّج، فهو يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء والكشف في اللغة رفعك شيئاً عمّا يواريه ويغطّيه.

فهو سبحانه يرفع عن عباده الهموم والغموم والكروب.

١. مجموعة ورام: ٨٢/١؛ ارشاد القلوب، للديلمى: ١٤/١.

٧٧- الوتر

وهو تبارك وتعالى «الوتر» ومعناه الفرد وكل شيء كان فرداً يقال له وتر.

٧٨- النور

وهو سبحانه وتعالى «النور» ومعناه المنير ومنه قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي منير لعباده وأمرهم وهاديهم فهم يهتدون في مصالحهم كما يهتدون في النور والضياء، وهذا توسع في المعنى، لأن النور والضياء من مخلوقات الله عز وجل ولذا قيل القرآن نور، لأن الناس يهتدون به في دينهم كما يهتدون بالضياء في مسالكهم، ولهذا كان النبي ﷺ منيراً.

٧٩- الوهاب

وهو تبارك وتعالى «الوهاب» ومعناه واضح فهو مشتق من الهبة، يهب سبحانه لعباده ما يشاء ويمنّ عليهم بما يشاء، ومنه قوله عز وجل: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنِثَاءً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾. وإذا استلهم الانسان المؤمن هذا الاسم وأشرق نوره على قلبه اصطبغ بصفة «الوهاب» ومن أحسن من الله صبغة.

٨٠- الناصر

وهو عز وجل «الناصر» والنصير ومعناه يعين عباده المؤمنين وينصرهم على عدوهم:

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١).

﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (٢).

ومن تشرب هذا الاسم المقدس وسطع معناه ونوره في روحه تخلق بهذا الخلق
الالهي فيكون نصيراً للمظلومين والمضطهدين مناهضاً للظالمين .

وقد جاء في وصايا الامام أمير المؤمنين عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام بعد جريمة
اغتياله في المحراب :

كونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً. (٣)

١ . سورة الروم (٣٠) : ٤٧ .

٢ . سورة محمد (٤٧) : ٢ .

٣ . نهج البلاغة ، كتاب ٤٧ .

وأنا أكتب هذه السطور في صبيحة يوم ٢٢ رمضان ١٤٣٦ هـ وقد مرَّ ١٣٩٦ عاماً على
استشهاد هذا الامام العظيم وما تزال ذكرى المأساة تفجر في نفوسنا الألم والحزن المرير ،
فتذرف العيون الدموع
وأن انساناً يتعرض إلى ضربة جبارة بسيف مسموم على هامته حتى يصل السيف إلى
الدماغ ثم يبقى في كامل وعيه ثلاثة أيام كان يتدفق خلالها علماً ومعرفة وإنسانية لهو انسان
بلغ أعلى وأسمى درجات الكمال ، ليصبح مظهراً لأسماء الله الحسنى وكلمته العليا .
يقول الفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي عندما كان يدرس في جامعة « السوربون » فاستوقفته
احدى طالباته لتسأله قائلة :

— أنت استاذي ، وأنا أحرص على قراءة كتاباتك ومقالاتك وقد لفت نظري انك تتحدث
عن شخص مسلم اسمه « علي » فمن هو ؟ ولماذا تمجده دائماً ؟ !
فقال الفيلسوف :

— علي هو ابن عم نبي الاسلام محمد وزوج ابنته وقائده العسكري وكان الرجل الثاني
في الاسلام بعد محمد وخليفته ، وهو شخصية فذة لا مثيل لها ... سأسألك سؤالاً لبيان جانب
من شخصيته ؟

٨١- الواسع

وهو سبحانه وتعالى «الواسع» ومعناه الغني والسعة هي الغنى وفلان يعطي من سعة أي من غنى والوسع جدّة الرجل وقدرة ذات يده ويقال أنفق على قدر وسعك.

- لو انك عبرت الشارع وصدمتك سيارة مسرعة ، ماذا سيحصل لك ؟
- سأموت حالاً أو يغمى عليّ .
- وما سيحصل لو انك سقطت من الطابق الرابع ؟
- نفس الجواب إمّا أن أموت حالاً أو يغمى عليّ .
- حسناً... هذا الرجل تعرّض لضربة سيف أثناء سجوده في الصلاة وقد وصلت إلى داخل تجويف الجمجمة أي إلى الدماغ ماذا تتوقعين أن يحصل له ؟
- سيموت حالاً أو سيفقد وعيه في أحسن تقدير !!
- تصوّري ! ان هذا الرجل لم يمت في حينها ولم يفقد الوعي مع ان الضربة وصلت إلى المخ حيث تقبع الحكمة والمعرفة دون أن يفقد الوعي أو يحصل له ما يحصل للبشر في مثل هذه الحالات ، وبعد يوم واحد فقط راح يملي وهو على فراش الموت ، وصيّته إلى ابنه هي أروع ما عرفه التراث الانساني عبر تاريخه على الاطلاق .
- تساءلت الطالبة وهي متأثرة :
- وماذا قال فيها ؟
- سأروي لك جانباً منها :
- ارفق يا ولدي بأسيرك (القاتل) وارحمه وأحسن إليه وأنفق عليه ، بحقّي عليك أطعمه يا بني ممّا تأكل واسقه ممّا تشرب !
- ولا تقيّد له قدماً ولا تغلّ له يداً .
- فإن متّ فاقتّ منه ، وإن عشت فأنا أولى بالعفو عنه .
- وراحت الطالبة تكفكف دموعها بعد أن أدركت سرّ اعجاب استاذها الفيلسوف بالامام علي بن أبي طالب - المترجم .

٨٢- الودود

وهو تبارك وتعالى «الودود» ومعناه المحبوب على وزن فعول بمعنى فعول كما يقال هبوب بمعنى مهيب والمراد أنه مودود ومحبوب.

ويقال ان معناه بمعنى فاعل كقولك غفور بمعنى غافر أي انه ودود يودّ عباده الصالحين ويحبهم، والود والوداد مصدر المودة وإذا تشرب الانسان المؤمن هذا الاسم المقدس وسطع نوره على فؤاده فانه يفيض حباً ووداً على جميع الناس بما في ذلك أعدائه الألداء.

وقد بلغ النبي الأكرم ﷺ اسمى درجات الحب فقد كُسرت رباعيته في معركة أحد وكانت جراحه تنزف بشدة ومع ذلك كان يسأل الله أن يهدي أعداءه إلى الحق قائلاً:

اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ^(١)

أَغْرَّ عَلَيْهِ لِلنَّبِوَةِ خَاتَم	من الله مشهود يلوح ويشهد
وَضَمَّ إِلَهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ	إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيَجْلَّه	فدو العرش محمود وهذا محمد

٨٣- الهادي

وهو سبحانه وتعالى «الهادي» ومعناه أنه عز وجل يهديهم للحق؛ والهدى من الله سبحانه على ثلاثة معاني: الأول هو الدليل قد دلّ عباده على الدين.

١. بحار الأنوار: ٢٠/٢١؛ المناقب، ابن شهر آشوب: ١/١٩٢، فصل في غزواته.

يَا مَنْ دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ. ^(١)

بِكَ عَرَفْتُكَ وَأَنْتَ دَلَلْتَنِي عَلَيْكَ. ^(٢)

والثاني هو الايمان والايمان هو هدى من الله عز وجل كما انه نعمة

﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾. ^(٣)

والثالث هو النجاة وقد بين الله سبحانه وتعالى انه سيهدي المؤمنين بعد وفاتهم

قال عز وجل:

﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ

بَالَهُمْ﴾. ^(٤)

ولا يكون الهدى بعد الموت والقتل إلا الثواب والنجاة.

٨٤ - الوفي

وهو سبحانه «الوفي» ومعناه انه سبحانه يفي بعهده ويوفي به.

يقال رجل وفي وموف وقد وفيت بعهدك.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ﴾. ^(٥)

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ

بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِي﴾. ^(٦)

١. بحار الأنوار: ٣٣٩/ ٨٤؛ الأملاني، للشيخ المفيد: ٢٥٤، الهامش.

٢. بحار الأنوار: ٨٢/ ٩٥؛ المصباح، للكفعمي: ٥٨٨، دعاء السحر لعلي بن الحسين عليه السلام.

٣. سورة طه (٢٠): ٥٠. ٤. سورة محمد (٤٧): ٤ - ٥.

٥. سورة الرعد (١٣): ٣١. ٦. سورة البقرة (٢): ٤٠.

والوفاء من أبرز صفات المؤمن، فالمؤمن لا يغدر وإثما يفني بوعده وعهده ويلتزم بالميثاق الذي قطعه على نفسه.

٨٥- الوكيل

وهو سبحانه وتعالى «الوكيل» ومعناه المتولّي أي القائم بحفظنا وهذا هو معنى الوكيل على المال منّا، وله معنى آخر هو المعتمد والملجأ والتوكل الاعتماد عليه والالتجاء إليه.

وإذا استلهم الإنسان المؤمن هذا الاسم وأشرق معناه في نفسه أصبح معتمداً للمستضعفين من الناس فيساعدهم ويساندهم ومن خلال خدمة الناس يبلغ خير الدنيا والآخرة ويحقّق رضا الله عزّ وجلّ.

٨٦- الوارث

وهو تبارك وتعالى «الوارث» ومعناه ان كلّ من ملكه الله شيئاً يموت ويبقى ما كان في ملكه، ولا يملكه إلا الله تبارك وتعالى فكلّ شيء ماض في طريقه إلى الفناء والزوال ويبقى الله ذو الجلال والاکرام؛ فهو الباقي وإلى الأبد وهو من إليه مصير كلّ شيء فيقول سبحانه سائلاً:

﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾.

فلا مجيب غيره سبحانه وتعالى:

﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.^(١)

١. سورة غافر (٤٠): ١٦.

فهو سبحانه الوارث لكل شيء لأنه المالك الحقيقي، ومن استلهم هذا الاسم المقدس وسطع نوره في وجوده وكيانه فإنه يرث أخلاق الأنبياء والأولياء التي هي أخلاق الله عز وجل.

وقد جاء في الحديث الشريف:

الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ.^(١)

وجاء في زيارة «وارث» التي يخاطب فيها المؤمنون سيّدنا وإمامنا الحسين سبط رسول الله وسيّد الشهداء:

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ آدَمَ صِفْوَةِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ نُوحٍ نَبِيِّ اللَّهِ،
السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ مُوسَى كَلِيمِ
اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ عِيسَى رُوحِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ مُحَمَّدٍ حَبِيبِ
اللَّهِ.^(٢)

٨٧ - البرّ

وهو سبحانه «البرّ» ومعناه الصادق إذ يقال صدق فلان وبرّ ويقال برّت يمين فلان إذا صدقت، وأبرّها الله أي امضاها على الصدق.

٨٨ - الباعث

وهو تبارك وتعالى «الباعث» الذي يبعث جميع الخلق ليوم الجزاء فهو

١. الكافي: ٣٢/١؛ وسائل الشيعة: ٢٧/٧٨.

٢. مستدرک الوسائل: ١٠/٣٠٠؛ المصباح للكفعمي: ٥٠٠.

سبحانه يبعث من في القبور ويحييهم وينشرهم للجزاء والبقاء .

وهو الباعث لجميع الأنبياء رسلاً إلى عباده مبشرين ومنذرين وهداة للناس أجمعين يحملون إليهم رسالات الله فتبعث فيهم الحياة المعنوية وتنقذهم من الحياة الحيوانية والبهيمية، فيبلغون بها الحياة الطيبة، فالأنبياء والرسل الإلهيين مظهر لهذا الاسم الإلهي المقدس .

٨٩- التَّوَاب

وهو سبحانه « التَّوَاب » ومعنى هذا الاسم الإلهي المقدس هو انه يقبل التوبة ويعفو عن الحوبة، إذا تاب منها العبد فهو تَوَّاب عليه، يغفر الذنوب جميعاً «إنَّه كان تَوَّاباً» والانسان المؤمن إذا تشرب هذا الاسم واستلهم معناه وسطع نوره على قلبه اصطبغ به فيقبل عذر من اعتذر إليه ويصفح عمن أساء إليه فيكون متخلّفاً بأخلاق الله والله سبحانه يكافئه ثواباً جزيلاً .

٩٠- الجليل

وهو سبحانه «الجليل» ومعناه السيّد، إذ يقال لسيّد القوم جليلهم وعظيمهم، وجلّ جلال الله، فهو الجليل ذو الجلال والاکرام، ويقال جلّ فلان في عيني أي عظم وأجللته أي عظّمته .

٩١- الجواد

وهو سبحانه وتعالى «الجواد» ومعناه المحسن المنعم الكثير الانعام والاحسان إذ يقال جاد السخي من الناس وجود جوداً ورجل جواد، وقوم أجواد

أي أسخياء، ولا يقال لله سخي لأن أصل السخاء والسخاوة راجع إلى اللين يقال أرض سخاوية وقرطاس سخي إذا كان ليناً، وسمي السخي سخياً للينه عند الحوائج إليه، فهو سبحانه الجواد ولذا كان الأئمة الأطهار يخاطبون الله سبحانه بـ «أجود الأجودين» وإذا استلهم الإنسان المؤمن هذا الاسم المقدس وسطع نوره في نفسه نفر من البخل لأنه من صفات الشيطان.

٩٢ - الخبير

وهو عز وجل «الخبير» ومعناه العالم والخبير والخبير في اللغة معناهما واحد، والخبير علمك بالشيء.

٩٣ - الخالق

وهو سبحانه وتعالى «الخالق» ومعناه المبدأ للخلق والمخترع لهم على غير مثال سبق قال عز وجل: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾^(١). وقد يراد بالخلق التقدير كقوله تعالى حكاية عن عيسى بن مريم عليه السلام: ﴿أَنْتَ أَلْخُلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾^(٢). أي أقدر لكم والله خالقه ومكوّنه.

٩٤ - خير الناصرين

وهو عز وجل «خير الناصرين» ومعناه تكرار النصر منه كما قيل خير الراحمين لكثرة رحمته.

١. سورة فاطر (٣٥): ٣.

٢. سورة آل عمران (٣): ٤٩.

وإذا استلهم الإنسان المؤمن هذا الاسم وسطع نوره على قلبه بادر إلى نصره من يستنصره ويطلب منه المساندة على احقاق الحق ودحر الباطل ومواجهة الظلم بكل أشكاله.

٩٥- الديّان

وهو تبارك وتعالى «الديّان» ومعناه الذي يدين العباد ويجزيهم بأعمالهم، والدين الجزاء ويقال في الأمثال: «كما تدين تدان» أي كما تجزي تجزي. كما يدين الفتى يوماً يدان به من يزرع الشوك لا يحصده ريحانا

٩٦- الشكور

وهو عز وجلّ «الشكور» ومعنى هذا الاسم المقدّس هو الذي يشكر اليسير من الطاعة فيثيب عليه الكثير من الثواب، ويعطي الجزيل من النعمة ويرضى باليسير من الشكر.

قال عز وجلّ: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾.^(١)

ولما كان الشكر في اللغة هو الاعتراف بالاحسان، والله سبحانه هو المحسن إلى عباده والمنعم عليهم، لكنّه سبحانه لما كان مجازياً للمطيع على طاعته بجزيل ثوابه، جعل مجازاته شكراً لهم على سبيل المجاز كما سميت المكافأة شكراً. وقد جاء في الحديث الشريف:

١. سورة فاطر (٣٥): ٣٤.

من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق.^(١)

وشكر الانسان لله عز وجل هو نعمة أنعمها عليه سبحانه تستوجب الشكر أيضاً.
يقول الامام السجّاد في مناجاة الشاكرين :

إِلَهِی اُدْهَلْنِی عَنْ اِقَامَةِ شُكْرِكَ تَتَابَعُ طَوْلُكَ تَصَاعَرَ عِنْدَ تَعَاظُمِ الْاِیْكَ شُكْرِی،
فَالَا تُنْكَ جَمَّةٌ ضَعُفَ لِسَانِی عَنْ اِحْصَائِهَا وَنَعْمَاؤُكَ كَثِیْرَةٌ قَصُرَ فَهْمِی عَنْ
اِذْرَاكِهَا فَضْلاً عَنْ اِسْتِقْصَائِهَا، فَكَيْفَ لِی بِتَحْصِيلِ الشُّكْرِ، وَشُكْرِی اِیَّاكَ
یَفْتَقِرُ اِلَی شُكْرِی، فَكَلَّمَا قُلْتُ لَكَ الْحَمْدُ، وَجِبَ عَلَیَّ لِذَلِكَ اَنْ اَقُوْلَ لَكَ الْحَمْدُ.

٩٧ - العظيم

وهو سبحانه وتعالى «العظيم» ذو العظمة والجال ومعناه السيد وسيد القوم
عظيمهم وجليلهم وله معنى ثان أنه يوصف بالعظمة لغلبته على الأشياء وقدرته
عليها، ولذلك كان الواصف بذلك معظماً وله معنى ثالث هو انه عظيم لأن جميع ما
سواه سبحانه ذليل خاضع، فهو عظيم السلطان عظيم الشأن وله معنى رابع وهو انه
المجيد، إذ يقال عظم فلان في المجد عظامه وهو مصدر الأمر العظيم والعظمة من
التجبر، وليس معنى العظيم ضخم طويل عريض ثقيل، لأن هذه المعاني معاني
الخلق وآيات الصنع والحدث وهي منفية عن الله تبارك وتعالى.
وقد جاء في الأحاديث: انه سمي العظيم لأنه خالق الخلق العظيم ورب العرش
العظيم وخالقه.

١. وسائل الشيعة: ٣١٣/١٦؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٤/٢.

٩٨ - اللطيف

وهو سبحانه وتعالى «اللطيف» ومعناه انه لطيف بعباده، فهو لطيف بهم، بارّ بهم يبرهم ويلطفهم أطافاً.

وله معنى آخر هو انه لطيف في تدبيره وفعله، إذ يقال فلان لطيف العمل. وقد جاء في الأحاديث: ان معنى اللطيف هو أنه الخالق للخلق اللطيف كما أنه سمي العظيم، لأنه الخالق للخلق العظيم.

٩٩ - الشافي

وهو سبحانه «الشافي» ومعناه معروف وهو اسم مشتق من الشفاء كما قال الله عز وجل حكاية عن إبراهيم عليه السلام:

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾^(١)

وقوله سبحانه:

﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢)

واذا استلهم الانسان المؤمن هذا الاسم وسطع نوره على نفسه وتعلم علم الطب وبادره إلى معالجة المرضى، فيتجلى اسم الشافي في كيانه.

معرفة الأسماء الحسنى لله

وفي الختام لهذا الفصل نذكر ان هذه الأسماء الحسنى لها دلالة مهمة للغاية.

يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

٢. سورة الإسراء (١٧): ٨٢.

١. سورة الشعراء (٢٦): ٨٠.

نَحْنُ وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى الَّتِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْعِبَادِ عَمَلًا إِلَّا بِمَعْرِفَتِنَا. (١)

وهذه الرواية بمثابة شعاع نافذ يضيء لنا جانباً من الحقيقة وذلك عندما تكون هذه الشخوص الانسانية الطاهرة التي وصلت الذرى في الكمال مظهر الأسماء الحسنى لله تعالى «ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها» حيث تكون الدعوة بالأسماء المقدسة استلهاً مفاهيمها وتشرب معانيها وانعكاسها في السيرة وواقع الحياة وبذلك يستجاب دعاؤه ويدخل الجنة وثمة ملاحظة وهي أن أسماء الله وصفاته لا تحدّها حدود وهي لا نهائية لأنّه سبحانه مطلق لا نهائي غير أنه سبحانه ومن خلال رسالاته ووحيه إلى أنبيائه إلى مجموعة من أسمائه الحسنى وأمر عباده أن يدعوه بها.

ان مسألة الرغبة التي وردت في المقطع الأخير من الدعاء الرابع للامام السجّاد عليه السلام تعدّ مسألة مهمّة للغاية، لأنّه لا يمكن تحقيق الرغبة والشوق إلى الله عزّ وجلّ إلّا من خلال معرفة الأسماء الحسنى إذ يتوجب على الانسان المؤمن ادراك مفاهيمها واستلهاً معانيها وذلك بالتمسك بالكتاب العزيز وأهل البيت عليه السلام استجابة لأمر رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى واتباعهم في كلّ قول وفعل وعمل. (٢)

١. تفسير نور الثقلين: ١٠٣/٢؛ الكافي: ١٤٤/١؛ مستدرک الوسائل: ٢٣٠/٥.

٢. أورد الشيخ الصدوق رضوان الله عليه في كتابه التوحيد: ١٩٥ وكذا الفيض الكاشاني في كتابه علم اليقين: ١٠٦/١ شروحاً موجزة للأسماء الحسنى بعد كلّ اسم من الأسماء «٩٩» وإلّا فان الأمر يحتاج إلى مجلّدات إذا أردنا التفصيل في شرحها وتوضيحها آمل أن يوفّقني الله سبحانه إلى هذا العمل بعد الفراغ من شرح «الصحيفة السجّادية».

الخشية من عظمة الخالق تعالى

إنّ الانسان المؤمن إذا وضع قدميه في طريق المعرفة الالهية من خلال التأمل في آيات القرآن الكريم والغوص في مكنون الأحاديث والروايات وسبر معاني الأسماء الحسنى فإن ملكة التقوى تنبثق في أعماقه وتنمو في داخله حالة من الخشية من عظمة الحق تبارك وتعالى؛ فتتضاءل احساسه بالأنانية حتّى يصل به الأمر انه لا يرى نفسه إلا صفرًا.

أجل أنّ هذه الخشية هي التي تجعله يرى نفسه في رحاب الحق ذليلاً خائفاً متضرعاً فقيراً محتاجاً مسكيناً مستكيناً فيتولّد لديه الشوق إلى الله المحبوب فيكون زاده إلى لقاء الله العباد له والعمل على تحقيق رضوانه.

وهكذا تتجسّد كلّ معاني العبوديّة لله تعالى في كيانه فاذا وصل الانسان المؤمن إلى هذه المرحلة تحطّمت سلاسل خوف الانسان من المخلوق، فالعبوديّة لله تعني الحرية من عبادة غيره والتحرّر من حالة الخوف التي تعتري الناس من بطش الطغاة؛ وهكذا يسلك الانسان الطريق إلى الله عزّ وجلّ ما بين شوق يشدّه إلى الله وأمل باللقاء وما بين خوف وخشية من عظمته، هذه الخشية التي تردعه عن ارتكاب المعاصي والذنوب والآثام.

إن ملكة التقوى وما يرافقها من العبادة والتحلي بالأخلاق الحسنة تساعد على الانسان المؤمن في أن يسيطر على غرائزه وأهوائه النفسية.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (١).

الزهد في الدنيا

الدنيا هذا المكان المؤقت والحياة العابرة التي يعيش فيها الانسان أياماً معدودة ثم يغادرها إلى عالم الآخرة، لا يأخذ معه في رحلته هذا شيئاً سوى صحيفة أعماله.

والدنيا في ضوء القرآن الكريم والروايات الواردة عن أهل البيت الكرام هي عالم يتحمل فيه الانسان مسؤوليته، وهي مكان للتنمية الأخلاقية ولتحصيل المعرفة والمحل الذي يمارس الانسان فيه العبادة والطاعة وتقدير الخدمة والمعونة لأبناء نوعه، وليس مكاناً لجمع الثروة وممارسة الظلم والهيمنة والطغيان. إن الزهد في الدنيا يعني عدم الانغماس في المعاصي والإعراض عن المحرمات والآثام والخلاص من الصفات الذميمة من حرص وبخل.

ولا يعني الزهد في الدنيا الإعراض عن متع الحياة والاستمتاع المشروع فيها من أكل وشرب وارتداء ثياب وحلل وزواج والانزواء بعيداً وعدم معايشة الناس ومد جسور العلاقات معهم.

ومخطئ من يتصور أن الزهد في الدنيا ألا يملك شيئاً منها إنما الزهد هو ألا تملكه الدنيا.

ليس الزهد أن لا يملك المرء الثروة بل أن لا يملكه المال ولا تأسره الثروة، أن يكون سيداً للثروة التي يملكها ينفق منها على المحتاج والبائس والفقير ويؤدي حقوق الله سبحانه لا أن يتحول إلى عبد لها يعمل على تنميتها وكنزها فلا يكون همه إلا زيادة ارصده في المصارف والبنوك.

ان على الانسان أن يزهد في الدنيا التي تقطع علاقته مع الحق تبارك وتعالى
وتبعده عن طريق الأنبياء والأوصياء عليهم السلام.

ان على الانسان أن يزهد في الدنيا التي تنسيه تماماً الحياة الآخرين في عالم
الآخرة.

هذه هي الدنيا الخطرة التي يجب أن يحذر الانسان منها؛ الدنيا التي تدفع
بالانسان إلى أن يمارس كل الرذائل من أجل تحقيق نزعاته في الهيمنة والسيطرة
والاستحواذ بأي ثمن حتى لو كان ذلك على حساب انسانيته وأدميته.
هذه هي الدنيا التي يجب أن يكون الانسان منها على حذر.

الدنيا رحلة قصيرة جداً

يشير القرآن الكريم في عديد من آياته البينات إلى حقيقة الدنيا ويدعو
الانسان إلى أن يتأمل في وجهها الحقيقي فهي لا تعدو أن تكون حياة قصيرة عابرة
انها تشبه قطرات الندى فوق أوراق الشجر حتى إذا أشرقت الشمس تبخرت
وانتهت وكأن لم تكن.

قال تبارك وتعالى في كتاب الكريم:

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ
مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَظْنَ
أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن
لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى
دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ١٠﴾ (١)

أجل هذه هي الدنيا في حقيقتها، ينهمر المطر من السماء فتتهتز الأرض وتنبثق أنواع من النباتات وتتفتح البراعم وتنضج الثمار فترعى الحيوانات في المروج ويقطف الناس أنواع الفواكه وقد استحالت الأرض جنة فجأة تتجمع السحب وتحدث البروق والرعود وتنقض الصواعق والأعاصير وتستحيل الأرض إلى ميدان للعواصف المدمرة وتستحيل المروج الخضراء والجنائن الخضراء إلى أوحال كان لم تكن قبل لحظات حدائق زاهية ومناظر خلابة ثم عصفت بها الأعاصير.

وتأتي الآية الثانية لتشير إلى الدعوة الإلهية إلى دار السلام، إلى الحياة في عالم آخر، عالم مستقر مفعم بالصفاء ويرفل بالسلام، فلا عواصف، ولا أعاصير ولا صوعق وإنما حياة آمنة مطمئنة وعالم مليء بالمسرات الخالدة.

أجل أن الحياة في الدار الآخرة هي حياة مثالية في عالم خال من الحروب ومن الجرائم والقتل والوحشية ومن كل أشكال الصراع وحروب السيطرة والأمراض والوبئة الفتاكة، عالم يعيش فيه الناس فيه بؤام ومحبة وسلام.

وهذه الحياة في ذلك العالم الآخر تتوقف على تجربة الانسان في الحياة الدنيا لأن الطريق إلى تلك الحياة الحالمة هو طريق مستقيم يتعين على الانسان أن يسلكه ولا ينحرف عنه مهما كلفه ذلك من ثمن.

الاستقامة في الحياة هي التحدي الذي يواجهه الانسان في الدنيا لأنه معرض لسلسلة من الامتحانات والاختبارات التي تضعه على المحك.

فالحياة الدنيا متقلبة من حال إلى حال متصرفة بأهلها وتحاول اغرائهم وأغوائهم مليئة بالمنعطفات فهي في حالة تحدٍ مستمر تختبر مدى اصرار الانسان

على التمسك بانسانيته و آدميته وكرامته ومدى تمسكه بالحقيقة وهي انه مجرد مخلوق ضعيف فقير في حضرة الخالق الجبار .

﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا * الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (١).

هذه هي حقيقة الدنيا وسر الحياة فيها قطرات من المطر تهطل من السماء ، توقظ الحياة في البذور والحبوب تتندى وتصبح نديّة ، فتنبثق الجذور ضاربة في عمق التراب وتشق الساق طريقها إلى الفضاء فيورق النبات ويزهو ويهر وينمو ، وبعد مدّة معينة وأجل تذبل الحياة وتجف في النسخ وتحوّل النباتات الخضراء إلى مجرد هشيم تذروه الرياح العاصفة .

فاذا بالربى الخضراء المزدانة بالورود الملونة تعود مرّة أخرى إلى حالتها السابقة مجرد بلقع وأرض يباب خالية تماماً من كلّ آثار لنبات وحياة !
أجل هذه هي حقيقة الدنيا ، مال وأبناء وقصور و ثراء ثم تعصف بهذه الحياة عواصف الاقدار ويحصد الموت الأرواح حصداً وتبدد حوادث الزمن الثروات تبديداً وإذا بالقصور خاوية والدور خالية والبساتين الخضراء خاوية على عروشها وكأن لم تغن بالأمس القريب .

أجل هكذا تنطوي الحياة الدنيا وما يبقى منها هو الأعمال الصالحة والباقيات

الصالحات ما يبقى من تجربة الانسان في الدنيا اعمال الخير وأفكار الحق ومشاهد الجمال الخالد المتمثلة بنوايا الانسان وطريقة تفكيره ونظراته الايجابية للحياة.

الاستعداد لعالم الآخرة

من يتأمل في آيات القرآن الكريم ويغوص في مكنونها فانه يجد ويدرك انه عندما تتحدث عن الايمان والعمل الصالح والأخلاق الحسنة ومساعدة الفقراء ومساندة المستضعفين والجهاد في سبيل الله فائما تتضمن دعوة للانسان إلى أن يستعد للسفر ويتأهب للرحيل وأن يتزوّد من الحياة الدنيا إلى الحياة الاخرى. فالدنيا دار ممر والآخرة دار مقرّ، والدنيا دار سفر والآخرة دار اقامة ومستقر. وما الحياة الدنيا إلا مزرعة الآخرة، فمن يزرع ورداً يحصد غداً ورداً ومن يزرع شوكة لا يجني في غده إلا شوكة. ان على الانسان أن يتزوّد في حياته الدنيا بكلّ ما ينفعه في حياته في عالم الآخرة.

الاستعداد للموت في الروايات

جاء في المعارف الاسلاميّة الكثير من الأحاديث حول هذا الموضوع وهو الاستعداد للموت والرحيل.

قيلَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: مَا الْإِسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ؟ قَالَ: أَدَاءُ الْفَرَائِضِ، اجْتِنَابُ الْمَحَارِمِ، وَالِإِسْتِمَالُ عَلَى الْمَكَارِمِ، ثُمَّ لَا يُبَالَى أَوْقَعَ عَلَى الْمَوْتِ أَمْ وَقَعَ

الْمَوْتُ عَلَيْهِ، وَاللَّهُ مَا يُبَالِي ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَوْقَعَ عَلَى الْمَوْتِ أَمْ وَقَعَ الْمَوْتُ عَلَيْهِ. (١)

وجاء في خطبة له عليه السلام وتدعى بـ «الوسيلة» .

لَا غَائِبَ أَقْرَبَ مِنَ الْمَوْتِ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ مَنْ مَشَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَإِنَّهُ يَصِيرُ إِلَى بَطْنِهَا وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مُسْرِعَانِ فِي هَدْمِ الْأَعْمَارِ وَلِكُلِّ ذِي رَمَقٍ قُوَّةٌ وَلِكُلِّ حَبَّةٍ آكِلٌ وَأَنْتَ قُوَّةُ الْمَوْتِ وَإِنَّ مَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ لَمْ يَعْغُلْ عَنِ الْإِسْتِعْدَادِ لَمْ يَنْجُ مِنَ الْمَوْتِ غَنِيٌّ بِمَالِهِ وَلَا فَقِيرٌ لِأَقْلَالِهِ. (٢)

وقال الصحابي الجليل سلمان المحمدي (الفارسي):

عَجِبْتُ بِسِتِّ ثَلَاثَةٍ أَضْحَكُنِّي وَثَلَاثَةٍ أَبْكُنُنِي فَأَمَّا الَّتِي أَبْكُنُنِي فَفَرَاقُ الْأَحَبَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَهَوْلُ الْمَطْلَعِ وَالْوُقُوفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَمَّا الَّتِي أَضْحَكُنُنِي فَطَالِبُ الدُّنْيَا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَعْقُولٍ عَنْهُ وَضَاحِكٌ مِلءَ فِيهِ وَلَا يَذَرِي أَرْضِي لَهُ أَمْ سَخِطَ. (٣)

عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: جُعِلْتُ فِدَاكَ، حَدَّثَنِي بِمَا أَنْتَفِعُ بِهِ،

١. بحار الأنوار: ٦٨/ ٢٦٣؛ مستدرک الوسائل: ٢/ ١٠٠.

٢. الأمالي: ٨٣ وقال عليه السلام في رسالة وجهها إلى الشعب المصري: عباد الله إنَّ الْمَوْتَ لَيْسَ مِنْهُ قُوَّةٌ فَاحْذَرُوا قَبْلَ وَقُوعِهِ وَأَعِدُّوا لَهُ عِدَّتَهُ فَإِنَّكُمْ طَرَدُ الْمَوْتِ إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ وَإِنْ فَرَزْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ وَهُوَ أَلَزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ الْمَوْتُ مَعْفُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ وَالْدُّنْيَا تُطَوَّى خَلْفَكُمْ فَأَكْثَرُوا ذِكْرَ الْمَوْتِ عِنْدَ مَا تُتَازَعُكُمْ إِلَيْهِ أَنْفُسُكُمْ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَكَفَى بِالْمَوْتِ وَاعِظًا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَثِيرًا مَا يُوصِي أَصْحَابَهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ فَيَقُولُ: أَكْثَرُوا ذِكْرَ الْمَوْتِ فَإِنَّهُ هَادِمُ اللَّذَّاتِ حَائِلُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الشَّهَوَاتِ - المترجم .

٣. بحار الأنوار: ٧٥/ ٤٥٣.

فَقَالَ: يَا أَبَا عُبَيْدَةَ! أَكْثَرَ ذِكْرِ الْمَوْتِ فَمَا أَكْثَرَ ذِكْرِ الْمَوْتِ إِنْسَانٌ إِلَّا زَهَدَ فِي الدُّنْيَا. (١)

سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْبَسُ؟ قَالَ أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلْمَوْتِ وَأَشَدَّهُمْ لَهُ اسْتِعْدَادًا. (٢)

وجاء في نهج البلاغة قوله أمير المؤمنين عليه السلام:

مَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ. (٣)

وسئل الإمام السجّاد عليه السلام:

مَا خَيْرٌ مَا يَمُوتُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ؟ قَالَ: أَنْ يَكُونَ قَدْ فَرَعَ مِنْ أَبْنِيَّتِهِ وَدُورِهِ وَقُصُورِهِ، قِيلَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: أَنْ يَكُونَ مِنْ دُنُوبِهِ تَائِبًا وَعَلَى الْخَيْرَاتِ مُقِيمًا يَرُدُّ عَلَى اللَّهِ حَبِيبًا كَرِيمًا. (٤)

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

إِذَا أُوْتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَانْظُرْ مَا سَلَكَتَ فِي بَطْنِكَ وَمَا كَسَبْتَ فِي يَوْمِكَ وَادْكُرْ أَنَّكَ مَيِّتٌ وَأَنْ لَكَ مَعَادًا. (٥)

اعْمَلْ عَلَى مَهَلٍ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ وَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ
فَكَأَنَّمَا قَدْ كَانَ لَمْ يَكُ إِذْ مَضَى وَكَأَنَّمَا هُوَ كَائِنٌ قَدْ كَانَ (٦)

* * *

١. بحار الأنوار: ٢٦٦/٦٨. ٢. بحار الأنوار: ٢٦٧/٦٨؛ الزهد: ٧٨.

٣. نهج البلاغة: الحكمة ٣٤٩، بحار الأنوار: ٢٦٧/٦٨.

٤. بحار الأنوار: ٢٦٧/٦٨. ٥. بحار الأنوار: ٢٦٧/٦٨.

٦. بحار الأنوار: ٢٦٥/٦٨.

أَنْتَ فِي غَفْلَةٍ وَقَلْبُكَ سَاهٍ نَفَدَ الْعُمْرُ وَالذُّنُوبُ كَمَا هِيَ
 جُمَّةٌ حَصَلَتْ عَلَيْكَ جَمِيعاً فِي كِتَابٍ وَأَنْتَ عَنْ ذَلِكَ سَاهِي
 لَمْ تُبَادِرْ بِتَوْبَةٍ مِنْكَ حَتَّى صِرْتَ شَيْخاً وَحَبْلُكَ الْيَوْمَ وَاهِي
 عَجَباً مِنْكَ كَيْفَ تَضْحَكُ جَهْلًا وَخَطَايَاكَ قَدْ بَدَتْ لِإِلَهِي
 فَتَفَكَّرْ فِي نَفْسِكَ الْيَوْمَ جَهْدًا وَسَلْ عَنْ نَفْسِكَ الْكَرَى يَا تَاهِي^(١)

خصائص الصحابة والتابعين الحقيقيين

أن يكون الانسان صحابياً وتابعياً ليس بالأمر اليسير ، لأن الصحابي الحقيقي والتابعي الحقيقي هو من يصحب رسول الله ﷺ حقاً وصدقاً ومن يتبع الرسول ﷺ بالاحسان والحق والايمان .

يتعين على الصحابي الحقيقي والتابعي الحقيقي أن يستمر في التزامه بالميثاق وأن يقتدي بالرسول الأكرم ﷺ في سيرته المثلى ويكون مثلاً للمسلم الحقيقي الملتزم بالشريعة .

أما الذين انتهكوا الميثاق ونكثوا البيعة وظلموا ومارقوا عن الدين وحاربوا أئمة الحق والعدل وتعربوا بعد الهجرة وناققوا في دينهم فاولئك ليسوا بأصحاب حقيقيين ولا تابعين حقيقيين فالصحبة لها شروط والتبعية لها شروط هي الاخرى وفي طليعتها الايمان بالله والتقوى والورع عن محارم الله .

روى الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عن جدّه النبي الأكرم ﷺ انه

قال:

الإيمانُ إقرارٌ باللسانِ، ومعرفةٌ بالقلبِ، وعملٌ بالأركانِ.^(١)

فمن أضاع قلبه نور الايمان وعرف أنه لا معبود له سوى الله عزوجل وجرى ذلك على لسانه وأقام الصلاة وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وصان جوارحه عن ارتكاب المعاصي، فهذا هو المؤمن الحقيقي الذي هداه الله عزوجل إلى طريقه المستقيم.

وهؤلاء المؤمنون بالله حقاً وصدقاً لا يثنى عنهم عن ايمانهم شيء فلو عذبوا وقهروا وتعرضوا للاضطهاد فانهم سيثبتون على الايمان ويصمدون كالجبل الأشم بل المؤمن أقوى من الجبل.

هؤلاء يصبحون كالشموع تضيء الدرب للآخرين ويكون وجودهم مصدر خير وبركة لغيرهم.

يقول أحد العرفاء:

إنّ الانسان إذا ذاق طعم الايمان وحظي بمقام القرب وارتوى من شراب اللطف، طهر قلبه من النفاق وعمله من الرياء.

فلا تجد في قلبه سوى حبّ الله، فاذا نظر إلى ما حوله من الخلق الالهي والابداع الرباني كانت نظراته للاعتبار يستلهم من نظراته الدروس والعبر.

ولا يصغي إلا إلى صوت الحق تتدفق من كتاب الله قرآناً غير ذي عوج ولا يستمع إلا إلى أحاديث أهل البيت الكرام (عليه السلام) الذين هم عدل القرآن ومفسروه قد

١. بحار الأنوار: ٣٦٧/١٠؛ عيون اخبار الرضا (عليه السلام): ٢٢٧/١.

سَلِّمُوا أَمْرَهُمْ إِلَى اللَّهِ وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ .

فاذا جاء الأجل وهمدت أجسادهم وخمدت الحياة في عروقهم حسبهم
الناس موتى وما هم موتى وإنما انتقلوا إلى عالم القرب الالهي فهم :
أَمْوَاتٌ عِنْدَ الْخَلْقِ، أَحْيَاءٌ عِنْدَ الرَّبِّ. ^(١)

ذروة الايمان

جاء في اصول الكافي في باب: «فى أَنَّ الْإِيمَانَ مَبْنُوتٌ لِجَوَارِحِ الْبَدَنِ كُلِّهَا»
و«وسائل الشيعة»: «بَابُ الْفُرُوضِ عَلَى الْجَوَارِحِ وَوُجُوبُ الْقِيَامِ بِهَا» رواية غاية
في الأهمية :

حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرِو الزُّبَيْرِيُّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ: أَيُّهَا الْعَالِمُ أَخْبِرْنِي
أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا لَا يَقْبَلُ اللَّهُ شَيْئاً إِلَّا بِهِ، قُلْتُ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ:
الْإِيمَانُ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَعْلَى الْأَعْمَالِ دَرَجَةً وَأَشْرَفُهَا مَنْزِلَةً وَأَسْنَاهَا
حَقًّا، قَالَ: قُلْتُ: أَلَا تُخْبِرُنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ أَقُولُ هُوَ وَعَمَلٌ أَمْ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ؟ فَقَالَ:
الْإِيمَانُ عَمَلٌ كُلُّهُ وَالْقَوْلُ بَعْضُ ذَلِكَ الْعَمَلِ بِفَرْضٍ مِنَ اللَّهِ بَيِّنٌ فِي كِتَابِهِ
وَاضِحٌ نُورُهُ ثَابِتَةٌ حُجَّتُهُ يَشْهَدُ لَهُ بِهِ الْكِتَابُ وَيَدْعُوهُ إِلَيْهِ، قَالَ: قُلْتُ: صِفْهُ
لِي جُعِلَتْ فِدَاكَ حَتَّى أَفْهَمَهُ، قَالَ: الْإِيمَانُ خَالَاتٌ وَدَرَجَاتٌ وَطَبَقَاتٌ وَمَنَازِلُ
فَمِنْهُ النَّامُ الْمُنْتَهَى تَمَامُهُ وَمِنْهُ النَّاقِصُ الْبَيِّنُ نَقْصَانُهُ وَمِنْهُ الرَّاجِحُ الزَّائِدُ
رُجْحَانُهُ، قُلْتُ: إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَتِمُّ وَيَنْقُصُ وَيَزِيدُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: كَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ:
لَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَرَضَ الْإِيمَانَ عَلَى جَوَارِحِ ابْنِ آدَمَ وَقَسَمَهُ عَلَيْهَا

وَفَرَّقَهُ فِيهَا فَلَيْسَ مِنْ جَوَارِحِهِ جَارِحَةٌ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَتْ مِنَ الْإِيمَانِ بِغَيْرِ مَا وُكِّلَتْ بِهِ أُخْتُهَا فَمِنْهَا قَلْبُهُ الَّذِي بِهِ يَعْقِلُ وَيَفْقَهُ وَيَفْهَمُ وَهُوَ أَمِيرُ بَدَنِهِ الَّذِي لَا تَرُدُّ الْجَوَارِحُ وَلَا تَصُدُّ إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ وَأَمْرِهِ وَمِنْهَا عَيْنَاهُ اللَّتَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا وَأُذُنَاهُ اللَّتَانِ يَسْمَعُ بِهِمَا وَيَدَاهُ اللَّتَانِ يَبْطِشُ بِهِمَا وَرِجْلَاهُ اللَّتَانِ يَمْشِي بِهِمَا وَفَرْجُهُ الَّذِي الْبَاءُ مِنْ قَبْلِهِ وَلِسَانُهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ وَرَأْسُهُ الَّذِي فِيهِ وَجْهُهُ فَلَيْسَ مِنْ هَذِهِ جَارِحَةٌ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَتْ مِنَ الْإِيمَانِ بِغَيْرِ مَا وُكِّلَتْ بِهِ أُخْتُهَا بِفَرَضٍ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ اسْمُهُ يَنْطِقُ بِهِ الْكِتَابُ لَهَا وَيَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهَا فَفَرَضَ عَلَى الْقَلْبِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَى السَّمْعِ وَفَرَضَ عَلَى السَّمْعِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَى الْعَيْنَيْنِ وَفَرَضَ عَلَى الْعَيْنَيْنِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَى اللِّسَانِ وَفَرَضَ عَلَى اللِّسَانِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَى الْيَدَيْنِ وَفَرَضَ عَلَى الْيَدَيْنِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَى الرَّجْلَيْنِ وَفَرَضَ عَلَى الرَّجْلَيْنِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَى الْفَرْجِ وَفَرَضَ عَلَى الْفَرْجِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَى الْوُجْهِ فَأَمَّا مَا فَرَضَ عَلَى الْقَلْبِ مِنَ الْإِيمَانِ فَالْإِقْرَارُ وَالْمَعْرِفَةُ وَالْعَقْدُ وَالرِّضَا وَالتَّسْلِيمُ بَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ إِلَهًا وَاحِدًا لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ص وَالْإِقْرَارُ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مِنْ نَبِيٍّ أَوْ كِتَابٍ فَذَلِكَ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى الْقَلْبِ مِنَ الْإِقْرَارِ وَالْمَعْرِفَةِ وَهُوَ عَمَلُهُ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ وَقَالَ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ وَقَالَ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ وَقَالَ: ﴿إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ فَذَلِكَ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْقَلْبِ مِنَ الْإِقْرَارِ وَالْمَعْرِفَةِ وَهُوَ عَمَلُهُ وَهُوَ

رَأْسِ الْإِيمَانِ وَفَرَضَ اللَّهُ عَلَى اللِّسَانِ الْقَوْلَ وَالتَّعْبِيرَ عَنِ الْقَلْبِ بِمَا عَقَدَ عَلَيْهِ
وَأَقَرَّ بِهِ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ وَقَالَ: ﴿ وَقُولُوا
أَمَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَيْهَا وَإِلَيْكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ
مُسْلِمُونَ ﴾ فَهَذَا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى اللِّسَانِ وَهُوَ عَمَلُهُ وَفَرَضَ عَلَى السَّمْعِ أَنْ
يَتَنَزَّهَ عَنِ الاسْتِمَاعِ إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَأَنْ يُعْرِضَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُ مِمَّا نَهَى اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ وَالْإِصْغَاءِ إِلَى مَا أَسْخَطَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ فِي ذَلِكَ: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ
عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا
تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ ثُمَّ اسْتَنْتَنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
مَوْضِعَ النَّسْيَانِ فَقَالَ: ﴿ وَإِنَّمَا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ
الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ وَقَالَ: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ
أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ:
﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ
اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾ وَقَالَ: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ
أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ﴾ وَقَالَ: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ
مَرُّوا كِرَامًا ﴾ فَهَذَا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى السَّمْعِ مِنَ الْإِيمَانِ أَنْ لَا يُصْغِيَ إِلَى مَا لَا
يَحِلُّ لَهُ وَهُوَ عَمَلُهُ وَهُوَ مِنَ الْإِيمَانِ وَفَرَضَ عَلَى الْبَصَرِ أَنْ لَا يَنْظُرَ إِلَى مَا حَرَّمَ
اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْ يُعْرِضَ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِمَّا لَا يَحِلُّ لَهُ وَهُوَ عَمَلُهُ وَهُوَ مِنَ
الْإِيمَانِ فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا
فُرُوجَهُمْ ﴾ فَتَنَاهَاهُمْ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى عَوْرَاتِهِمْ وَأَنْ يَنْظُرَ الْمَرْءُ إِلَى فَرْجِ أَخِيهِ
وَيَحْفَظَ فَرْجَهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ وَقَالَ: ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ

وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴿ مِنْ أَنْ تَنْظُرَ إِحْدَاهُنَّ إِلَى فَرْجِ أُخْتِهَا وَتَحْفَظَ فَرْجَهَا مِنْ أَنْ يُنْظَرَ إِلَيْهَا وَقَالَ: كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ مِنْ حِفْظِ الْفَرْجِ فَهُوَ مِنَ الرَّثَا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ فَإِنَّهَا مِنَ النَّظَرِ، ثُمَّ نَظَمَ مَا فَرَضَ عَلَى الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ فِي آيَةٍ أُخْرَى فَقَالَ: ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُّونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ ﴾ يَعْنِي بِالْجُلُودِ الْفُرُوجَ وَالْأَفْخَادَ وَقَالَ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ فَهَذَا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى الْعَيْنَيْنِ مِنْ غَضِّ الْبَصَرِ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ وَهُوَ عَمَلُهُمَا وَهُوَ مِنَ الْإِيمَانِ وَفَرَضَ اللَّهُ عَلَى الْيَدَيْنِ أَنْ لَا يَبْطِشَ بِهِمَا إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَأَنْ يَبْطِشَ بِهِمَا إِلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ وَفَرَضَ عَلَيْهِمَا مِنَ الصَّدَقَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالطَّهُّورِ لِلصَّلَاةِ فَقَالَ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ وَقَالَ: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِذَا مَنَا بَعْدُ وَإِنَّا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ فَهَذَا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى الْيَدَيْنِ لِأَنَّ الضَّرْبَ مِنْ عِلَاجِهِمَا وَفَرَضَ عَلَى الرَّجْلَيْنِ أَنْ لَا يَمْشِيَ بِهِمَا إِلَى شَيْءٍ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ وَفَرَضَ عَلَيْهِمَا الْمَشْيَ إِلَى مَا يُرْضِي اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ فَقَالَ: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ وَقَالَ: ﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ وَقَالَ فِيمَا شَهِدَتِ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ عَلَى أَنْفُسِهِمَا وَعَلَى أَرْبَابِهِمَا مِنْ تَضْيِيعِهِمَا لِمَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ بِهِ وَفَرَضَهُ عَلَيْهِمَا: ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ

عَلَى أَقْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿ فَهَذَا
 أَيْضًا مِمَّا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى الْيَدَيْنِ وَعَلَى الرَّجْلَيْنِ وَهُوَ عَمَلُهُمَا وَهُوَ مِنَ الْإِيمَانِ
 وَفَرَضَ عَلَى الْوُجْهِ السُّجُودَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ فَقَالَ: ﴿ يَا
 أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ
 تُفْلِحُونَ ﴾ فَهَذِهِ فَرِيضَةٌ جَامِعَةٌ عَلَى الْوُجْهِ وَالْيَدَيْنِ وَالرَّجْلَيْنِ وَقَالَ فِي
 مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ وَقَالَ فِيمَا فَرَضَ
 عَلَى الْجَوَارِحِ مِنَ الطَّهُورِ وَالصَّلَاةِ بِهَا وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ لَمَّا صَرَفَ
 نَبِيَّهُ ﷺ إِلَى الْكَعْبَةِ عَنِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ
 لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ فَسَمِيَ الصَّلَاةُ إِيْمَانًا فَمَنْ
 لَقِيَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ حَافِظًا لِحَوَارِجِهِ مُوفِيًا كُلَّ جَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِهِ مَا فَرَضَ اللَّهُ
 عَزَّوَجَلَّ عَلَيْهَا لَقِيَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ مُسْتَكْمِلًا لِإِيْمَانِهِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ
 خَانَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا أَوْ تَعَدَّى مَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فِيهَا لَقِيَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ نَاقِصَ
 الْإِيْمَانِ قُلْتُ قَدْ فَهِمْتُ نَقْصَانَ الْإِيْمَانِ وَتَمَامَهُ فَمِنْ أَيْنَ جَاءَتْ زِيَادَتُهُ فَقَالَ قَوْلُ
 اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَيْكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ
 إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي
 قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ ﴾ وَقَالَ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ
 نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ وَلَوْ كَانَ كُلُّهُ وَاحِدًا لَا
 زِيَادَةَ فِيهِ وَلَا نَقْصَانَ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فَضْلٌ عَلَى الْآخَرِ وَلَا سَتَوَاتِ النِّعَمِ فِيهِ
 وَلَا سَتَوَى النَّاسِ وَبَطَلَ التَّفْضِيلُ وَلَكِنْ بِنِّتَامِ الْإِيْمَانِ دَخَلَ الْمُؤْمِنُونَ الْجَنَّةَ
 وَبِالزِّيَادَةِ فِي الْإِيْمَانِ تَفَاضَلَ الْمُؤْمِنُونَ بِالدَّرَجَاتِ عِنْدَ اللَّهِ وَبِالنَّقْصَانِ دَخَلَ

الْمُفَرِّطُونَ النَّارَ»^(١).

فكيف بالصحابي الذي أخلّ بواحدة من هذه الثلاث أن يدخل الجنة ويستثنى من العقاب الالهي؟! من العقاب الالهي؟! من العقاب الالهي؟! من العقاب الالهي؟!

وهذا هو التاريخ يشهد على عدد من الصحابة اتبعوا الهوى وانحرفوا عن جادة الصواب فطعنوا الاسلام في الصميم طعنة نجلاء وتسببوا في إيجاد انحرافات خطيرة عن الدين ما نزال نعاني من ويلاتها حتى الآن.

فكيف يمكن أن نفتدي بهم وأن نعتبرهم مجتهدين وأنهم أتقياء مؤمنين؟! من العقاب الالهي؟!

روى الامام جعفر الصادق عليه السلام عن جدّه الأكرم عليه السلام أنّه قال:

لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّحَلِّيِّ وَلَا بِالنَّمَتِ وَلَكِنَّ الْإِيمَانَ مَا خُلِصَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَّقَهُ الْأَعْمَالُ^(٢).

الايمان الحقيقي في كلام العارف علي شاه

يعرّف كبار عرفاء الشيعة الايمان الحقيقي بأنه التصديق بجميع الأنبياء والرسل والأوصياء الالهية وبالملائكة والكتب السماوية وبالقيامة والمعاد والجزاء والحساب وازافة إلى ذلك عدم التلوّث بالذنوب والمعاصي والآثام يقول علي شاه:

اعلم انّ الحقّ تعالى جعل من ملكوت الأرواح طريقاً إلى الروح وفتح من الروح طريقاً إلى القلب وجعل من القلب طريقاً إلى النفس ومن النفس طريقاً إلى

١. الكافي : ٣٣/ ٢ - ٣٧.

٢. بحار الأنوار: ٧٢/ ٦٦؛ تحف العقول: ٣٧٠؛ معاني الأخبار: ١٨٧.

قالب الصورة حتى تعلم ان كل مدد وفيض يصل إلى الروح من عالم الغيب يصل ذلك الطريق إلى القلب ومن القلب يتخذ طريقه إلى النفس ومن النفس يصل أثره إلى القالب فيظهر من القالب عمل مناسب.

فاذا ظهر على صورة القالب عمل ظلماني شيطاني وصل أثر تلك الظلمة إلى النفس ومن النفس تصل كدورة إلى القلب ومن القلب تصل غشاوة إلى الروح وتجعل نورانية الروح في الحجاب كما تحيط الهالة بالقمر وبقدر ذلك الحجاب ينغلق طريق الروح إلى عالم الغيب ويعجز عن مطالعة ذلك ويتلقى من مدد الفيض الضئيل؛ وكلما زاد ذلك العمل الظلماني على القالب زاد أثر الظلمة على الروح وتكاثر حجابها وبقدر ذلك الحجاب انحسر بصر الروح وسمعها ونطقها وعلمها. واما إذا لم تصله المطالعة على قانون الشريعة - والعياذ بالله - فيخشى عليه من سوء الخاتمة ويتصف بصفة:

﴿صُمُّكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾. (١)

وهذه الجملة مثل الطلسم الذي ربط الحق تعالى الجسماني بالروحاني وجعل الشريعة مفتاحاً لذلك الطلسم.

الشريعة والطريقة

والشريعة ظاهر وباطن وظاهرها أعمال البدن حيث مفتاح طلسم صورة القالب وجعل لذلك المفتاح خمسة أسنان:

بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، عَلَى الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَالْوَلَايَةِ، وَلَمْ

١. سورة البقرة (٢): ١٧١.

يُنَادِ بِشَيْءٍ كَمَا نُودِيَ بِالْوَلَايَةِ^(١)

ذلك ان طلسم صورة القلب مرتبط بالحواس الخمس وجعل فتحه بالمفتاح ذي الخمسة اسنان «بني الاسلام على خمس» وباطن الشريعة اعمال القلب والسرّ والروح، ودعي ذلك بـ «الطريقة» والطريقة مفتاح طلسم باطن الانسان حتّى يجد طريقه إلى عالم الحقيقة.

أنواع الخلائق

والخلائق نوعان: الأنبياء وأممهم، فظهر الأنبياء في عالم الحقيقة وأوصلهم بمفتاح مدد الفيض الرباني والروحانية إلى عالم الغيب حيث كان قلوبهم في أصل الفطرة، ثم فتح بمفتاح الطريقة طلسم قلوبهم حتّى يصل إليها مدد الفيض، ثم فتح بمفتاح الشريعة في طلسمات النفس حتّى يصلها أثر الفيض وتبدو الأعمال البدنيّة على صورة ظاهر القلب فتنورت الجسمانيّة من الروحانيّة مثلما اخبر الحال النبويّ المقدّس ﷺ بهذا القانون:

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾^(٢)

أمّا الأمّة فظهرت في عالم الصورة ففتح طلسم قلبها في البداية بمفتاح صورة الشرع ومن ثمّ بمفتاح الطريقة فتحت طلسمات باطنها وكذلك وجدت طريقها إلى

١. الكافي: ١٨/٢؛ وسائل الشيعة: ١٨/١.

٢. سورة الشورى (٤٢): ٥٢.

عالم الغيب .

أما بدءاً فما لم تعطى تصرف مفتاح الشريعة على قانون الأمر وتتابع فلن ترى خلاصاً من طلسم الصورة، واعطاء تصرف مفتاح الشريعة يمنح كل عضو ما يشغله بما أمر ويجتنب عما نهى عن القيام من فعل حتى تستقر صورة الانسان على نحو صحيح فاذا استقرت ظهر أثر الصدق على اللسان وانتقل من اللسان إلى القلب ومن القلب إلى الغيب ووصل نور الغيب إلى القلب.

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾. (١)

وكلما زاد ظهور استقامة الايمان بالغيب وأعمال البدن على الغالب تضاعف نور الايمان الواصل من الغيب في القلب .

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾. (٢)

فاذا وصل ترتيب صورة الغالب على قانون الشريعة حد الكمال وصل الايمان في القلب إلى الكمال، كما جاء ذلك في الحديث النبوي الشريف :

لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ. (٣)

الحواس الخمس في الشريعة

فأما أركان الشريعة الخمسة، فهي اسنان مفتاح طلسم الحواس الخمس، ذلك أنه بواسطة الحواس الخمس تظهر آفات وحجب توصله إلى مقام البهائم والأنعام

١. سورة البقرة (٢) : ٣. ٢. سورة الفتح (٤٨) : ٤.

٣. عوالي اللآلي : ١ / ٢٧٨؛ مجموعة ورام : ١ / ١٠٥.

بل إلى ما هو أدنى من ذلك إذ أنه إذا ظلّ في ذلك المقام، ولم يفتح هذا الطلسم ولم ينبج من هذه الصفة صدق بشأنه قوله تعالى :

﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ^(١)﴾

وانقص البهائم والأنعام من تمتعهم في مراتع العالم الحيواني السفلي بواسطة حواس خمس :

أولاً: حسّ البصر فالكلّ يريد رؤية الصورة الحسنة ولا يريد رؤية الصورة غير الحسنة .

ثانياً: حسّ السمع فالكلّ يريد سماع الصوت الحسن ويخشى سماع الأصوات المهيبة .

ثالثاً: حاسة الشم فالكلّ يريد شمّ الروائح الطيبة وينفر من الروائح الكريهة .
رابعاً: حاسة الذوق فالكلّ يريد تذوق الأشياء الطيبة ويحترز من تذوق المأكولات غير الطيبة .

خامساً: حاسة اللمس وهذه تتعلّق بالجسد، فتستوفى جميع الشهوات واللذات البهيمية والحيوانية بالجسد، فلا يكون خبر عن العالم الآخر ولا يتمتّع بوسيلة يعرف بها شيئاً عن العالم العلوي والآخرة الباقية .

واذن تمتع الآدمي بهذه الحواس الخمس ليدرك بها عالم الغيب وحرم من ذلك البهائم . فاذا انشغل الانسان بالتمتّع بالمراتع البهيمية والحيوانية وأعرض عن تمتّعات عالم الغيب نهائياً فإنه يمسي كالبهائم بل أضلّ سبيلاً؛ ذلك أن كلّ قوّة

١. سورة الأعراف (٧) : ١٧٩ .

شهوانية وحيوانية وآلاتها التي لدى مجموع البهائم والسباع والوحوش وغيرها موجودة لدى الانسان يضاف إليها شهوة اخرى هي النفسانية التي لا تملكها الحيوانات .

اذن فلأن الانسان ينشغل تماماً بالتمتعات الحيوانية وعطل لديه الشهوات النفسانية وضيعها، وهي ليست موجودة لدى الحيوانات، فاذا ترك الانسان التمتعات البهيمية والحيوانية نهائياً بقي متخلفاً عن تربية القلب وحرّم من فوائد ذلك .

فانزلت الشريعة ليكون الميل إلى المراتع البهيمية والتمتعات الحيوانية بالأمر لا بالطبع ذلك انه من الطبع تنشأ كل ظلمة وكدر ومن الأمر ينشأ كل نور وإيمان؛ ذلك أنه لما أصبح بالطبع فالكل يرى نفسه ولا يرى الحق وهذا كله ظلمة وحجاب، ولأنه كان بالأمر فالجميع يرى الحق ولا يرى النفس، وهذا كله عين النور ورفع الحجب .

ومسألة أخرى هي أن كل ظلمة وحجاب في القلب فإنها تظهر بواسطة الحركات الطبيعية وتكون موافقة لمراد النفس وبواسطة الأمور الشرعية تخالف مراد النفس .

وكل ركن من أركان شريعته تذكّر بالمقرّر الأول ومجيئه من عالم الارشاد ذلك ومرجعه إلى مقامه وهو جوار رب العالمين وهو يعاونه في رجعته مثلما تخبر كلمة لا إله إلا الله عن عالم الوجدانية ولأن تلك الحالة لا واسطة فيها بينه وبين الحق تعالى، فيظهر الشوق إلى ذلك العالم في قلبه، فيتمنى العودة وينزع قلبه من هذا

العالم السفلي وتصبح الشهوات البهيمية مرة لديه ويقبل بقلبه وروحه على الله. (١)

الايان الكامل في الروايات

جاء في الحديث الشريف عن النبي الأكرم ﷺ في موضوع الايمان الكامل قوله:

الْإِيمَانُ فِي عَشْرَةٍ: الْمَعْرِفَةُ، وَالطَّاعَةُ، وَالْعِلْمُ، وَالْعَمَلُ، وَالْوَرَعُ، وَالْإِجْتِهَادُ، وَالصَّبْرُ، وَالْيَقِينُ، وَالرِّضَا، وَالْتِسْلِيمُ، فَأَيُّهَا فَقَدْ صَاحِبُهُ بَطَلَ نِظَامُهُ. (٢)

وقال الامام جعفر الصادق عليه السلام:

مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ، وَأَبْغَضَ اللَّهَ، وَأَعْطَى اللَّهَ، وَمَنْعَ اللَّهَ، فَهُوَ مِمَّنْ كَمَلَ إِيْمَانُهُ. (٣)

وقال أيضاً:

ثَلَاثٌ مِنْ عِلَامَاتِ الْمُؤْمِنِ: عِلْمُهُ بِاللَّهِ، وَمَنْ يُحِبُّ، وَمَنْ يُبْغِضُ. (٤)

وقال رسول الله ﷺ:

الزُّمُومَا مَوَدَّتَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَإِنَّهُ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ يُحِبُّنَا دَخَلَ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَنْتَفِعُ عَبْدٌ بِعَمَلِهِ إِلَّا بِمَعْرِفَتِنَا. (٥)

أجل الولاء لأهل البيت عليهم السلام ومعرفتهم والتمسك بهم وترسم خطاهم والسير في طريقهم هو الذي يؤدي إلى النجاة في يوم القيامة.

١. مراحل السالكين ٤٣ - ٤٧. ٢. بحار الأنوار: ٦٦/ ١٧٥؛ كنز الفوائد: ١١/ ٢.

٣. بحار الأنوار: ٦٦/ ٢٣٨؛ وسائل الشيعة: ١٦/ ١٦٩.

٤. الكافي: ١٢٦/ ٢؛ وسائل الشيعة: ١٦/ ١٦٨.

٥. الأمالي، الشيخ المفيد: ١٣؛ بحار الأنوار: ٢٧/ ١٠١.

إنّ الولاية على الناس مقام لا يبلغه الانسان هكذا وإنّما هي استحقاق الأنبياء والأوصياء الذين امتحنهم الله عزّ وجلّ وظهر اخلاصهم وصدقهم، فقد زكت نفوسهم وتطهرت قلوبهم وسمت أرواحهم.

يقول الامام جعفر الصادق (عليه السلام):

إِنَّ صَاحِبَ الدِّينِ فَكَّرَ فَعَلَّتُهُ السَّكِينَةُ، وَاسْتَكَانَ فَتَوَاضَعَ، وَقَنَعَ فَاسْتَعْنَى
وَرَضِيَ بِمَا أُعْطِيَ، وَانْقَرَدَ فَكُفِيَ الْأَحْزَانُ، وَرَفَضَ الشَّهَوَاتِ فَصَارَ حُرّاً، وَخَلَعَ
الدُّنْيَا فَتَحَامَى الشُّرُورُ، وَطَرَحَ الْحَسَدَ فَظَهَرَتِ الْمَحَبَّةُ، وَلَمْ يُخَفِ النَّاسَ فَلَمْ
يَخَفْهُمْ، وَلَمْ يُذْنِبْ إِلَيْهِمْ فَسَلِمَ مِنْهُمْ، وَسَخَتْ نَفْسُهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ فَفَازَ
وَاسْتَكَمَلَ الْفَضْلَ، وَأَبْصَرَ الْعَافِيَةَ فَأَمِنَ النَّدَامَةَ.^(١)

أجل ان من خصائص المؤمن معرفة النفس فلا نرجسية ولا انانية ولا عجب بالنفس لديه، لأنّ العجب منشأ جميع الآفات والذنوب.

والمؤمن لا يرى إلا الله عزّ وجلّ ومن كان لا يرى نفسه ويرى الله وحده فأنّه يصبح مرآة لصفات الله عزّ وجلّ وأسمائه تغمره رحمة الله سبحانه.

ومن كان نرجسياً انانياً مغوراً فان كيانه أجوف خال من المعرفة ومن كان أجوفاً فارغاً فأنّه يصبح كالريشة تعبت بها الرياح وتلقي بها في مهاوي الضياع والخسران.

معرفة الامامة والولاية

قال الامام محمد الباقر (عليه السلام) في موضوع معرفة الامامة والولاية:

١. الأملاني، الشيخ المفيد: ٥٢؛ بحار الأنوار: ٦٦/ ٢٧٧.

نِزْوَةُ الْأَمْرِ، وَسَنَامُهُ، وَمِفْتَاحُهُ، وَبَابُ الْأَشْيَاءِ وَرِضَى الرَّحْمَنِ: طَاعَةُ الْإِمَامِ
بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ
وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ (١). (٢)

في ضوء الأحاديث والروايات لدى أهل السنة والشيعة فإن القائد الواجب
الطاعة بعد رسول الله ﷺ هي الامام علي عليه السلام والذي بلغ رسول الله ﷺ ولايته في
يوم ١٨ ذي الحجة الحرام في وادي غدير خم في طريق العودة من حجة الوداع.
وقد بايعه المسلمون في ذلك اليوم المشهود وكان أبوبكر وعمر في طليعة
المبايعين والمنتهيين.

فالذين بقوا على عهدهم وبيعتهم إلى آخر عمرهم هم الصحابة الحقيقيون
واتباع النبي الأكرم حقاً وصدقاً.

فكيف يمكن نكث ونقض وحارب أيجوز أن نتخذهم قدوة وكيف يحق لهم أن
يدعوا أنهم اتبعوا أمر الله ورسوله حتى يشملهم رضوان الله سبحانه؟!!

أصحاب الأخلاق الحسنة

روى الامام محمد الباقر عليه السلام عن جده الأكرم ﷺ أنه قال:

إِنَّ خِيَارَكُمْ أَوْلُوا النَّهْيِ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ أَوْلُوا النَّهْيِ؟ قَالَ: هُمْ أَوْلُوا
الْأَخْلَاقَ الْحَسَنَةَ، وَالْأَخْلَامَ الرَّزِينَةَ، وَصِلَةَ الْأَرْحَامِ، وَالْبَرَّةَ بِالْأُمَّهَاتِ
وَالْأَبَاءِ، وَالْمُتَعَاهِدِينَ لِلْفُقَرَاءِ وَالْجِيرَانِ وَالْيَتَامَى، وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ،

١. سورة النساء (٤): ٨٠.

٢. مستدرک الوسائل: ١٧/ ٢٦٨، الأمالي، الشيخ المفيد: ٦٨ - ٦٩.

وَيُفْشُونَ السَّلَامَ فِي الْعَالَمِ، وَيُصَلُّونَ وَالنَّاسُ نِيَامٌ غَافِلُونَ^(١).

وقال الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

طُوبَى لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ، وَطَابَ كَسْبُهُ، وَصَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ، وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ،
وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ، وَعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ،
وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ، وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَى بِدْعَةٍ^(٢).

جاء رجل إلى الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقال له: يا ابن رسول الله أخبرني
بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، فَقَالَ: الْعَفْوُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَصِلَّةُ مَنْ قَطَعَكَ، وَإِعْطَاءُ مَنْ حَرَمَكَ،
وَقَوْلُ الْحَقِّ وَلَوْ عَلَى نَفْسِكَ^(٣).

وروى علي بن ميمون قال: سمعت الامام الصادق عليه السلام يقول:

مَنْ أَرَادَ أَنْ يُدْخِلَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فِي رَحْمَتِهِ، وَيُسْكِنَهُ جَنَّتَهُ، فَلْيُحْسِنْ خُلُقَهُ،
وَلْيُعْطِ النَّصْفَةَ مِنْ نَفْسِهِ، وَلْيَرْحَمْ الْيَتِيمَ، وَلْيُعِنِ الضَّعِيفَ وَلْيَتَوَاضَعَ لِلَّهِ
الَّذِي خَلَقَهُ^(٤).

عَنْ جَرَّاحِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَلَا أُحَدِّثُكَ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ؟
قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: الصَّفْحُ عَنِ النَّاسِ، وَمُوَاسَاةُ الرَّجُلِ أَخَاهُ فِي مَالِهِ، وَذِكْرُ اللَّهِ
كَثِيرًا^(٥).

١. بحار الأنوار، ٦٦/ ٣٠٥؛ الكافي: ٢/ ٢٤٠.

٢. نهج البلاغة: الحكمة ١٢٣؛ مستدرک الوسائل: ٢/ ٣٧٧.

٣. بحار الأنوار: ٦٦/ ٣٦٨؛ معاني الأخبار: ١٩١.

٤. بحار الأنوار: ٦٦/ ٣٧٠؛ الأمالي، الشيخ الصدوق: ٣٨٩.

٥. بحار الأنوار: ٦٦/ ٣٧٢؛ معاني الأخبار: ١٩١.

وجاء في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ أنه قال :

سَبْعَةٌ فِي ظِلِّ عَرْشِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ إِمَامٌ عَادِلٌ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِيَمِينِهِ فَأَخْفَاهُ عَنْ شِمَالِهِ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَالِيًا فَقَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَرَجُلٌ لَقِيَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ فَقَالَ إِنِّي لِأَحِبُّكَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَجُلٌ خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ وَفِي نَيْتِهِ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ جَمَالٍ إِلَى نَفْسِهَا فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ. (١)

وروى الامام جعفر الصادق عليه السلام قال :

أَتَى النَّبِيُّ ص بِأَسَارَى فَأَمَرَ بِقَتْلِهِمْ مَا خَلَا رَجُلًا مِنْ بَيْنِهِمْ فَقَالَ الرَّجُلُ كَيْفَ أَطْلَقْتَ عَنِّي مِنْ بَيْنِهِمْ فَقَالَ أَخْبَرَنِي جَبْرَائِيلُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَنَّ فِيكَ خَمْسَ خِصَالٍ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ الْغَيْرَةُ الشَّدِيدَةُ عَلَى حَرَمِكَ وَالسَّخَاءُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَصِدْقُ اللِّسَانِ وَالشَّجَاعَةُ فَأَسْلَمَ الرَّجُلُ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ. (٢)

أَتَيْنَاكَ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا	لِتَرْحَمَنَا مِمَّا لَقِينَا مِنَ الْأَزْلِ
أَتَيْنَاكَ وَالْعَذْرَاءُ يَذْمَى لَبَائِهَا	وَقَدْ شُغِلَتْ أُمُّ الْبَنِينَ عَنِ الطُّفْلِ
وَأَلْقَى بِكَفِّهِ الْفَتَى اسْتِكَانَةً	مِنَ الْجُوعِ ضَعْفًا لَا يُمِرُّ وَلَا يُحْلِي
وَلَا شَيْءٍ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ عِنْدَنَا سِوَى	الْحَنْظَلِ الْعَامِيِّ وَالْعِلْهِزِ الْفَسْلِ
وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا إِلَيْكَ فِرَارُنَا	وَأَيْنَ فِرَارُ النَّاسِ إِلَّا إِلَى الرُّسُلِ

الراحة عند الموت

عبّر القرآن الكريم عن اللحظات الرهيبة التي يمر بها الانسان لدى مغادرة

٢. بحار الأنوار: ١٨ / ١٠٨.

١. بحار الأنوار: ٧١ / ٣٥٣ - ٣٥٤.

الروح الجسد ورحيلها إلى العالم الآخر فقد أشارت مجموعة من الآيات إلى ذلك وعبرت عنها بـ «سكر الموت» و «غمرات الموت» و «بلغت الحلقوم» و «بلغت التراقي»^(١).

وحالة «السكر» تعني سدّ جريان الماء ولأنّ الانسان يعيش في تلك اللحظات الرهيبة حالة من السكر والدوار فهي بمثابة السدّ يحول بين الانسان وعقله واحساسه فيضل طريق الحياة.

في تلك اللحظات تدهم الانسان عوامل مختلفة فمن جهة تأتي ملائكة الموت لقبض روحه ومن جهة أخرى تحضره أرواح المعصومين المقدّسة وأولياء الله تبشّره بالخلاص والنجاة من الجحيم والفوز بالجنة.

ومن جهة ثالثة الشياطين توسوس له في اللحظات الأخيرة من حياته.

ومن جهة رابعة يقلب المحتضر بصره ويتصفّح وجوه أحبّته وينظر إلى ما سيتركه من مال و ثراء ودنيا كان فيها يعيش والاهم من كلّ ذلك هو اجس الخشية والخوف التي تنتابه من رهبة الموت إلى جانب مشاعر الأمل بالله عزّوجلّ وبأولياء الله الذين كان يؤدّهم ويحبّهم.

وكثيراً ما كان القرآن الكريم يحذّر الانسان من هذه اللحظات ويحثّه على أن تكون نصب عينيه دائماً.

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾^(٢).

١. انظر الآيات في سورة ق: ١٩ والأنعام: ٩٣ والواقعة: ٨٣ والقيامة: ٢٦.

٢. سورة ق (٥٠): ١٩.

وسكرة الموت حالة تشبه السكر اذ يبدو الانسان في تلك اللحظات الأخيرة من حياته وكأنه سكران عندما تستغرق وجوده ارساهات الموت ومقدماته الرهيبة. وقد تبلغ من الشدة أن تحول بين الانسان وعقله ومشاعره فيضطرب ويتقلقل أثر انتزاع الروح فتتقلص عضلاته وتتحرج أنفاسه وكيف لا تعتربه هذه الحالة وهو يعيش لحظات الانتقال الرهيبة من عالم الدنيا الذي عاش فيه سنيًا طويلة متشبثًا بالحياة ممتدة فيها جذوره وعلاقاته، وها هي الجذور تجثت وها هي كل علاقاته تنقطع، وها هو الآن يعيش اللحظات الأخيرة يستنشق آخر أنفاسه بصعوبة ليخطو نحو عالم آخر لا يدري عنه شيئاً، سوى انه حفرة مظلمة تحت التراب تسودها برودة الموت الرهيب!

أجل هذه اللحظات التي يخشاها الجميع بما في ذلك الرسل والأنبياء والأوصياء، فقد ورد في الروايات ما يشير إلى تلك:

وَكَانَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عليه السلام يَقُولُ عِنْدَ الْمَوْتِ: «اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي فَإِنَّكَ كَرِيمٌ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي فَإِنَّكَ رَحِيمٌ» فَلَمْ يَزَلْ يُرَدِّدُهَا حَتَّى تُوَفِّيَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَكَانَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ خَفِيَ فِيهِ مَاءٌ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ وَ يُدْخِلُ يَدَهُ فِي الْقَدَحِ وَيَمْسَحُ وَجْهَهُ بِالْمَاءِ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى سَكَرَاتِ الْمَوْتِ. ^(١)

ويا لها من لحظات مصيرية يعيش الانسان فيها اضطراباً نفسياً بين شكوك وآمال ثم لا يجد ممّا فيه طريقاً للفرار ولا ملاذاً للهروب، لقد حلت النهاية وقد أذنت شمس الحياة بالمغيب وهكذا يواجه الانسان الحقيقة وجهاً لوجهاً وهذا ما كان عنه يحيد!

١. بحار الأنوار: ٢٤١/٧٨؛ الدعوات، الراوندي: ٢٥٠.

أجل الموت حقيقة يهرب منها الانسان باستمرار ولا يريد أن يفكر فيها! ذلك انه يتصور الموت فناً وزوالاً ونهاية للحياة! وليس نافذة تطل على عالم آخر ولا قنطرة يعبر من خلالها إلى حياة خالدة، ولا جسراً ينتقل خلاله من حياة مضطربة متقلبة تعصف بها رياح الزمن وعواصف المحن إلى حياة آمنة مستقرة مفعمة بالصفاء والطمأنينة ويغمرها السلام. وسكرات الموت حقيقة كحقيقة الموت ولا يمكن لأحد انكارها ذلك ان حالة النزاع حالة شاقة مترعة بالألم لأنها لحظات تعقبها حلول لحظة الموت الرهيبة.

فاذا كابر الانسان وأنكر يوم القيامة فلا يمكنه أبداً أن ينكر الموت، هذا القادم والزائر الذي يطرق كل الأبواب بل يدخل كل البيوت دون اذن من أحد.

الموت التدريجي

قال سبحانه وتعالى في محكم كتابه المجيد:

﴿كَأَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالتَّقَاتِ
السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾^(١)

هنالك تنفتح العين البرزخية ويكون البصر حديداً، فقد زالت الحجب وازيح الستار ويرى الانسان علامات وامارات العذاب والجزاء والعقاب وتترأى أعماله وتتجسد تجربته أمامه ويرى الحقيقة وحينئذ يؤمن الانسان بما كان ينكره ولكن ذلك سوف لن يجديه نفعاً.

والتراقي جمع ترقوة وهي مجموعة العظام التي تلف الحلقوم وعندما تصل

١. القيامة (٧٥): ٢٦ - ٣٠.

الروح إلى هذه النقطة فإن ذلك يعني اللحظات الأخيرة التي تسبق حلول الموت ومغادرة الروح الجسد أجل في هذه اللحظات يتراءى شبح الموت قائماً ينتزع الروح انتزاعاً فيتلوى المحتضر وتتأبه تقلصات شديدة وتسري شيئاً فشيئاً برودة الموت في أطرافه، ويلوح اليأس في عيون أحبائه فلقد حلت لحظة الفراق الأبدى.

تغيم المراثيات وترتج الصور وتنبهر الانفاس وتصدر عن الانسان حشرات متقطعة، فقد سرى الموت ووصلت الروح إلى الحلقوم ثم يجحظ البصر كأنه يرمق رحيل الروح:

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ﴾. (١)

وهكذا تغادر الروح الجسد وترحل النفس عائدة إلى ربها وبارئها:

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾. (٢)

وهكذا يأتي النداء إلى النفس الانسانية المطمئنة الواثقة بوعد الله الحق يدعوها إلى العودة والرجوع إلى ربها وبارئها دعوة مفعمة بالرضا: رضاها ورضا ربها وبارئها دعوة لهذه النفس الراضية المرضية للدخول إلى جنّة الله التي وعد بها عباده المخلصين.

«فما أروعها من دعوة! وما أعظمه وأكرمه من داع! وما أسعده من مدعو!

ويراد بالنفس هنا الروح الانسانية «المطمئنة» إشارة إلى الاطمئنان الحاصل

من الايمان:

٢. الفجر (٨٩): ٢٧ - ٢٨.

١. سورة الواقعة (٥٦): ٨٣ - ٨٤.

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (١).

ويعود اطمئنان النفس لاطمئنانها بالوعد الالهيّ من جهة ولاطمئنانها لما اختارت من طريق.

وهي مطمئنة في الدنيا سواء أقبلت عليها أو أدبرت، ومطمئنة عند أهوال حوادث يوم القيامة الرهيبة أيضاً.

أمّا «الرجوع إلى الله» فهو - على قول جمع من المفسرين - رجوع إلى ثوابه ورحمته.

ولكنّ الأنسب أن يقال: إنّ رجوع إليه جلّ وعلا، رجوع إلى جواره وقربه، بمعناه الروحي المعنوي، وليست بمعناها المكاني والجسماني، وثمة سؤال يردّ إلى الذهن متى ستكون دعوته المباركة؟ هل ستكون بعد مفارقة الروح البدن أم في يوم القيامة؟

لو أخذنا بظاهر الآيات المباركة فسياقها يرتبط بالقيامة وإن كان تعبير الآية ذو شموليّة» (٢).

وإليه المصير

متى تكون الدعوة الالهيّة لعودة النفس ورجوعها هل ستكون عند الموت أم في يوم القيامة؟

لنتأمّل في هذه المجموعة من الروايات الواردة عن أهل البيت عليه السلام:

١. سورة الرعد (١٣): ٢٨.

٢. تفسير الأمل: ١٩٨/٢٠ - ١٩٩.

قال الامام الصادق عليه السلام لسدير :

فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَمَا يُحْسُ بِخُرُوجِهَا، وَ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ سُبحَانَهُ وَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا
النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي
عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ ^(١) ثُمَّ قَالَ: ذَلِكَ لِمَنْ كَانَ وَرِعًا مُّوَسِيًّا لِإِخْوَانِهِ
وَصُولاَ لَهُمْ. ^(٢)

ويروي أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قوله :

إِنَّ أَشَدَّ شَيْعَتِنَا لَنَا حُبًّا يَكُونُ خُرُوجُ نَفْسِهِ كَشْرَبِ أَحَدِكُمْ فِي يَوْمِ الصَّيْفِ
الْمَاءَ الْبَارِدَ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِهِ الْقُلُوبُ وَ إِنَّ سَائِرَهُمْ لَيَمُوتُ كَمَا يُعْبِطُ أَحَدُكُمْ
عَلَىٰ فِرَاشِهِ كَأَقَرِّ مَا كَانَتْ عَيْنُهُ بِمَوْتِهِ. ^(٣)

وسأل أحدهم الإمام الصادق عليه السلام :

قُلْتُ: لَأَيِّ عِلَّةٍ إِذَا خَرَجَ الرُّوحُ مِنَ الْجَسَدِ وَجَدَ لَهُ مَسَاءً وَحَيْثُ رُكِبَتْ لَمْ يَعْلَمْ بِهِ
قَالَ لِأَنَّهُ نَمَا عَلَيْهَا الْبَدَنُ

وجاء في حديث المعراج قوله صلى الله عليه وآله :

إِذَا كَانَ الْعَبْدُ فِي حَالَةِ الْمَوْتِ يَقُومُ عَلَىٰ رَأْسِهِ مَلَائِكَةٌ بِيَدِ كُلِّ مَلَكٍ كَأْسٌ مِنْ مَاءِ
الْكُوْثَرِ وَكَأْسٌ مِنَ الْخَمْرِ يَسْقُونَ رُوحَهُ حَتَّى تَذْهَبَ سَكْرَتُهُ وَمَرَارَتُهُ
وَيُبَشِّرُونَهُ بِالْبَشَارَةِ الْعُظْمَى وَيَقُولُونَ لَهُ طِبْتَ وَطَابَ مَثْوَاكَ إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى
الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ الْحَبِيبِ الْقَرِيبِ. ^(٤)

١. سورة الفجر (٨٩) : ٢٧ - ٣٠. ٢. بحار الأنوار: ٦/ ١٨٦؛ المحاسن: ١/ ١٧٧.

٣. بحار الأنوار: ٦/ ١٦٢؛ تأويل الآيات الظاهرة: ٧٥٢.

٤. بحار الأنوار: ٢٧/ ٧٤.

ويرسم الامام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام لوحة حيّة معبرة لتلك اللحظات الرهيبة، لحظات حلول الموت والأجل ونهاية العمر حيث ازفت ساعة الرحيل:

اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ وَحَسْرَةُ الْقَوْتِ فَفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ وَتَغَيَّرَتْ لَهَا
أَلْوَانُهُمْ ثُمَّ أَزْدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ وَلَوْجاً فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ مَنْطِقِهِ وَإِنَّهُ لَبَيِّنٌ
أَهْلِهِ. (١)

حالات الموت

إنّ من الحكم في ظهور حالات الموت في الحقيقة هي الوصول إلى المصير الذي ينتظر الانسان الذي ما انفكّ ينظر إلى هذا الموضوع نظرة شكّ وترديد إلى هذه الحقيقة. إنّ الكفار والمشرّكين الذين ينكرون دين الاسلام وينكرون الموت (على انه عبور إلى عالم آخر) ويسخرون من الايمان بيوم القيامة والحشر والمعاد، إذا بهم يقفون وجهاً لوجه أمام شبح الموت، وتظهر الحقيقة ماثلة أمامهم وضوح الشمس في رابعة النهار، وفي تلك اللحظات التي يحصل فيها اليقين بالنهاية وبالمصير الذي ينتظرهم يكون قد فات الأوان على هذه المجموعة من النفوس الشريرة والشيطانية التي تدعى إلى الجحيم.

إنّ حالات النزع والاحتضار التي يمرّ بها الانسان الكافر والمجرم لهي أشدّ اللحظات رعباً وألماً ومرارة ذلك أنّ هذه النفس الشريرة قد تلوّثت بالآثام وارتكبت الذنوب واقترفت المعاصي والحرام؛ وبعد سنين طويلة يكون قد قضاها الشرير في الاجرام إذا به يسقط صريعاً تحت براثن الموت ثمّ لا يمكنه الفرار،

حتى الشيطان الذي ما انفك يرافقه ويدفعه إلى الامعان في الشر والسقوط إذا به الآن يتخلّى عنه ويتركه وحيداً يواجه مصيره الأسود.

وعلى عكس ما يقوله الماديون في أنّ الموت هو نهاية الانسان وفناؤه الأبدي فإن الموت بمنزلة الولادة حيث يكتمل نمو الجنين ليتقل من عالم الرحم إلى عالم الدنيا ليبدأ حياة جديدة وما يرافق هذا الانتقال من آلام شديدة.

الموت في كلام الإمام السجّاد عليه السلام

روى الامام محمد الباقر عليه السلام قال :

قِيلَ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام مَا الْمَوْتُ؟ قَالَ: لِلْمُؤْمِنِ كَنْزٌ ثِيَابٌ وَسِخَةٌ قَمِيصَةٌ وَفَكَ قُنُودٌ وَأَعْلَالٌ ثَقِيلَةٌ وَالْأَسْتَبْدَالُ بِأَفْخَرِ الثِّيَابِ وَأَطْيَبِهَا رَوَائِحٌ وَأَوْطَأُ الْمَرَاجِبِ وَآنَسِ الْمَنَازِلِ، وَلِلْكَافِرِ كَخْلَعٌ ثِيَابٌ فَآخِرَةٌ وَالتَّقَلُّ عَنْ مَنَازِلِ أَنْيَسَةٍ وَالْأَسْتَبْدَالُ بِأَوْسَخِ الثِّيَابِ وَأَحْسَنُهَا وَأَوْحَشِ الْمَنَازِلِ وَأَعْظَمِ الْعَذَابِ. (١)

الموت في كلام الإمام موسى الكاظم عليه السلام

وروى الإمام أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام عن آبائه قال :

دَخَلَ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عليه السلام عَلَى رَجُلٍ قَدْ غَرِقَ فِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ وَهُوَ لَا يُجِيبُ دَاعِيًا فَقَالُوا لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَدِدْنَا لَوْ عَرَفْنَا كَيْفَ الْمَوْتُ وَكَيْفَ حَالُ صَاحِبِنَا؟ فَقَالَ: الْمَوْتُ هُوَ الْمِصْفَاةُ تُصَفِّي الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ فَيَكُونُ آخِرُ أَلَمٍ يُصِيبُهُمْ كَفَّارَةً آخِرٍ وَزَرْ بَقِيَّ عَلَيْهِمْ وَتُصَفِّي الْكَافِرِينَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ

فَيَكُونُ آخِرُ لَذَّةٍ أَوْ رَاحَةٍ تَلَحُّقُهُمْ هُوَ آخِرُ ثَوَابٍ حَسَنَةٍ تَكُونُ لَهُمْ وَأَمَّا
صَاحِبُكُمْ هَذَا فَقَدْ نَجَلَ مِنَ الذُّنُوبِ نَحْلًا وَصَفَّى مِنَ الْإِثْمِ تَصْفِيَةً وَخُلِّصَ
حَتَّى نَقَّى كَمَا يُنَقَّى الثُّوبُ مِنَ الْوَسَخِ وَصَلَحَ لِمُعَاشَرَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فِي دَارِنَا
دَارِ الْأَبَدِ. ^(١)

الموت في كلام الإمام الحسين عليه السلام

في يوم عاشوراء وقد اشتد القتال قال الامام الحسين عليه السلام يخاطب الشلة من
أصحابه الأوفياء:

صَبْرًا بَنَى الْكِرَامَ! فَمَا الْمَوْتُ إِلَّا قَنْطَرَةٌ يَغْبُرُ بِكُمْ عَنِ الْبُؤْسِ وَالضَّرَاءِ إِلَى
الْجَنَانِ الْوَاسِطَةِ، وَالنَّعِيمِ الدَّائِمَةِ، فَأَيْكُمْ يَكْرَهُ أَنْ يَنْتَقِلَ مِنْ سِجْنٍ إِلَى قَصْرِ
وَمَا هُوَ لِأَعْدَائِكُمْ إِلَّا كَمَنْ يَنْتَقِلُ مِنْ قَصْرِ إِلَى سِجْنٍ وَعَذَابٍ.

إِنَّ أَبِي حَدَّثَنِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ وَ
الْمَوْتُ جِسْرٌ هُوَّلَاءِ إِلَى جَنَّاتِهِمْ وَجِسْرٌ هُوَّلَاءِ إِلَى جَحِيمِهِمْ. ^(٢)

فما أحرى بنا أن نصغي إلى أحاديث أهل البيت عليه السلام ونعمل بوصاياهم صلوات
الله عليهم أجمعين.

يقول الامام جعفر الصادق عليه السلام:

مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُخَفَّفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ فَلْيَكُنْ لِقَرَابَتِهِ وَصُورًا
وَبِوَالِدِيهِ بَارًا فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ هَوَّنَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ وَلَمْ يُصِيبْهُ فِي
حَيَاتِهِ فَقْرٌ أَبَدًا. ^(٣)

٢. بحار الأنوار: ٦/ ١٥٤.

١. بحار الأنوار: ٦/ ١٥٥.

٣. بحار الأنوار: ١٧/ ٨١.

النجاح في الامتحانات الصعبة

الفتنة هي الامتحان حيث يتعرض الانسان لسلسلة من الاختبارات والامتحانات.

يقول العلامة الراحل السيّد محمد حسين الطباطبائي في تفسير قوله تعالى :

﴿بَنَّا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا﴾^(١).

الفتنة ما يمتحن به والمراد بجعلهم فتنة للذين كفروا تسليط الكفار عليهم ليبتحنهم، فيخرجوا ما في وسعهم من الفساد فيؤذوهم بأنواع الأذى أن آمنوا بالله ورفضوا آلهتهم وتبرءوا منهم ومما يعبدون.

ويقول رضوان الله عليه في مسألة الامتحان الالهي :

لا ريب أن القرآن الكريم يخصّ أمر الهداية بالله سبحانه غير أن الهداية فيه لا تنحصر في الهداية الاختيارية إلى سعادة الآخرة أو الدنيا فقد قال تعالى فيما قال :

﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾^(٢).

فعمّم الهداية لكل شيء من ذوي الشعور والعقل وغيرهم واطلقها أيضاً من جهة الغاية.

ومن هنا يظهر أن هذه الهداية غير الهداية الخاصة التي تقابل الاضلال فإن الله سبحانه نفاها وأثبت مكانها الضلال في طوائف والهداية العامة لا تنفي عن شيء من خلقه، قال تعالى : ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ وإنما الفرق بين الامتحان

١. سورة الممتحنة (٦٠) : ٥.

٢. سورة طه (٢٠) : ٥٠.

الالهي وما عندنا من الامتحان، أنا لا نخلو غالباً عن الجهل بما في باطن الأشياء، فنريد بالامتحان استعلام حالها المجهول لنا، والله سبحانه يمتنع عليه الجهل وعنده مفاتيح الغيب، فالتربية العامة الالهية للانسان من جهة دعوته إلى حسن العاقبة والسعادة امتحان، لأنه يظهر ويتعين بها حال الشيء أنه من أهل أي الدارين، دار الثواب أو دار العقاب.

ولذلك سمى الله تعالى هذا التصرف الالهي من نفسه أعني التشريع وتوجيه الحوادث بلاءً وابتلاءً وفتنة فقال بوجه عام:

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ ﴾ (١)

وقال:

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۖ ﴾ (٢)

وقال:

﴿ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ ﴾ (٣)

وكانه يريد به ما يفصله قوله:

﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ۖ ﴾ (٤)

وقال:

١. سورة الكهف (١٨): ٧. ٢. سورة الدهر (٧٦): ٢. ٣. سورة الأنبياء (٢١): ٣٥. ٤. سورة الفجر (٨٩): ١٥ - ١٦.

﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ۖ ﴾ (١)

وقال:

﴿ وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ۖ ﴾ (٢)

وقال:

﴿ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۖ ﴾ (٣)

وقال:

﴿ وَلِيَبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلََاءٌ حَسَنًا ۖ ﴾ (٤)

وقال:

﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۖ ﴾ (٥)

وقال في مثل إبراهيم:

﴿ وَإِذْ أَبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ۖ ﴾ (٦)

قصة ذبح إسماعيل:

﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ۖ ﴾ (٧)

وقال في موسى:

- | | |
|-------------------------------|--------------------------|
| ١. سورة التغابن (٦٥): ١٥. | ٢. سورة محمد (٤٧): ٤. |
| ٣. سورة الأعراف (٧): ١٦٣. | ٤. سورة الأنفال (٨): ١٧. |
| ٥. سورة العنكبوت (٢٩): ٢ - ٣. | ٦. سورة البقرة (٢): ١٢٤. |
| ٧. سورة الصافات (٣٧): ١٠٦. | |

﴿وَفَتَّنَاكَ فُتُونًا﴾. (١)

إلى غير ذلك من الآيات.

والآيات كما ترى تعمّم المحنة والبلاء بجميع ما يرتبط به الانسان من وجوده واجزاء وجوده كالسمع والبصر والحياة والخارج من وجوده المرتبط به بنحو كالأولاد والأزواج والعشيرة والأصدقاء والمال والجاه وجميع ما ينتفع به نوع انتفاع وكذا مقابلات هذه الأمور كالموت وسائر المصائب المتوجّهة إليه.

وبالجملة الآيات تعدّ كلّ ما يرتبط به الانسان من اجزاء العالم وأحوالها فتنة وبلاء من الله سبحانه بالنسبة إليه». (٢)

ومن أجل تربية الانسان وترشيد حركته نحو التكامل فإنّه معرض للامتحانات والاختبارات باستمرار، فالمال والبنون من أدوات هذه الامتحان الالهي:

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾. (٣)

ويأتي الامتحان أو الفتنة بقضايا خير وقضايا شر قال تعالى:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾. (٤)

غير ان الانسان في الغالب يختلف موقفه في حالتي الشدة والرخاء فحالما يتعرّض إلى مصاعب ويقع في مأزق فإنّه يلجأ إلى الله أمّا إذا اوتي ثروة وأموالاً طائلة فانه ينحرف عن جادة الصواب وما درى انه قد تعرّض للاختبار في كلا الحالتين:

١. سورة طه (٢٠): ٤٠.

٢. الميزان في تفسير القرآن: ٤/ ٣١ - ٣٦ في الامتحان وحقيقته.

٣. سورة الأنفال (٨): ٢٨.

٤. سورة الأنبياء (٢١): ٣٥.

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١)

خصائص الامتحان الالهي

ثمة نقطتان أساسيتان في الامتحانات الالهية هما:

- ١ - انّ الامتحان الالهي هو لا اختبار القوي من الضعيف وكذلك تربية الانسان وترشيده وحركته التكاملية ولكي يتحدّد ويتعيّن جزاء العمل الصالح والسيئ.
- ٢ - انّ الله سبحانه ومن خلال امتحاناته لعباده فانّما يقيم الحجة عليهم جميعاً فتتضح قيمتهم ومنازلهم وصنوفهم وعليه فانّ الناس ينقسمون إلى أربعة أقسام خلال مواجعتهم البلياء والاختبارات والفتن:
- الف - قسم من البشر يجأرون بالصراخ يشكون من الدهر والأقدار ونوائب الزمن.
- ب - قسم من الناس يبدون صبراً عجيباً وثباتاً مدهشاً من قبيل نبيّ الله أيوب عليه السلام فكلّما زاد بلاؤه زاد شكره لله تعالى.
- ج - قسم من الناس يعدّون المحن والبلياء هدايا سماوية، من قبيل المقاتلين في سبيل الله إذ يعتبرون الشهادة والموت في سبيل الحق كرامة من الله عز وجلّ لهم.
- د - قسم من البشر ينبرون ويبادرون لاستقبال البلاء من قبيل الشبان الذين هبّوا للدفاع عن الأرض والعرض وتوجّهوا إلى جبهات الحرب والقتال في سبيل الله.

١. سورة الزمر (٣٩): ٤٩.

واذن فان هذه الدنيا دار امتحان واختبار يكرم فيها المرء أو يهان؛ بعض يجتاز الامتحان بنجاح ويخرج مرفوع الرأس وبعض يفشل فيه.

الامتحان في الروايات

ورد في الروايات ان ايمان الانسان يتعرض للاختبار ويوضع الانسان على المحك لهذا فالانسان المؤمن في حالة الرخاء يتعرض للضراء ليعلم مدى ثبات ايمانه.

يقول الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُكْفَأُ فِيهِ الْإِسْلَامُ كَمَا يُكْفَأُ الْإِنَاءُ بِمَا فِيهِ. أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ وَلَمْ يُعَذِّبْكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ، وَقَدْ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ (١). (٢)

أجل ان الامتحان الالهي من الأمور الحتمية التي يتعرض لها الانسان في حياته وكلما زاد ايمان المرء زيد في بلائه، ولهذا تعرض الأنبياء عليهم السلام إلى أشد أنواع البلاء.

يقول الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام:

لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ» لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَةٍ وَلَكِنْ مَنْ اسْتَعَاذَ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ. (٣)

٢. نهج البلاغة: الخطبة ١٠٢.

١. سورة المؤمنون (٢٣): ٣٠.

٣. نهج البلاغة: الحكمة ٩٣.

أي لا ينبغي للإنسان أن يدعو الله ويسأله إلا يمتحنه وإنما يسأله ويستعين به من مضلات الفتن.

يروى الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنّ الإمام أمير المؤمنين قال لعبد الله بن يحيى:
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ تَمْحِيزَ ذُنُوبٍ شَيْعَتِنَا فِي الدُّنْيَا بِمِخْنَتِهِمْ لِنَتَسَلَّمَ
 بِهَا طَاعَتَهُمْ وَ يَسْتَحِقُّوا عَلَيْهَا ثَوَابَهَا.^(١)

وعلى أية حال فإنّ أهل الحقّ والایمان يتعرّضون إلى البلاء ويتعرّضون إلى الضغوط والمحن ثم سرعان ما يكشف الله عنهم البلاء ويجعل لهم مخرجاً منه إلى عافية وسلامة في دينهم.

فالمؤمن يصبر مدة قليلة تعقبها راحة طويلة وتستحيل لديه مرارات الحياة الدنيا إلى ما هو أحلى من الشهد والعسل والرحيق في عالم الآخرة.
 يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام):

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنَ الْفِتَنِ وَ نُوراً مِنَ الظُّلُمِ وَيُخَلِّدَهُ
 فِي مَا اسْتَنْهَتْ نَفْسُهُ.^(٢)

وجاء في الحديث النبوي الشريف قوله (صلى الله عليه وآله):

أَنَّ فِي الْجَنَّةِ مَنَازِلَ لَا يَنَالُهَا الْعِبَادُ بِأَعْمَالِهِمْ لَيْسَ لَهَا عِلَاقَةٌ مِنْ فَوْقِهِ أَوْ لَا
 عِمَادٌ مِنْ تَحْتِهَا قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَهْلُهَا فَقَالَ أَهْلُ الْبَلَايَا وَالْهُمُومِ.^(٣)

١. بحار الأنوار: ٢٣٢/٦٤؛ تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ٢٣.

٢. نهج البلاغة: الخطبة ١٨٢. ٣. بحار الأنوار: ١٩٤/٧٨.

النجاة من الجحيم

عالم الحياة كقافلة انبعثت من عالم العدم متجهة نحو عالم لا نهائي حيث الذات المقدسة للباري تبارك وتعالى وبالرغم من أن المخلوقات كائنات محدودة والمحدود لا يصل إلى اللانهايي أبداً إلا أن مسيرته التكاملية وحركته نحو الكمال لا تتوقف.

وإنما هي مستمرة حتى بعد يوم القيامة.

وبما أن بدء هذه الحركة ومبدأها من الله عز وجل حيث اشتعلت شرارة الحياة فان اتجاهها إليه سبحانه إذ إليه مرجع العباد وإليه المصير والمسير.

قال الحق تبارك وتعالى:

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾. (١)

وتشير آية أخرى إلى حالة من السباق البشري في مسيرة التكامل حيث الهدف النهائي للسباق مغفرة من الله ورضوان وحياة خالدة في النعيم.

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾. (٢)

ومادام السباق جماعياً فان حالة من التنافس تبرز للفوز بأعلى الدرجات وأسمى المنازل؛ حيث «سارعوا» تعني بذل الانسان قصارى جهده في ميدان

١. سورة يونس (١٠): ٤.

٢. سورة آل عمران (٣): ١٣٣.

السباق للحصول على الجائزة الكبرى في الغفران الالهي والسكنى في دار الخلد وجنات تجري من تحتها الأنهار.

ولقد وصف الامام السجّاد عليه السلام في دعائه الجنة بأنها «مقبيل المتقين» حيث يستقرّ الانسان في حياة هائلة لا نكد فيها ولا عناء.

أجل سيحصل الانسان المؤمن على حياة خالدة جزاءً على ايمانه وصبره وثباته وجهاده وجهوده في نشر الخير واقامة العدل.

﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا * لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾ (١).

لقد وعد الله تبارك وتعالى المتقين من عباده جنات الفردوس وحياة خالدة هائلة ورضوان من الله أكبر.

وهنا سؤال يطرح، كيف يكون الجزاء على عمل الانسان الخلود في النعيم أو الجحيم والحياة الدنيوية محدودة وقصيرة، كيف ينسجم هذا الأمر مع العدل الالهي؟!

ويأتي الجواب في حديث للامام جعفر الصادق عليه السلام قائلاً:

إِنَّمَا خُلِدَ أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ لِأَنَّ نِيَّاتِهِمْ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَوْ خُلِدُوا فِيهَا أَنْ يَعْصُوا اللَّهَ أَبَدًا، وَإِنَّمَا خُلِدَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ لِأَنَّ نِيَّاتِهِمْ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَوْ بَقُوا فِيهَا أَنْ يُطِيعُوا اللَّهَ أَبَدًا فَبِالنِّيَّاتِ خُلِدَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ

تعالى: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ ^(١) قَالَ: عَلَى نِيَّتِهِ. ^(٢)

فالمؤمنون يبقون على إيمانهم وتقواهم مهما امتدت بهم الحياة ومهما قاسوا من المحن قد ثبتت نياتهم وترسخت في وجودهم نواياهم الخيرة .
وأما المجرمون فهم سيقون سادرين في طغيانهم وعدوانهم ومعاصيهم مهما امتد بهم الزمن وطالت فترة الحياة .

فالنوايا اذن هي المعيار .

جاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ:

وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ بَشِيرًا لَا يُعَذِّبُ اللَّهُ بِالنَّارِ مُوَحَّدًا أَبَدًا. ^(٣)

وقال الامام محمد الباقر عليه السلام:

الْجَنَّةُ مَخْوَفَةٌ بِالْمَكَارِهِ وَالصَّبْرُ فَمَنْ صَبَرَ عَلَى الْمَكَارِهِ فِي الدُّنْيَا دَخَلَ

الْجَنَّةَ وَجَهَنَّمَ مَخْوَفَةٌ بِاللَّذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ فَمَنْ أُعْطِيَ نَفْسَهُ لَذَّتَهَا وَشَهَوَاتِهَا

دَخَلَ النَّارَ. ^(٤)

واذن ينبغي اكتشاف الطريق الذي يؤدي إلى الجنة .

يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

«من جمع فيه ست خصال ما يدع للجنة مطلباً ولا عن النار مهرباً من عرف الله

فأطاعه، وعرف الشيطان فعصاه، وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه،

١. سورة الإسراء (١٧): ٨٤. ٢. الكافي: ٨٥/٢؛ وسائل الشيعة: ٥٠/١.

٣. بحار الأنوار: ١/٣؛ التوحيد ٣١/٢٩. ٤. بحار الأنوار: ٧٢/٦٨.

وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها.^(١)

ويقول سلام الله عليه أيضاً:

إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَنْظُرُونَ إِلَى مَنَازِلِ شِيعَتِنَا كَمَا يَنْظُرُ الْإِنْسَانُ إِلَى الْكَوَاقِبِ.^(٢)

إنني رأيت للأيام تجربة للصبر عاقبة محمودة الأثر

وقل من جد في أمر يطالبه فاستصحب الصبر إلا فاز بالظفر^(٣)

١. مجموعة ورام: ١/١٣٥؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٠/٢٦٤.

٢. بحار الأنوار: ٨/١٤٨. ٣. بحار الأنوار: ٦٨/٧١.

الدعاء الخامس

دعاؤه لنفسه وخاصّته

﴿١﴾ يَا مَنْ لَا تَنْقُضِي عَجَائِبُ عَظَمَتِهِ صَلَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاحْجُبْنَا عَنِ الْإِلْحَادِ فِي عَظَمَتِكَ .

﴿٢﴾ وَيَا مَنْ لَا تَنْتَهِي مُدَّةُ مُلْكِهِ صَلَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَعْتِقْ رِقَابَنَا مِنْ نِقَمَتِكَ .

﴿٣﴾ وَيَا مَنْ لَا تَفْنَى خَزَائِنُ رَحْمَتِهِ صَلَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْ لَنَا نَصِيباً فِي رَحْمَتِكَ .

﴿٤﴾ وَيَا مَنْ تَنْقَطِعُ دُونَ رُؤْيَيْهِ الْأَبْصَارُ صَلَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَذِنَّا إِلَى قُرْبِكَ .

﴿٥﴾ وَيَا مَنْ تَضَعُ عِنْدَ خَطَرِهِ الْأَخْطَارُ صَلَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَكَرِّمْنَا عَلَيْكَ .

﴿٦﴾ وَيَا مَنْ تَظْهَرُ عِنْدَهُ بَوَاطِنُ الْأَخْبَارِ صَلَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَلَا تَفْضَحْنَا لَدَيْكَ .

﴿٧﴾ اَللَّهُمَّ أَغْنِنَا عَنْ هِبَةِ الْوَهَّابِينَ بِهَيْبَتِكَ وَاكْفِنَا وَخْشَةَ الْفَاطِمِيِّينَ بِصَلَاتِكَ حَتَّى لَا نَزْغَبَ إِلَى أَحَدٍ مَعَ بَذَلِكَ وَلَا نَسْتَوْحِشَ مِنْ أَحَدٍ مَعَ فَضْلِكَ .

﴿٨﴾ اَللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَكِدْ لَنَا وَلَا تَكِدْ عَلَيْنَا وَامْكُرْ لَنَا وَلَا تَمْكُرْ بِنَا وَأَدِلْ لَنَا وَلَا تُدِلْ مِنَّا .

﴿٩﴾ اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَقِنَا مِنْكَ وَاحْفَظْنَا بِكَ وَاهْدِنَا إِلَيْكَ وَلَا تُبَاعِدْنَا عَنْكَ إِنَّ مَنْ تَقِيهِ يَسْلَمَ وَمَنْ تَهْدِيهِ يَظْلَمَ وَمَنْ تُقَرِّبُهُ إِلَيْكَ يَغْنَمَ .

﴿١٠﴾ اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاكْفِنَا حَدَّ نَوَائِبِ الزَّمَانِ وَشَرَّ مَصَائِدِ الشَّيْطَانِ وَمَرَارَةَ صَوْلَةِ السُّلْطَانِ .

﴿١١﴾ اَللَّهُمَّ إِنَّمَا يَكْتَفِي الْمُكْتَفُونَ بِفَضْلِ قُوَّتِكَ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاكْفِنَا وَإِنَّمَا يُعْطَى الْمُعْطُونَ مِنْ فَضْلِ جِدَّتِكَ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَعْطِنَا وَإِنَّمَا يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ بِنُورِ وَجْهِكَ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاهْدِنَا .

﴿١٢﴾ اَللّٰهُمَّ اِنَّكَ مَنْ وَاَلَيْتَ لَمْ يَضُرُّهُ خِذْلَانُ الْخَاذِلِيْنَ وَمَنْ اَعْطَيْتَ لَمْ يَنْقُصْهُ
مَنْعٌ

الْمَانِعِيْنَ وَمَنْ هَدَيْتَ لَمْ يُغْوِهِ اِضْلَالُ الْمُضِلِّيْنَ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ .

﴿١٣﴾ وَاَمْنَعْنَا بِعِزِّكَ مِنْ عِبَادِكَ وَاَغْنِنَا عَنْ غَيْرِكَ بِإِزَادِكَ وَاسْلُكْ بِنَا سَبِيلَ الْحَقِّ
بِإِزَادِكَ .

﴿١٤﴾ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْ سَلَامَةَ قُلُوبِنَا فِي ذِكْرِ عَظَمَتِكَ وَفَرَاغِ
أَبْدَانِنَا فِي شُكْرِ نِعْمَتِكَ وَانْطِلَاقَ أَلْسِنَتِنَا فِي وَصْفِ مَنَّتِكَ .

﴿١٥﴾ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْنَا مِنْ دُعَاتِكَ الدَّاعِيْنَ إِلَيْكَ وَهُدَاتِكَ
الدَّالِّيْنَ عَلَيْكَ وَمِنْ خَاصَّتِكَ الْخَاصِّيْنَ لَدَيْكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

[﴿١﴾] يَا مَنْ لَا تَنْقُضِي عَجَائِبُ عَظَمَتِهِ صَلَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاحْجُبْنَا عَنِ الْإِلْحَادِ فِي عَظَمَتِكَ .

[﴿٢﴾] وَيَا مَنْ لَا تَنْتَهِي مُدَّةُ مُلْكِهِ صَلَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَعْتِقْ رِقَابَنَا مِنْ نَقَمَتِكَ]

يشتمل مطلع هذا الدعاء على عدد من القضايا وهي :

عجائب عظمة الحقّ تعالى ؛

الانحراف في الاعتقاد بالعظمة الالهية ؛

لا نهائية قدرة الحقّ تعالى ؛

الخلاص من خزي الدنيا وعذاب الآخرة .

عجائب عظمة الحق تعالى

انّ عجائب عظمة الحق تبارك وتعالى على نحوين من حيث المعنى :

الأوّل : كمال الذات ، سمو الشأن عظيم القدرة كمال الشرف شدة استغنائه عن الخلق ، شدة حاجة المخلوقات اليه ، دوام ملكه وسلطانه واستطالة حكمه الأبدى .

الثاني : كميّة الخلق والكائنات وعجائب المخلوقات التي تعكس كمال

وعظمة الخالق تبارك وتعالى .

فالدعاء تعكس كمال عظمة الخالق .

فالدعاء يشير إلى كمال الذات وعلو الشأن وجلالة القدر وكمال الشرف وكونه تبارك وتعالى مبدأ شأن كل ذي شأن ومنتهى سلطان كل ذي سلطان ، فلا شأن أرفع من شأنه ولا سلطان أعظم من سلطانه .

والعظيم المطلق العظمة هو الله سبحانه وتعالى لاستيلائه على جميع المخلوقات في ايجادها وافنائها وليست عظمة الخالق عظمة مقدارية ولا عظمة عددية ، لتنزّهه تعالى عن المقدار والكمية ، بل هي عبارة عن كمال الذات والصفات ومعنى عدم انقضاء عجائب الخلق هو انه كلما تأمل الانسان في عجائب الخلق وجد في كمال قدرة الخالق اموراً مدهشة لم يكن قد فطن إليها من قبل .

وقد بدأ سلام الله عليه الدعاء بالصلاة على محمد وآله لأنها مفتاح الاجابة ، ولأن الله عز وجل أكرم من أن يسأله العبد مسألتين فيقضي احدهما ويمنع الاخرى .^(١)

عظمة الحق تبارك وتعالى في القرآن المجيد

لا يمكن أن نذكر جميع الآيات القرآنية التي تصوّر عظمة الحق تبارك وتعالى ، لذا نكتفي بعدد من الأمثلة لبيان هذا الموضوع .

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ .^(٢)

٢ . سورة الطلاق (٦٥) : ١٢ .

١ . رياض السالكين : ١٤٢ / ٢ .

سبع سماوات وأرضون سبع

يقول المفسرون المختصون في تفسير قوله تعالى:

﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾. (١)

ان ما نراه الآن من نجوم ومجرات وكواكب وسيارات وسدم وغازات إنما يمثل السماء الأولى والسماء الدنيا وأن هناك سماوات ست أخرى وعوالم ستة أخرى لم يبلغها علم الانسان وهكذا بالنسبة للأرض أيضاً.

محددودية العلم البشري

إن مسألة الخلق مسألة مذهشة جداً وسيبقى العلم البشري محدوداً قاصراً عن بلوغ مدى عظمة وعجائب الخلق الالهي لتأمل في آيتين من آيات القرآن الكريم هما قوله تعالى:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾. (٢)

فقد جاء في الحديث الشريف عن الامام جعفر الصادق عليه السلام قوله:

الْعِلْمُ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ حَرْفًا فَجَمِيعُ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ حَرْفَانِ فَلَمْ يَعْرِفِ النَّاسُ حَتَّى الْيَوْمِ غَيْرَ الْحَرْفَيْنِ فَإِذَا قَامَ قَائِمُنَا أُخْرِجَ الْخَمْسَةُ وَالْعِشْرِينَ حَرْفًا فَبَيَّنَّهَا فِي النَّاسِ وَضَمَّ إِلَيْهَا الْحَرْفَيْنِ حَتَّى يَبَيَّنَّهَا سَبْعَةٌ وَعِشْرِينَ حَرْفًا. (٣)

١. سورة الصافات (٣٧): ٦.

٢. سورة الإسراء (١٧): ٨٥.

٣. بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٣٦.

وما يبيته وينشره الامام المهدي عليه السلام من العلوم لا يمثل شيئاً بالقياس إلى علم الله المطلق .

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١)

كواكب تشبه الأرض

يقول علماء الفلك بوجود ملايين الكواكب والسيارات التي تشبه الكرة الأرضية في منظومات شمسية بعيدة ومجرات نائية في هذا الكون السحيق حيث تسود تلك الكواكب أجواء وظروف مناخية مشابهة لما هو سائد في كوكب الأرض لا يحيط بها البشر علماً فما تزال وراء أستار المجهول .

يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

لَهَذِهِ النُّجُومُ الَّتِي فِي السَّمَاءِ مَدَائِنٌ مِثْلُ الْمَدَائِنِ الَّتِي فِي الْأَرْضِ^(٢)

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً﴾^(٣)

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤)

١ . سورة لقمان (٣١) : ٢٧ .

٢ . تفسير القمي : ٢ / ٢١٨ ، ذيل آية ١٨٢ من سورة الصافات .

٣ . سورة النساء (٤) : ١٢٦ .

٤ . سورة المائدة (٥) : ١٧ .

﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾. (١)

من أجل ذلك نرى الانسان المؤمن خاشعاً لله يتضرّع إليه مدركاً جانباً من عظمته وجلاله وجبروته :

تتجافى جنوبهم	عن وطئ المضاجع
كلهم بين خائف	مستجير وطامع
تركوا لذّة الكرى	للعيون الهواجع
ورعوا أنجم الدجى	طالعاً بعد طالع
لو تراهم إذا هم	خطروا بالأصابع
وإذا هم تأوها	عند مر القوارع
وإذا باشروا الثرى	بالخدود الضوارع
واستهلت عيونهم	فائضات المدامع
ودعوا يا مليكنا	يا جميل الصنائع
اعف عنا ذنوبنا	للووجه الخواشع
اعف عنا ذنوبنا	للعيون الدوامع
أنت إن لم يكن لنا	شافع خير شافع
فأجيبوا اجابة	لم تقع في المسامع

ليس ما تصنعونه أوليائي بضائع
ابذلوا لي نفوسكم إنها في ودائع

عظمة الرب في نهج البلاغة

يقول الامام أمير المؤمنين ومولى الموحدين عليه السلام في الخطبة «٤٩» من نهج البلاغة:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَطَّنَ حَقَائِقَ الْأُمُورِ وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ وَامْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ الْبَصِيرِ فَلَا عَيْنٌ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ وَلَا قَلْبٌ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ سَبَقَ فِي الْعُلُوِّ فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ وَقَرَّبَ فِي الدُّنُورِ فَلَا شَيْءَ أَقْرَبَ مِنْهُ فَلَا اسْتِعْلَاؤُهُ بَاعَدَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ وَلَا قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي الْمَكَانِ بِهِ لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ وَلَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلَامُ الْوُجُودِ عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْمُشْبِهُونَ بِهِ وَالْجَا حِدُونَ لَهُ عُلُوقًا كَبِيرًا^(١).

ويقول عليه السلام في الخطبة «٦٤»:

لَمْ يَخْلُقْ مَا خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ وَلَا تَخَوُّفٍ مِنْ عَوَاقِبِ زَمَانٍ وَلَا اسْتِعَانَةٍ عَلَى نِدِّ مَثَاوِرٍ وَلَا شَرِيكِ مُكَاتِّرٍ وَلَا ضِدِّ مُنَافِرٍ وَلَكِنْ خَلَأْتُكَ مَرْبُوبُونَ وَعِبَادُ دَاخِرُونَ لَمْ يَحُلْ فِي الْأَشْيَاءِ فَيُقَالِ هُوَ فِيهَا كَائِنٌ وَلَمْ يَنَأْ عَنْهَا فَيُقَالِ هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ لَمْ يُوَدِّهِ خَلْقٌ مَا ابْتَدَأَ وَلَا تَدْبِيرٌ مَا ذَرَأَ وَلَا وَقَفَ بِهِ عَجْرٌ عَمَّا خَلَقَ وَلَا وَلَجَتْ عَلَيْهِ شُبْهَةٌ فِيمَا قَضَى وَقَدَّرَ بَلْ قَضَاءٌ مُتَقَنَّ وَ عِلْمٌ مُحْكَمٌ وَأَمْرٌ مُبْرَمٌ

١. نهج البلاغة لصبحي الصالح ، الخطبة ٤٩ .

الْمَأْمُولُ مَعَ النِّقَمِ الْمَرْهُوبُ مَعَ النِّعَمِ. ^(١)

ويقول عليه السلام في الخطبة «٨٢» المعروفة بـ «الغراء»:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَا بِحَوْلِهِ وَدَنَا بِطَوْلِهِ مَانِحٌ كُلَّ غَنِيمَةٍ وَفَضْلٌ وَكَاشِفٌ كُلِّ
عَظِيمَةٍ وَأَزَلٌّ أَلْحَمْدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ وَسَوَابِغِ نِعَمِهِ وَأَوْمِنُ بِهِ أَوَّلًا بَادِيًا
وَأَسْتَهْدِيهِ قَرِيبًا هَادِيًا وَأَسْتَعِينُهُ قَاهِرًا قَادِرًا وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِيًا نَاصِرًا
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا ص عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ لِنَقَازِ أَمْرِهِ وَإِنْهَاءِ عُدْرِهِ وَتَقْدِيمِ
نُذْرِهِ. ^(٢)

ويقول عليه السلام في الخطبة «٨٩»:

هُوَ الَّذِي اشْتَدَّتْ نِقَمَتُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ وَاتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ
لَأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِقَمَتِهِ قَاهِرٌ مَنْ عَارَظَهُ وَمُدَمِّرٌ مَنْ شَاقَّهُ وَمُذِلٌّ مَنْ نَاوَاهُ
وَغَالِبٌ مَنْ عَادَاهُ. ^(٣)

ويقول عليه السلام في الخطبة «٩٠» والتي جاءت أثر سؤال أحدهم له:

يا أمير المؤمنين صف لنا ربنا لنزداد له حبًّا وبه معرفة!!

فغضب عليه السلام ونادى الصلاة جامعة! فاجتمع الناس حتى غصَّ المسجد بأهله،
فصعد المنبر وهو غاضب قد تغير لونه، فقال بعد الحمد والثناء لله والصلاة على
رسول الله صلوات الله عليه وآله:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَفْرُهُ الْمُنْعُ وَلَا يَكْذِبُهُ الْإِعْطَاءُ وَالْجُودُ إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ

١. نهج البلاغة، الخطبة ٦٤.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٨٢.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ٨٩.

سِوَاهُ وَكُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلَاهُ وَهُوَ الْمَنَانُ بِفَوَائِدِ النِّعَمِ وَعَوَائِدِ الْمَزِيدِ
وَالْقِسْمِ عِيَالُهُ الْخَلَائِقُ ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ وَنَهَجَ سَبِيلَ الرَّاعِبِينَ
إِلَيْهِ وَالطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ وَلَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجُودَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلِ الْأَوَّلُ الَّذِي لَمْ
يَكُنْ لَهُ قَبْلُ فَيَكُونُ شَيْءٌ قَبْلَهُ وَالْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَعْدُ فَيَكُونُ شَيْءٌ بَعْدَهُ
وَالرَّادِعُ أَنَّاسِي الْأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَتَحْتَلِفَ
مِنْهُ الْحَالُ وَلَا كَانَ فِي مَكَانٍ فَيَجُوزَ عَلَيْهِ الْإِنْتِقَالُ وَلَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ
مَعَادِنُ الْجِبَالِ وَضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبِحَارِ مِنْ فِلِزِّ اللَّجَيْنِ وَالْعَقِيَانِ وَنُتَارَةِ
الدَّرِّ وَحَصِيدِ الْمَرْجَانِ مَا أَثَّرَ ذَلِكَ فِي جُودِهِ وَلَا أَنْقَدَ سَعَةً مَا عِنْدَهُ وَلَكَانَ
عِنْدَهُ مِنْ دَخَائِرِ الْإِنْعَامِ مَا لَا تَنْفِدُهُ مَطَالِبُ الْأَنَامِ لِأَنَّهُ الْجَوَادُ الَّذِي لَا يَغِيضُهُ
سُؤَالُ السَّائِلِينَ وَلَا يُبْخِلُهُ الْإِلْحَاحُ الْمُلِحِّينَ فَانْظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ فَمَا ذَلِكَ الْقُرْآنُ
عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَأَتَمَّ بِهِ وَاسْتَضَى بِنُورِ هِدَايَتِهِ وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا
لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرَضُهُ وَلَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ وَأَيُّمَةِ الْهُدَى أَثَرُهُ فَكُلَّ عِلْمَهُ
إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ
هُمْ الَّذِينَ أَعْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدُودِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ الْإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا
جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَخْجُوبِ فَمَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ
تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْمًا وَسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمْ الْبَحْثَ عَنْ
كُنْهِهِ رُسُوحًا فَاقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ فَلَا تُقَدَّرُ عَظَمَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ
فَتَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ هُوَ الْقَادِرُ الَّذِي إِذَا ارْتَمَتْ الْأَوْهَامُ لِتُدْرِكَ مُنْقَطِعَ قُدْرَتِهِ
وَحَاوَلَ الْفِكْرُ الْمُبْرَأُ مِنْ خَطَرِ الْوَسَاوِسِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ مِنْ عَمِيقَاتِ غُيُوبِ
مَلَكُوتِهِ وَتَوَلَّهَتْ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ وَغَمَضَتْ مَدَاخِلُ

الْعُقُولِ فِي حَيْثُ لَا تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ لِتَنَالَ عِلْمَ ذَاتِهِ رَدَعَهَا وَهِيَ تَجُوبُ مَهَاوِي
 سُدَفِ الْغُيُوبِ مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَرَجَعَتْ إِذْ جِبِهَتْ مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ
 لَا يُنَالُ بِجَوْرِ الْاِعْتِسَافِ كُنْهُ مَعْرِفَتِهِ وَلَا تَخْطُرُ بِبَالِ أُولِي الرِّوَايَاتِ خَاطِرُهُ
 مِنْ تَقْدِيرِ جَلَالِ عِزَّتِهِ الَّذِي ابْتَدَعَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ امْتَثَلَهُ وَلَا مِقْدَارٍ
 اخْتَدَى عَلَيْهِ مِنْ خَالِقٍ مَعْبُودٍ كَانَ قَبْلَهُ وَأَرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ وَعَجَائِبِ مَا
 نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ وَاعْتِرَافِ الْحَاجَةِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَيْ أَنْ يُقِيمَهَا بِمَسَاكِ قُوَّتِهِ
 مَا دَلَّنَا بِاضْطِرَارٍ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَظَهَرَتْ فِي الْبَدَائِعِ الَّتِي أَخَذَتْهَا
 آثَارُ صُنْعَتِهِ وَأَعْلَامُ حِكْمَتِهِ فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ وَدَلِيلًا عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ
 خَلْقًا صَامِتًا فَحُجَّتُهُ بِالنَّدْبِيرِ نَاطِقَةً وَدَلَالَتُهُ عَلَى الْمُبْدِعِ قَائِمَةً. (١)

ويقول عليه السلام في الخطبة «(١٠٨) :

كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ وَعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ وَقُوَّةُ كُلِّ
 ضَعِيفٍ وَمَفْرَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ وَمَنْ
 عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ وَمَنْ مَاتَ فَالِيهِ مُنْقَلَبُهُ لَمْ تَرَكَ الْعُيُونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ بَلْ كُنْتَ
 قَبْلَ الْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِيَوْحِشَةٍ وَلَا اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ وَلَا
 يَسْبِقُكَ مَنْ طَلَبْتَ وَلَا يُفْلِتُكَ مَنْ أَخَذْتَ وَلَا يَنْقُصُ سُلْطَانُكَ مَنْ عَصَاكَ وَلَا يَزِيدُ
 فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ وَلَا يَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءُكَ وَلَا يَسْتَعْنِي عَنْكَ مَنْ
 تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عِلَانِيَةٌ وَكُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ أَنْتَ الْأَبَدُ فَلَا أَمَدَ
 لَكَ وَأَنْتَ الْمُنتَهَى فَلَا مَحِيصَ عَنْكَ وَأَنْتَ الْمَوْعِدُ فَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ بِيَدِكَ
 نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ وَإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسَمَةٍ سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ شَأْنَكَ سُبْحَانَكَ مَا

أَعْظَمَ مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ وَمَا أَصْغَرَ كُلَّ عَظِيمَةٍ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ وَمَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ وَمَا أَحْقَرَ ذَلِكَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ وَمَا أَسْبَغَ نِعَمَكَ فِي الدُّنْيَا وَمَا أَصْغَرَهَا فِي نِعَمِ الْآخِرَةِ. (١)

ويقول عليه السلام في الخطبة «(١٣٣)»:

وَ انْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ بِأَرْمَتِهَا وَقَدَفَتْ إِلَيْهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُونَ مَقَالِيدَهَا وَسَجَدَتْ لَهُ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ الْأَشْجَارُ النَّاصِرَةُ وَقَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا النَّيِّرَانَ الْمُضِيئَةَ وَآتَتْ أَكْلَهَا بِكَلِمَاتِهِ الثَّمَارُ الْيَانِعَةَ. (٢)

ويقول عليه السلام في الخطبة «(١٦٠)»:

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَتُعْطِي وَعَلَى مَا تُعَافِي وَتَبْتَلِي حَمْدًا يَكُونُ أَرْضَى الْحَمْدِ لَكَ وَأَحَبُّ الْحَمْدِ إِلَيْكَ وَأَفْضَلُ الْحَمْدِ عِنْدَكَ حَمْدًا يَمْلَأُ مَا خَلَقْتَ وَيَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ حَمْدًا لَا يُحْجَبُ عَنْكَ وَلَا يُقْصَرُ دُونَكَ حَمْدًا لَا يَنْقُطِعُ عَدُّهُ وَلَا يَفْنَى مَدَدُهُ فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ إِلَّا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ لَا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَمْ يَنْتَهَ إِلَيْكَ نَظَرٌ وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ أَدْرَكَتِ الْأَبْصَارُ وَأَخْصِيَتْ الْأَعْمَالُ وَأَخَذَتْ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ وَمَا الَّذِي نَرَى مِنْ خَلْقِكَ وَنَعَجِبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ وَنَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ وَمَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ وَانْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ وَخَالَتْ سُبُورُ الْغُيُوبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ أَعْظَمَ فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ وَكَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي السَّهْوَاءِ سَمَاوَاتِكَ وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى مَوْرِ الْمَاءِ أَرْضَكَ رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيرًا وَعَقْلُهُ

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٠٨.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٣٣.

مَبْهُورًا وَسَمْعُهُ وَآلِهَاهَا وَفِكَرُهُ خَائِرًا.^(١)

عظمة الحق في الأحاديث الشريفة

تمثل الأحاديث الواردة من أئمة الهدى الأطهار بحاراً تزخر بالمعرفة الإلهية إذ إن الكتب الحديثية من قبيل «التوحيد» و«تحف العقول» والموسوعة الحديثية المعروفة بـ«بحار الأنوار» و«علم اليقين» تشتمل على ما يحير العقول ويدهش الألباب حول عظمة الخالق جلّ وعلا.

وفيما يلي طائفة من هذه الأحاديث:

عظمة الخالق في كلام الامام جعفر الصادق عليه السلام

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ اسْمُهُ، وَتَعَالَى ذِكْرُهُ، وَجَلَّ ثَنَاؤُهُ، سُبْحَانَهُ وَتَقَدَّسَ وَتَفَرَّدَ وَتَوَحَّدَ، لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ، وَهُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ، فَلَا أَوَّلَ لِأَوَّلِيَّتِهِ، رَفِيعاً فِي أَعْلَى عُلوِّهِ، شَامِخُ الْأَرْكَانِ، رَفِيعُ الْبُنْيَانِ، عَظِيمُ السُّلْطَانِ، مُنِيفُ الْأَلَاءِ، سَنِيُّ الْعُلِيَاءِ، الَّذِي عَجَزَ الْوَاصِفُونَ عَنْ كُنْهِ صِفَتِهِ، وَلَا يُطِيقُونَ حَمْلَ مَعْرِفَةِ إِلَهِيَّتِهِ، وَلَا يَحْدُونِ حُدُودَهُ لِأَنَّهُ بِالْكَفَيْفَةِ لَا يُتَنَاهَى إِلَيْهِ.^(٢)

اسم الجلالة «الله» مختص بذاته عز وجلّ علّم للذات المقدسة ومستجمع للصفات الذاتية والكمالات والوجودية وجامع توحيد الأفعال، فهو بمنزلة جميع

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٦٠.

٢. الكافي: ١/١٣٧؛ العقائد الإسلامية، مركز المصطفى: ١/٢٢٥.

الصفات الوجودية والذاتية والفعلية .

فكل ما يفيض من بركات الخير على جميع العوالم إلى الأبد هي من تجليات حقيقة هذا الاسم قد اختص به سبحانه ولم يطلق على غيره .

فهو مستحق الألوهية والمعبودية قد ملأ نوره الوجود وفاضت نعمه على العالمين وشمل لطفه جميع الكائنات من دقيقها إلى جليلها من غيبها إلى شهودها ، ومن باطنها إلى ظاهرها ، فهو الفرد الصمد الواحد الأحد المتوحد والصمد الذي ليس له كفؤ ولا له ند .

يقول الرسول الأكرم ﷺ :

لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ. ^(١)

هو سبحانه المبدأ والمعاد والأول والآخر ، وهو عز وجل الظاهر والباطن والذي ظهوره منشأ بطونه وهو الأول بلا أول كان قبله والآخر بلا آخر يكون بعده .

عظمته جلّ وعلا في كلام الامام الرضا عليه السلام

جاء في جانب من كلام الامام علي الرضا عليه السلام في توصيف الخالق تبارك وتعالى :

وَإِنَّ الْخَالِقَ لَا يُوصَفُ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَأَنِّي يُوصَفُ الَّذِي تَعَجَّزُ الْحَوَاسُّ أَنْ تُدْرِكَهُ، وَالْأَوْهَامُ أَنْ تَنَالَهُ، وَالْخَطَرَاتُ أَنْ تَحْدَهُ، وَالْأَبْصَارُ عَنِ الْإِحَاطَةِ بِهِ؟ جَلَّ عَمَّا وَصَفَهُ الْوَاصِفُونَ، وَتَعَالَى عَمَّا يَنْعَتُهُ النَّاعِتُونَ. نَأَى فِي

١ . بحار الأنوار: ٨٢ / ١٧٠؛ عوالي اللآلي: ٤ / ١١٤ .

قُرْبِهِ، وَقُرْبَ فِي نَأْيِهِ، فَهُوَ فِي نَأْيِهِ قَرِيبٌ، وَفِي قُرْبِهِ بَعِيدٌ. كَيْفَ الْكَيْفَ فَلَا يُقَالُ: كَيْفَ؟ وَأَيِّنَ الْأَيِّنَ فَلَا يُقَالُ: أَيِّنَ؟ إِذْ هُوَ مُنْقَطِعُ الْكَيْفِ وَالْأَيْنُونِيَّةِ.^(١)

لا يمكن أبداً توصيف الخالق تبارك وتعالى إلا بما وصف نفسه، وكيف يمكن لكائن محدود أن يصف اللانهائي انه سبحانه الذي تعجز الأوهام والخيالات أن تبلغ إلا مسألة واحدة هي وجوده فقط.

وهو سبحانه الذي لا يمكن للعقول أبداً أن تتخيل ذاته.

عظمة الخلق المبين في كلام أمير المؤمنين عليه السلام

سُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: بِمَا عَرَفَنِي نَفْسُهُ. قِيلَ: وَكَيْفَ عَرَفَكَ نَفْسُهُ؟ قَالَ: لَا يُشَبِّهُهُ صُورَةٌ وَلَا يُحَسُّ بِالْحَوَاسِّ وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ، قَرِيبٌ فِي بُعْدِهِ، بَعِيدٌ فِي قُرْبِهِ، فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا يُقَالُ شَيْءٌ فَوْقَهُ، أَمَامَ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا يُقَالُ لَهُ أَمَامٌ، دَاخِلٌ فِي الْأَشْيَاءِ لَا كَشَيْءٍ دَاخِلٍ فِي شَيْءٍ، وَخَارِجٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ لَا كَشَيْءٍ خَارِجٍ مِنْ شَيْءٍ، سُبْحَانَ مَنْ هُوَ هَكَذَا وَلَا هَكَذَا غَيْرُهُ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ مُبْتَدَأٌ.^(٢)

وجاء في خطبة له تدعى «الوسيلة»:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْجَزَ الْأَوْهَامَ أَنْ تَنَالَ إِلَّا وَجُودَهُ وَحَجَبَ الْعُقُولَ عَنْ أَنْ تَتَخَيَّلَ ذَاتَهُ فِي امْتِنَاعِهَا مِنَ الشَّبَهِ وَالشَّكْلِ بَلْ هُوَ الَّذِي لَمْ يَتَفَاوَتْ فِي ذَاتِهِ وَلَمْ يَتَبَعَّضْ بِتَجْزِيَةِ الْعَدَدِ فِي كَمَالِهِ فَارَقَ الْأَشْيَاءَ لَا عَلَى اخْتِلَافِ الْأَمَاكِنِ وَتَمَكَّنَ مِنْهَا لَا عَلَى الْمُمَارَاجَةِ وَعَلِمَهَا لَا بِأَذَاةٍ لَا يَكُونُ الْعِلْمُ إِلَّا بِهَا وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ

١. الكافي: ١/ ١٣٨؛ التوحيد: ٦١.

٢. الكافي: ١/ ٨٥؛ التوحيد، الشيخ الصدوق: ٢٨٥.

مَعْلُومِهِ عَلَّمَ غَيْرَهُ إِنَّ قِيلَ كَانَ فَعَلَى تَأْوِيلِ أَرْلِيَّةِ الْوُجُودِ وَإِنْ قِيلَ لَمْ يَزَلْ
فَعَلَى تَأْوِيلِ نَفْيِ الْعَدَمِ فَسُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ قَوْلِ مَنْ عَبَدَ سِوَاهُ وَاتَّخَذَ إِلَهًا
غَيْرَهُ عُلُوءًا كَبِيرًا.^(١)

عظمة الحقّ المنان في مناجاة موسى بن عمران عليه السلام

جاء في مناجاة النبي موسى عليه السلام قوله :

يَا رَبِّ أَقْرَبُ أَنْتَ فَأُنَاجِيكَ، أَمْ بَعِيدٌ فَأُنَادِيكَ، فَإِنِّي أَحْسُ حُسْنَ صَوْتِكَ وَلَا
أَرَكَ، فَأَيْنَ أَنْتَ؟ فَقَالَ اللَّهُ: أَنَا خَلْفَكَ وَأَمَامَكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ، يَا
مُوسَى! أَنَا جَلِيسُ عَبْدِي حِينَ يَذْكُرُنِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي.^(٢)

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر وبينني والعالمين خراب

عجائب السماوات والأرضين

انّ ضوء نجم «ماكيان» يصلنا بعد أحد عشر سنة ضوئية يعني أنّه يبعد عنّا
مسافة :

$$11 \times 365 \times 24 \times 60 \times 60 \times 300000 = ? \text{ كيلومتر}$$

أمّا نجم ابط الجوزاء فيبعد عنّا ثلاثمئة سنة ضوئية وهو أكبر من الشمس
بأربعين مليون مرّة بقدر حرارة الشمس .

انّ معظم المجرات التي رصدت بتلسكوب «مونت ويلسن» تقع على بُعد

٢. كنز العمال: ٤٣٣/١.

١. بحار الأنوار: ٢٢١/٤.

خمسمة مليون سنة ضوئية يعني أننا نشاهد صورتها بعد خمسمة مليون عام (لأنّ الضوء الذي وصلنا الآن استغرق خمسمة مليون سنة).

وتبلغ المسافة بين كلّ مجرتين مليوني سنة ضوئية، حيث يشتمل الكون على أكثر من مئة مليون مجرة!!

يقول العالم الفلكي پارلمن في كتابه «معرفة النجوم»:

إن وحدات قياس المسافة الأرضية لا تجدي نفعاً في قياس المسافات السماوية. فقد استخدم علماء الفلك وحدات قياس أكبر بكثير لقياس المسافة في حدود المنظومة الشمسية وقياس متوسط معدل المسافة بين الأرض والشمس والتي تبلغ ١٤٩٥٠٠٠٠٠ كيلومتر كوحدة قياس فإذا أردنا أن نقيس المسافة بين شمسنا وسائر الشمس فإنّ الوحدة أعلاه تعدّ صغيرة جداً.

فمثلاً تبلغ المسافة بين الأرض وأقرب نجم في السماء وهو نجم «پروكسيما» الملاصق تقريباً لنجم «آلفا سنتورا» ٢٦٠٠٠٠ مرة بعد وحدة القياس أعلاه يعني أنّ المسافة بيننا وبين «پروكسيما» تبلغ $٢٦٠٠٠٠ \times ١٤٩٥٠٠٠٠٠ = ؟$ كيلومتراً. وهكذا بدأ العلماء بوضع وحدات قياس جديدة لقياس المسافة في الكون الذي يبدو بلا نهاية.

فرفعوا وحدة قياس هي: «پارسك».

ولذا فإنّ نجم آلفا سنتورا يبعد عنّا ٤/٣ سنة ضوئية ١/٣١ پارسك.

والشعري اليمانية ٨/٧ سنة ضوئية ٢/٦٧ پارسك

والشعري الشاميّة ١١ سنة ضوئية ٣/٣٩ پارسك.

والطير ١٥/٢ سنة ضوئية ٤/٦٧ پارسك.

وهذه النجوم تعدّ قريبة نسبياً مع ان تصوّرها بالكيلومتر سيكون مذهلاً!
إذ يتعيّن أن نضرب الرقم في ٠٠٠/٠٠٠/٠٠٠/٠٠٠/٣٠ لنكتشف طول تلك
المسافات القريبة نسبياً!

وعندما انتقل علماء الفلك لقياس المسافات في المجرّات البعيدة وضعوا
وحدة قياس جديدة هي كيلوپارسك ثمّ ميگا پارسك.
وإذا ما أردنا أن نتصوّر مدى عظمة وحدة القياس هذه «ميگا پارسك» علينا
أن نتأمّل في المثال التالي:

لو قمنا بمدّ أدق خيوط العنكبوت بين طهران وتبريز (تبلغ المسافة بين
المدينتين ٦٤٠ كم) فان وزن هذه الخيط سيكون ١٠ غم فقط.
انّ وزن خيط العنكبوت هذا الممتد بين الأرض والقمر (٤٠٠/٠٠٠ كم)
سيكون ٦ كغم وبين الأرض والشمس (١٨٦/٠٠٠/٠٠٠ كم) سيكون ٢/٣ طن).
أمّا خيط العنكبوت الممتدّ على مسافة «ميگا پارسك» فان وزنه سيكون
٠٠٠/٠٠٠/٠٠٠/٥٠٠ طن!!

عظمة الحقّ جلّ وعلا في كلام العلماء

وأمام عظمة الخالق تبارك وتعالى سجد علماء العصر الحديث واذعنوا للحقيقة
المطلقة ان لهذا الوجود خالق عظيم بلا نهاية حكيم بلا حدود مطلق الوجود.
يقول البروفيسور «اوسكار» استاذ الفيزياء والكيمياء في جامعة «سان جوز»
في كاليفورنيا:

«تستطيع العلوم أن تثبت هذه الحقيقة فقط وهي ان العالم مخلوق لقوة غاية في الحكمة ان العلم يقف عاجزاً تماماً عن بيان تعقيدات القوانين التي تسود الكون.

ويقول اوليفر وندل استاذ العلوم الطبيعي الامريكي :

«انّ فهم العلوم على نحو صائب يعزز أكثر من الايمان بالله».

ويقول البروفيسور والتر استاذ علم الوراثة في جامعة كاليفورنيا :

«يجب الاذعان إلى أنّ الخالق خلق الكائنات الحيّة على نحو يمكنها أن تعيش في البيئة المناسبة وأنّ تتكيف في العيش في البيئة غير المناسبة».

ويقول جان هنري فابر عالم الحشرات الفرنسي :

«ثمة قوة و ارادة تدير عالم الطبيعة».

ويقول لورد كلوين عالم الفيزياء الكبير :

«إذا فكرتم جيداً فان علمكم لا بدّ وأن يدفعكم إلى الايمان بالله».

وكتب البروفيسور جان كليوند استاذ الرياضيات والفيزياء والكيمياء في جامعة مينسوتا اي امريكيّة يقول :

« تتألف المادّة من ذرّات وجزئّيات وتتكوّن الجزئّيات هذه والذرّات من البروتونات والنيوترونات والالكترونات والطاقة نفسها تتبع جميعاً قوانين خاصّة لم تحدث هكذا صدفة !

بحيث تكفي ١٧ ذرّة من عنصر رقم ١٠١ لمعرفة ما يدلّ على أنّ وراء هذا الكون خالق غاية في العلم والقدرة وذات عليا خلقت هذا العالم ولا بدّ من الايمان بهذه الحقيقة المطلقة.

نيوتن والجاذبية العامة

اكتشف العالم الشهير نيوتن قانون الجاذبية العامة هذه القوة التي تربط بين جميع الاجرام السماوية بلا استثناء بحيث لا يوجد جرم يخرج عن هذه القاعدة. ان وجود الكواكب معلقة في فضاء خال دون وجود قوة تحفظها هو الذي دفعه إلى افتراض وجود قوة الجاذبية العامة أي وجود قوة جذب بين الكواكب غير ان هذه النظرية لا تفسر عدم تكوين الكواكب مجموعة فيما بينها كما انها لا تفسر كذلك حركة الكواكب في مداراتها وقد حيرت هذه المسألة نيوتن نفسه ودفعته إلى القول:

يجب أن نعلم ان الحركة الحالية للسيارات لا يمكن نسبتها إلى قوة الجاذبية ذلك ان هذه القوة تجذبها باتجاه الشمس فقط.

ولذا يجب الادعان إلى وجود قوة غيبية هي التي تحفظ السيارات في دورانها حول الشمس.

قضايا الكون

يقول العلماء ان قضايا الكون ترتبط ارتباطاً وثيقاً بقضايا الذرات الدقيقة التي تشتمل على طاقة كبرى كيف تعمل خلال مرورها في المجال المغناطيسي للكون؟

هل يوجد في الأشعة الكونية^(١) ما يتضادّ مع الذرة وإذا كان له وجود فما هو حجم ذلك؟

لقد أجرى العلماء دراسات عديدة وتوصلوا إلى نتائج متناقضة :
ان الكتلة النهائية للنجم ترتبط بالعدد الذري لكتلة البروتون فإذا كانت كتلة البروتون أصغر من مقدارها الآن كان الحد النهائي لكتلة النجم أكثر .
ومن النتائج التي توصل إليها العلماء هي ان كتلة المجرات الكبرى لا تتجاوز مستويات معينة يعني حدود ألف مليار بقدر كتلة الشمس .
وهنا يقف العقل البشري حائراً أمام عظمة الكون .

ضوء الشمس

يخترق ضوء الشمس البيوت الزجاجية بحرية تامة الا ان الأشعة تحت الحمراء لا يمكنها الخروج وتبقى حبيسة وهذا ما يفسر ارتفاع درجات الحرارة في داخل البيوت الزجاجية .
وبعمل الغلاف الجدي عمل السقف الزجاجي اذ يسمح لضوء الشمس بالعبور

١ . تقذف الأرض باستمرار بوابل من الجسيمات الذرية والمعتقد أنها في الأغلب بروتونات هي عبارة عن طاقة في « صورة أشعة كونية » ويكتنف أصل الأشعة الكونية غموض أكثر ممّا يكتنف طبيعتها ، فما يزال العلم يجهل المصدر الذي يبعث بالقذائف خلال الفضاء بمثل هذه السرعة الهائلة ذلك ان الشمس والنجوم أبرد كثيراً من أن تمنحها هذه السرعة .
كنوز العلم ، وليم فرجارا ترجمة الدكتور سيد رمضان هدارة والدكتور محمد صابر سليم
مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بالتعاون مع دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٤ -
المترجم .

بحرية ولكِنَّه يمنع الأشعة تحت الحمراء فتبقى حبيسة تتشبث بها الأجسام على سطح الأرض.

ولهذا نشعر بارتفاع درجة الحرارة على نحو ملحوظ جداً.
ولو لا هذه الظاهرة لكانت الأرض في صقيع دائم.

الأرض

تمكن العلم الحديث إلى النفوذ في عمق الأرض إلى مسافة تقدّر ببضعة كيلومترات فقط.

الآن العلماء توصلوا إلى أن نصف قطر الأرض يبلغ حوالي أربعة آلاف ميل وان سمك القشرة الأرضية تبلغ خمسين ميلاً هي التي تكون سطح الأرض.

وكانت الكرة الأرضية في بداية تكونها عبارة غازات مشتعلة ثم بردت تدريجياً لتتحول إلى الحالة السائلة، ثم جمدت في مرحلة لاحقة وبسبب دورانها حول نفسه تبلورت على نحو كرة تسبح في فضاء لا نهائي وفي ضوء الدراسات الجيولوجية فان الكرة الأرضية تتألف من ثلاثة أقسام:

١- غلاف من الغازات يشكل الغلاف الجوي الذي يلف الأرض أحد مكوناته والآخر مفتوح على الفضاء الواسع.

٢- القشرة الأرضية التي بردت وجمدت بعد أن كانت مشتعلة فتشكلت التضاريس الأرضية المتنوعة من مرتفعات وهضاب وسهول.

٣- باطن الأرض المشتعل.

تري كم يبلغ عمر الأرض؟ لقد توصل العلماء من خلال تحليل عنصر

«اليورانيوم» في أقدم الصخور والذي يتحلل بمرور الزمن ويتحوّل في نهاية المطاف إلى «رصاص» إلى ان عمر الأرض يتراوح بين ملياري وأربعة مليارات سنة!!

عالم الذرة المدهش

الذرة هي أصغر جسم للعنصر يحمل الخواص الكيميائية لهذا العنصر ويشكل الفراغ الجزء الأكبر من عالم الذرة وتشتمل الطبيعة على ١٠٢ عنصر وإذا ما أردنا أن نكتشف عالم الذرة من الخارج فأننا نلاحظ وجود عدد من الالكترونات تدور بسرعة في مدارات مختلفة حول المركز.

والالكترونات عبارة عن جسيمات تحمل شحنة كهربائية سالبة ويختلف عدد الالكترونات من ذرة إلى أخرى بحسب العنصر فذرة الهيدروجين تمتلك الكتروناً واحداً فقط يدور حول المركز بينما يدور في ذرة اليورانيوم اثنان وتسعون الكتروناً، فيما يدور في ذرة النحاس تسعة وعشرون الكتروناً.

ومركز الذرة يدعى «النواة» وهي عبارة عن جسيم لا يفوق في حجمه الالكترون ولكّنه ثقيل جداً لدرجة انه يحوي كلّ وزن الذرة تقريباً بينما لا يبلغ عدد الالكترونات في أيّ عنصر من العناصر إلا بضعة أجزاء من عشرة آلاف من الوزن الذري الكلي.

وتحمل النواة شحنة كهربائية موجبة تساوي تماماً الشحنة الكلية للالكترونات التي تدور حولها.

وقوة الجاذبية التي تمتلكها النواة هي التي تمنع الالكترونات من الافلات بالرغم من سرعتها الكبيرة ولذا تبقىها في مداراتها.

ومع ذلك فإن العلم ما يزال يجهل الكثير عن عالم الذرة المدهش ، فقد اكتشف العلماء وجود جسيمات في النواة إلى جانب البروتونات هي النيوترونات .

وان عدد النيوترونات ليس ثابتاً في العنصر الواحد وهو يؤثر على نحو غامض في استقرار النواة وهو ما عرف بالنظائر المشعة التي تستخدم في الفحوصات الطبية والعلاج .

نظام الخلق في القرآن الكريم

قال سبحانه وتعالى :

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝﴾ (١)

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِاعْبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾ (٢)

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ۝﴾ (٣)

١ . سورة فصلت (٤١) : ١١ - ١٢ .

٢ . سورة الدخان (٤٤) : ٣٨ - ٣٩ .

٣ . سورة ص (٣٨) : ٢٧ .

هذه الحياة المدهشة

يقول ديفيد هيوم :

انّ عالم الطبيعة يشهد على وجود الخالق العليم ولا يوجد عالم باحث لا يذعن ويسلم بهذه الحقيقة .

ويقول الفيلسوف كانت :

انّ وجود الحس الديني (النزعة الدينية) دليل على وجود الله .

ويقول ديكارت :

انّ عمليّة الخلق مستمرة ولو صرف الله وجهه عن الخلق لانعدم العالم .

ويقول جان جاك روسو :

انّا نجهل حقيقة العالم والروح ، إلا انه لا يمكن انكار وجود ذات تتمتع بالادراك والارادة والحكمة المطلقة هي من وراء خلق العالم وتديره .

ويقول پاسكال الفيلسوف والرياضي المعروف :

ثمّة قانون يهيمن على الطبيعة لا يمكن انكاره أبداً ويجب الايمان بوجوده .

انه قانون الخلق الذي أوجدنا وخلق هذا الوجود وان الايمان بوجوده هو الايمان بالله .

ولا يوجد أدنى تعارض بين العلم والايمان .

لقد كشف التلسكوب عن مساحات مذهلة من المجهول في فضاء لا نهائي حيث سبر أعماق الكون وما كان يبدو انه نجم يومض من بعيد ظهر انه مجرّة

تشتمل على ملايين النجوم .

لقد تمكّنت التلسكوبات الحديثة من اكتشاف مجرّات تبعد عنّا مسافة
٠٠٠ / ٠٠٠ / ٦ سنة ضوئية والتقطت لها صورة ما يعني ان تاريخها يعود
إلى ستّة مليارات سنة أي ما قبل تكون الأرض !

توسّع الكون

قال تعالى :

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾^(١)

يفيد العلم الحديث بأنّ النجوم تتباعد عن الأرض بسرعات هائلة للغاية وكلّما
بعد النجم عن الأرض ازدادت سرعة ابتعاده، وقد انتزعت هذه الحقيقة المذهلة
من قياس أطوال موجات الضوء المنبعث من عناصر معينة في تلك النجوم .
غير ان علماء الفلك يحذرون من اعتبار الأرض هي مركز هذا التمدّد ذلك ان
مشاهداتنا لا تتغيّر مهما يكن موقعنا من الفضاء .
وتبلغ أعلى سرعة ابتعاد للنجم عن الأرض قياست حتى الآن ٧٥ / ٠٠٠ كم في
الثانية أي ما يعادل الأرض بـ ٠٠٠ / ٠٠٠ / ٧٠٠ سنة ضوئية !!

خلق السموات والأرض في القرآن الكريم

قال تعالى :

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى

١ . سورة الذاريات (٥١) : ٤٧ .

الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿١﴾.

وجاء في الحديث الشريف:

كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ. (٢)

قال تعالى:

﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾. (٣)

من أين جاءت المادة التي خلق منها الوجود والكون وكيف ظهرت الله وحده سبحانه هو الشاهد الشهيد.

﴿مَا أَشْهَدُتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾. (٤)

ويقف العلم الحديث عاجزاً أمام مسألة ظهور المادة لأنه لا يستطيع أن يدس أنفه في هذا المجال، لهذا فهو يفترض وجودها ثم يحاول تلمس تاريخ ظهور الكون وجذوره.

يقول القرآن الكريم:

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾. (٥)

اذن فالكون في بداية وجوده كان عبارة عن ذرات من دخان وغازات متناثرة في الفضاء.

يقول العالم الفلكي سيرجيمس جينز:

- | | |
|------------------------|---|
| ١. سورة هود (١١): ٧. | ٢. بحار الأنوار: ٥٤ / ٢٣٤؛ مصباح الأنس: ٧٨. |
| ٣. سورة فصلت (٤١): ١٢. | ٤. سورة الكهف (١٨): ٥١. |
| ٥. سورة فصلت (٤١): ١١. | |

انّ مادّة الكون الأولى كانت عبارة عن غازات منتشرة في الفضاء ثمّ تكوّن السديم من تراكم ذراتها والسديم عبارة عن الضباب الشفاف .

ويقول الدكتور غاموف استاذ العلوم الطبيعيّة في جامعة واشنطن :

انّ العالم في بداية ظهوره كان مليئاً بالغازات المنتشرة في الفضاء ثمّ تراكمت ذراتها في درجات حراريّة لا يمكن تصوّرها أبداً .

﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾^(١)

وظهرت سبع طبقات سماويّة .

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾^(٢)

سماوات محكمات في البناء والقوّة والصلابة .

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾^(٣)

حيث تنهض على أعمدة لا ترى فالانسان لا يرى تلك الأعمدة .

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾^(٤)

وان من علامات يوم القيامة أن تنفتح في السماء أبواب .

﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾^(٥)

وقد خلق الله في السماء الدنيا نجوماً معلقة كمصابيح الزينة .

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾^(٦)

١ . سورة فصلت (٤١) : ١٢ .

٢ . سورة نوح (٧١) : ١٥ .

٣ . سورة النبأ (٧٨) : ١٢ .

٤ . سورة لقمان (٣١) : ١٠ .

٥ . سورة النبأ (٧٨) : ١٩ .

٦ . سورة الملك (٦٢) : ٥ .

﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزَيْنَةٍ الْكَوَكِبِ﴾^(١).

ملايين المليارات من ذرات الغازات والدخان تشكل سحباً عظيمة وسدماً هائلة، وتتراكم الغازات بعضها فوق بعض وتحدث احتكاكات رهيبية ينجم عنها حرارة لا يمكن تصوّرها فتشتعل الغازات المتراكمة مكونة نجماً ساطعاً يضيء في السماء الدنيا، وهكذا تتجمع الغازات هنا وهناك في فضاء لا نهائي وتظهر النجوم. بحار رهيبية من الغازات والدخان وأمواج متلاطمة وسحب وسدم وصواعق ورعود بسبب التصادم بين الذرات والغازات واشتعالات ومخاضات ولادة ملايين المليارات من النجوم السابحة في فضاء يبدو وكأنه بلا انتهاء ولا حدود! وقد خضمّ هذه البحار المتلاطمة من الغازات يتشكل على نحو تدريجي سديم ملتوٍ وممتد وتسطع في داخله ملايين النجوم لتشكل مجرّة عملاقة هي مجرّة «الطريق اللبني» أو درب التبانة.^(٢)

وفي داخل هذه المجرّة الهائلة تشكلت منظومتنا الشمسية حيث يوجد نجم متوسط الحجم هو شمسنا تدور حوله كواكب سيّارة ومنها الأرض التي يدور حولها قمر منير.

١. سورة الصافات (٣٧): ٦.

٢. اطلق علماء الفلك في الغرب على المجرّة التي توجد فيها منظومتنا الشمسية اسم «الطريق اللبني» لأنها تشبه طريقاً قروياً حيث ينقل القرويون الحليب في قناني مفتوحة على ظهر عربة تجرها خيول وأثناء الطريق ينثال الحليب ويتساقط بعض رشاشه على الطريق مكوناً بقعاً بيضاء. أمّا علماء الفلك في الشرق الاسلامي فقد اطلقوا مبكراً على هذا المجرّة اسم «درب التبانة» لأنها تشبه الطريق الذي ينقل التبانة خلاله التبني من الحقول المجاورة، وعادة ما تتساقط أعواده وحزمه الصغيرة لتشكل بقعاً متألّقة فوق الطريق - المترجم.

﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً﴾^(١).

إذ يدور كوكب صغير هو «عطارد» ثم يليه مدار آخر يدور فيه «الزهرة»، ثم تأتي أرضنا في المدار الثالث، وبعدها «المريخ» وبعده يأتي الكوكب الجبار «المشتري» بأقماره العديدة ثم يأتي بعده أجمل الكواكب في المنظومة الشمسية «زحل» ثم «اورانوس» و«نبتون» ثم «بلوتو».

عالم مليء بالأسرار والمجهول لم يكتشف منه الانسان إلا النزر القليل فهو لم يحصل على معلومات من هذا العالم الزاخر بالأسرار إلا كما يحصل المرء عند ما يغمس اصابعه في بحر فهل يحصل إلا على قطرات عالقة بأطراف أصابعه فقط!

كأنك لم تفهم ولم تتفهم	بما يختبي تحت العيان المثلث
ألم تر هذا الكون ينمو ببعضه	كأن به روحاً ولم تتكلم
يجيش بحالات اذا ما نظرتها	نظرت إلى أعضاء جسم مجسم
وللأرض كالانسان فكر يقودها	على الرغم من بان لها ومهدم

* * *

خوِّفني منجم أخو خبل	تراجع «المريخ» في بيت «الحمل»
فقلت دعني من أكاذيب الحيل	«المشتري» عندي سواء و«زحل» ^(٢)

١. سورة نوح (٧١): ١٦.

٢. في ٢٥ آب ١٩٨١ اقتربت سفينة الفضاء الامريكية «فويجر 2» من كوكب زحل بعد أن قطعت مسافة ٢/٢٥ بليون كيلومتر، وذلك منذ انطلاقتها في ٢٠ آب ١٩٧٧ من قاعدة «كيپ كانافيرال» وأرسلت كاميراتها ١٨٠٠٠ صورة عن أجمل الكواكب زحل سادس كواكب

ادفع عن نفسي أفانين الدول بخالقي ورازقي عزوجل

النباتات عالم مدهش

هذه النباتات التي تغطي سطح الأرض عالم مدهش يذخر بالأسرار، وما اكتشفه الانسان من أسرار هذا العالم بعث في أعماقه الشعور بالدهشة وأثار في قلبه مشاعر الاجلال للخالق العظيم.

عالم واسع حاول الانسان أن يجعل منه حقولاً متعددة للمعرفة فقسّمها في ضوء ما ينظر إليه من زاوية معينة فعلى سبيل المثال قسم النباتات إلى قسمين:

١- نبات مزهر؛

٢- نبات غير مزهر.

فالنبات المزهر هو الذي يمتلك ساقاً وجذوراً وأوراقاً وأزهاراً وهو في أرقى السلم النباتي فكلّ أشجار الفاكهة بأنواعها والبقول والخضار تنتمي إلى هذا القسم. أمّا النبات غير المزهر فهو يمثل مجموعة النباتات التي لا تمتلك ازهاراً ولذا

➡ المنظومة الشمسيّة من حيث مداره حول الشمس وثانيها في حجمه الهائل بعد المشتري . وكان المعروف قبل هذه الرحلة ان لزحل عشرة أقمار ثمّ ظهر انها سبعة عشر قمراً وأكبرها « تيتان » الذي يبلغ قطره ٥١٥٠ كيلومتراً والذي يشبه الأرض ، كما انه الوحيد من بين أقمار المنظومة الشمسيّة الذي يمتلك غلافاً جويّاً أما حلقاته الرائعة الجمال فتتمدّد على عرض يبدأ بـ ٧٠٠٠ كيلومتر فوق الغلاف الجوي لزحل إلى عرض ٧٤٠٠٠ كيلومتر وما بين هذين النطاقين تلف الكوكب العملاق حلقات بعرض ١٠٠ كيلومتر تتخلّلها فواصل تقل فيها كثافة المادة والجسيمات ويمكن احصاء عشرات آلاف من الحلقات المضيئة بألوان مختلفة جعلت من زحل أجمل الكواكب على الاطلاق . الدكتور عبدالقوي زكي عباد - أجمل الكواكب - مجلة العربي آذار ١٩٨٥ - المترجم .

فهي تتكاثر بطريقة خاصّة . وهذا القسم ينقسم بدوره إلى أنواع متعدّدة فهناك نوع لا يملك أزهاراً وبعضها لا يملك جذوراً وبعضها لا يملك أوراقاً وسيقاناً وما يعرف بالطحالب التي تنبت في المياه الراكدة والأحواض والتي تشكل طعاماً للحيوانات البحريّة التي تعيش في المياه .

وتؤدّي النباتات وظيفة غاية في الأهميّة لاستمرار الحياة على سطح الأرض وهي الحفاظ على نسبة الاوكسجين ثابتة في الهواء اننا نستنشق الهواء من أجل دخول نسبة من غاز الاوكسجين إلى الرئتين ومن ثم الانتقال إلى الدم الذي يقوم بنقله عبر الشرايين والأوعية الدموية إلى جميع أنحاء الجسم .

وهناك تتمّ عمليّة احتراق الغذاء في الخلايا على نحو هادئ وينجم عن الاحتراق تحرّر غاز سام هو الكربونيك الذي يغادر جسم الانسان من خلال الزفير .

فاذا علمنا ان كلّ الكائنات الحيّة تنفّس الاوكسجين وتنفث الكربونيك في الهواء فان هذا يعني نفاد الاوكسجين في فترة قصيرة وامتلاء الهواء بالغاز السام .
علماً أنّ الانسان ينفث من هذا الغاز على مدى ٢٤ ساعة ما يساوي ٢٥٠ غم من الكربونيك أي أن ثلاثة مليارات من البشر ينفثون ما مقداره ٢٧٣/٧٥٠ / ٠٠٠ طن وتتضاعف الكميّة باضافة الحيوانات !

وهنا تبرز اهميّة النباتات ذلك أنّها تسحب من هذا الغاز نهائياً في عمليّة التركيب الضوئي التي تتم في الأوراق حيث يتحرّر غاز الاوكسجين أثناء العمليّة هذه وبكميّات كبيرة جداً تعادل ما تستنشقه الكائنات الحيّة منه أثناء عمليّة التنفّس وبذلك تستمرّ الحياة على سطح الأرض .

وهذا من آيات الله الكبرى في عالم الخلق^(١).

عجائب النباتات في القرآن الكريم

أشار القرآن الكريم في العديد من آياته إلى عجائب الخلق الالهي في عالم النبات:

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢).

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى * كُلُوا وَارْزَعُوا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ (٣).

نعم الله الكبرى

وفي مجموع هذه الآية أربعة أنواع من نعم الله الكبرى الذي جعل لكم الأرض مهدياً، والمهد اسم ما يهد كالفرش وجعل لكم فيها سبلاً بين الجبال والأودية والبراري تسلكونها من أرض إلى أرض.

وأنزل من السماء ماءً مطراً وأخرجنا أزواجاً^(٤) أصنافاً سميت بذلك لازدواجها

١. شگفتی های آفرینش (عجائب الخلق): ١٠.

٢. سورة البقرة (٢): ٢٢. ٣. سورة طه (٢٠): ٥٣ - ٥٤.

٤. في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي أعلن أحد علماء الطبيعة ان النباتات ذكراً وأنثى وكانت ردّة فعل الكنيسة آنذاك بأن اتهمته بالضلال واعتبرت مؤلفاته كفراً.

واقتران بعضها ببعض نباتات مختلفة الأنواع.

ان في ذلك لآيات الأولي النهي؛ لذوي العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب الذنوب والمعاصي.

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِلَهُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾^(١)

تركت الأنس بالأنس	فما في الأنس من أنس
واقبلت على القرآن	درساً أيّما درس
عسى يؤنسني ذلك	إذا استوحشت من رمسي

أسرار النبات

بالرغم من أنّ الجاذبيّة الأرضيّة تعمل على جذب الأشياء إلى الأسفل إلّا أنّنا نرى مادة الحياة في النسغ تتّجه نحو الأعلى وتوجد في غابات الهند وأمريكا وأفريقيا أشجار باسقة جداً شاهقة الارتفاع^(٢).

➤ واليوم فان طلبية المرحلة الثانويّة يعرفون تفاصيل النظام الزوجي عالم النباتات .
وبالرغم من صراحة القرآن في الاعلان عن ظاهرة الزوجيّة في النباتات إلّا ان بعض المفسّرين راح يبحث عن معان بعيدة لـ «ازواجاً» بعيدة عن معناها الحقيقي .
تاريخ العلوم : ٤٥٤ - المترجم . ١ . سورة النمل (٢٧) : ٦٠ .
٢ . ان أعلى شجرة معروفة في العالم هي شجرة الخشب الأحمر التي تعرف بـ «شجرة المؤسس» حيث يبلغ ارتفاعها ٣٦٤ قدماً (عام ١٩٦٠) وما تزال آخذة في النمو .
كنوز العلم : ٣٣٤ - المترجم .

وما يزال العلم يقف حائراً أمام هذه الظاهرة دون أن يجد تفسيراً علمياً لها. يقيم نبات الفطر علاقة صداقة وتعاون مع الطحالب لأن الأول يفتقد مادة الكلوروفيل^(١) الخضراء الضرورية في صناعة السكر والنشأ ولأن الطحالب تفتقد الجذور فإنها ترحب بهذه العلاقة للاستفادة من جذور الفطر والحصول على ما تمتصه من التربة من الاملاح والمواد الغذائية.

إن النباتات والأشجار عالم مذهل حقاً ذلك أن الشجرة تعيش حياة كاملة بدون جهاز عصبي وتنفس دون رئتين وتوزع العصارة بدون قلب، وهي الكائنات الحيّة الوحيدة التي يمكنها تحويل المواد غير العضوية التي لا حياة فيها إلى المواد التي تحتاج إليها جميع الحيوانات في حياتها.

ثمّة علاقة تعاون بين الأزهار والحشرات، فالحشرات تبحث عن الرحيق والأزهار تريد التلقيح من أجل التكاثر وعندما تجتذب الأزهار الحشرات بسبب

١. يعد أجمل مناظر الخريف هو تغير أوراق الأشجار في الغابات حيث تنحسر خضرة الأوراق الزاهية وتحل محلها ألوان الخريف الرقيقة.

ومن المعروف علمياً أن اللون الأخضر في أوراق الشجر يعود إلى لون « الكلوروفيل » ذلك المصنع الكبير لغذاء النباتات وهو يكون ثلثي صبغة الأوراق تقريباً.

وفي اقتراب الشتاء يتوقف هذا المصنع عن العمل فيما تستمر مادة « الزنشرفيل » بالعمل وهي مادة صفراء ونسبتها في الأوراق الخمس تقريباً وشيئاً فشيئاً تبدأ بالظهور فتصبح الأوراق صفراء اللون تميل إلى اللون البرتقالي والأحمر في بعض أنواع الأشجار وتكون هذه الظاهرة بداية لاحتضار الأوراق، إذ تنمو طبقة من الخلايا في العنق الذي يصلها بالفرع وظهور مادة مليئة تساعد في أضعاف الاتصال بين الورقة والنبات، وأخير تصبح ضعيفة جداً بدرجة تكفي لأن يسقطها هبوب النسيم فتسقط على الأرض. المصدر السابق - المترجم.

الرحيق فأنها تزودها أيضاً بمادّة اللقاح التي تنقلها إلى أزهار أخرى وتحدث عملية التلقيح بين الذكر والانثى من نفس النوع؛ وتوجد أنواع من النباتات تتغذى على الحشرات، من قبيل ما يعرف بـ «خناق الذباب» إذ أن ورقته على شكل سطحين متصلين فيما بينهما بمفصلة، وعندما تلمس الحشرة الشعيرات الحساسة النامية على كلّ من السطحين، ينطبق السطحان بعضهما على بعض ويحبسان الحشرة بينهما.

أمّا نبات «كأس القنّاص»، فإن أوراقه تتخذ شكل كيس يشبه الفنجان ويغطي السطح الداخلي للكيس شعر صلب يتّجه إلى أسفل وفي ذلك ما يسهل على الحشرة النزول إلى أسفل الكيس إلا أنّها تجد صعوبة في الخروج فتسقط في النهاية في سائل موجود في قاع الكيس فتهضم!

عجائب عالم الحيوان

عالم الحيوان هذا العالم الزاخر بعجائب الخلق والمليء بالأسرار وعالم الحيوان يتألّف من عدد من العوالم الأخرى، عالم النمل وعالم النحل وعالم الحشرات والعناكب وعالم الذباب وعالم الأسماك و...

بعض الحيوانات لا تمتلك عيوناً لكنّها مجهزة بأدوات ووسائل تستخدمها في حياتها دون أن يعيقها عائق وهناك حيوانات تمتلك عشرات العيون.

فحشرة «ليبريا» تمتلك اثنتي عشر عيناً وبعض أنواع النمل يمتلك من ٢٠٠ إلى ٤٠٠ عين وهناك حشرة تشبه الخفاش تدعى آفة القطن أو «اسفنكس كونفولي» تمتلك ٢٧٠٠٠ عين!!!

عالم النمل

تتكوّن مستعمرة النمل من الملكة والذكور والعَمّال والجنود، وتختلف حياة كلّ نوع من هذه الأنواع حسب وظيفته الاجتماعية فتعيش الذكور فترة قصيرة فقط؛ إذ ان وظيفتها هي تلقيح كلّ جيل من الأجيال المتعاقبة للملكات. ويعيش الجنود والعَمّال مدّة أطول.

أمّا الملكة فهي أطول عمراً في المستعمرة، فقد يعيش العَمّال ستّة أو سبعة أعوام، أمّا الملكة فيمكن أن تبقى مخصبة حتّى تبلغ من العمر عشرة أعوام. وطول عمر الملكة أمر غاية في الأهميّة لاستمرار الحياة في المستعمرة إذ بموتها ينهار التنظيم الاجتماعي للمستعمرة بأكمله وتتفكك نهائياً. ويبنى بعض أنواع النمل بيوته على شكل مخروطي نصف فوق الأرض ونصف تحت الأرض.

وقد يصل ارتفاع البيت من ستّة أمتار إلى ثمانية أمتار وتعيش الملكة حدود ١٥ سنة تقريباً وخلال هذا العمر فإنّها تبيض في الثانية الواحدة بويضة واحدة ولذا فإن عدد البيوض في كلّ ٢٤ ساعة يبلغ ٤٨٠٠٠ بويضة ويصل عدد البيوض خلال عمرها إلى مئات الملايين.

يتألف بيت النمل المخروطي الشكل من ثلاثة عشر طباقاً هي من الأعلى إلى الأسفل عبارة عمّا يلي:

الطابق الأوّل: غرفة الحرس والسيطرة في الدخول والخروج.

الطابق الثاني: غرفة نوم العَمّال.

الطابق الثالث: غرفة تناول وجبة الغداء.

الطابق الرابع: مخزن المواد الغذائية.

الطابق الخامس: مقر الجنود.

الطابق السادس: مقر الملكة الصيفي.

الطابق السابع: مخزن الخضار.

الطابق الثامن: غرفة الحيوانات الحلوب^(١).

الطابق التاسع: غرفة الصغار.

الطابق العاشر: غرفة اللعب.

الطابق الحادي عشر: المستشفى والتجهيزات الطبية.

الطابق الثاني عشر: غرفة نوم العمال الشتوية والمقبرة.

الطابق الثالث عشر: مقر الملكة الشتوي.

وما ان يشعر الحرس بوجود خطر يهدّد الملكة التي يعيش فيها بضعة ملايين من النمل حتّى ينشر الخبر بسرعة حيث تجري الاستعدادات للدفاع.

وفي حالة تمرد أحد عمّال النمل وامتناعه عن العمل فأنّه يتعرّض للعقاب الصارم حيث يتم قطع رأسه فوراً.

وتسير الحياة في مملكة النمل في نظام دقيق حيث يتقاسم النمل الغذاء على نحو متساوي تماماً وتسود حالة مدهشة من التعاون الاجتماعي والتضامن.

١. يقوم النمل برعي حشرات صغيرة تدعى « المن » كما لو أنّها أبقار أو أغنام ثمّ القيام بحلبها واطعام الصغار - المترجم .

عالم الجراد

يصدر عن الجراد أكثر من ٥٠٠ نوع من الأصوات حيث تقوم ببعض الحركات والهيئات في جسمها فتصدر أصوات في نغمات معينة تشكل لغة التفاهم بينها. ويتم اصدار الصوت عن طريق احتكاك غمد الجناح بالأرجل.

يقول الامام جعفر الصادق عليه السلام:

« انظر إلى هذا الجراد ما أضعفه وأقواه، فأنتك إذا تأملت خلقه رأيته كأضعف الاشياء وإن دلفت عساكره نحو بلد من البلدان لا يستطيع أحد أن يحميه منه! ألا ترى ان ملكاً من ملوك الأرض لو جمع خيله (فرسانه) ورجله (مشاته) ليحمي بلاده من الجراد لم يقدر على ذلك! أفليس من الدلائل على قدرة الخالق أن يبعث أضعف خلقه إلى أقوى خلقه فلا يستطيع دفعه». »

ثم يصف عليه السلام تحركات الجراد واجتياحه السهول والجبال والفلوات والمدن: «انظر إليه كيف ينساب على وجه الأرض مثل السيل فيغشى السهل والجبل والبدو والحضر حتى يستر نور الشمس بكثرته مما يصنع بالأيدي متى كان تجتمع منه هذه الكثرة وفي كم سنة كان يرتفع؟

فاستدلّ بذلك على القدرة التي لا يؤدها شيء ولا يكثر عليها شيء»^(١).

ويقول الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام في توصيف الجراد:

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي الْجَرَادَةِ إِذْ خُلِقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ وَأُسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ
فَمَرَاوَيْنِ وَجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ وَفَتَحَ لَهَا الْفَمَ السَّوِيَّ وَجَعَلَ لَهَا الْحِسَّ
الْقَوِيَّ وَنَابَيْنِ بِهِمَا تَقَرُّضُ وَمِنْجَلَيْنِ بِهِمَا تَقْبِضُ يَرْهَبُهَا الزُّرَاعُ فِي زَرْعِهِمْ
وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّهَا وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ حَتَّى تَرِدَ الْحَرْثُ فِي نَزَوَاتِهَا
وَتَقْضِي مِنْهُ شَهَوَاتِهَا وَخَلَقَهَا كُلُّهُ لَا يَكُونُ إِصْبَعاً مُسْتَدَقَّةً فَنَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي
يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَيُعَفِّرُ لَهُ خَدّاً وَوَجْهاً
وَيُلْقِي إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سِلْماً وَضَعْفاً وَيُعْطِي لَهُ الْقِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفاً. (١)

عالم السمك والحياة البحرية

يقول الامام جعفر الصادق يصف السمك والحياة في البحر:
« تأمل خلق السمك ومشاكلته للأمر (البيئة البحرية) الذي قدّر أن يكون عليه،
فانه خلق غير ذي قوائم لأنّه لا يحتاج إلى المشي إذ كان مسكنه الماء وخلق غير
ذي رية لأنّه لا يستطيع أن يتنفس وهو منغمس في اللجة. (٢)

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٨٥.

٢. تتنفس الأسماك بواسطة الخياشيم حيث تقوم بأقفاها أثناء عملية التنفس، وتفتح الفم
فيصل الماء، ثم تقفل الفم وتفتح أغشية الخياشيم وبذلك يدفع الماء إلى الخارج ماراً
بالصفائح الخيشومية، وأثناء مرور الماء يمتص الأوكسجين المذاب في الماء عن طريق
الأوعية الدموية من خلال الدقائق المتعددة الموجودة في الخياشيم، ويخرج من نفس
الأوعية ثاني أكسيد الكربون.

ومن الطريف ذكره أنّ للأسماك فتحات أنفية صغيرة يمكن مشاهدتها في مقدمة السمكة
وتؤدي هذه الفتحات إلى كيس صغير تتركز فيه حاسة الشم.

وجعلت له مكان القوائم أجنحة شداد يضرب بها في جانبيه كما يضرب الملاح بالمجاديف من جانبي السفينة، وكسا جسمه قشوراً متاناً متداخلة كتداخل الدروع والجواشن، لتقيه من الآفات، فأعين بفضل حس في الشم لأن بصره ضعيف والماء يحجبه، فصار يشمّ الطعم من البعد البعيد فينتجعه (يطلبه) فيتبعه والافكيف يعلم به وبموضعه .

فكّر الآن في كثرة نسله وما خصّ به من ذلك، فانّك ترى في جوف السمكة الواحدة من البيض ما لا يحصى كثرة والعلة في ذلك ان يتسع لما يغتذي به من أصناف الحيوان، فان أكثرها يأكل السمك، حتّى انّ السباع أيضاً في حافات الآجام عاكفة على الماء أيضاً كي ترصد السمك فإذا مرّ بها خطفته .

فلما كانت السباع تأكل السمك والطير يأكل السمك والناس يأكلون السمك والسمك يأكل السمك، كان من التدبير فيه أن يكون على ما هو عليه من الكثرة»^(١).

الأعماق الرهيبة

ما يزال العلماء مستمرّين في جهودهم من أجل الكشف من خبايا البحار وعالم الأعماق الرهيبة، وبرغم المخاطر والمجازفة والمغامرات في استكشاف المجهول إلاّ الانسان لا يساوره أدنى تراجع عن المضيّ في طريق الكشوفات والبحث في المجهول.

➤ ففي الأسماك تستخدم فتحات الأنف للشم فقط وليس لها أي علاقة بعملية التنفّس .
كنوز العلم : ٣٤٦ - المترجم .

١ . توحيد المفضّل : ١٢٤ .

وقد اكتشف العلماء في تلك الظلمات المتكاثفة وجود حيوانات قد تكيفت على العيش في تلك الأعماق تحت ضغوط المياه.

حتى أنها لا تستطيع مغادرة بيئتها المظلمة الباردة ولو فعلت ذلك فإنها ستنمزق وتنزف وتموت يعني أنها لا تستطيع الاقتراب من سطح البحر أبداً كما لو أنه حكم عليها أن تعيش في عالم المجهول!

إن بعض تلك الحيوانات أعمى ولكن لبعضها الآخر عيون واسعة فما فائدتها وهي تعيش في الظلام.

ويزول تساؤلنا إذا عرفنا أنها مزودة بمصابيح وكشافات ضوئية.

إن أهم ما يميز معظم كائنات الأعماق أنها جاءت لتنير ظلماتها بمصابيح تناسب حياة الظلام التي قدر لها أن تعيش فيها.

ومن أجل ذلك كانت عيونها!

ولقد رصد علماء البحار حياة الأعماق ورأوا عجباً إذ رأوا عالماً من الأشباح المضيفة التي تتحرك في قلب الظلمات منها ما يتلوّى في حركة ومنها ما يتهاوى ومنها ما ينطلق كالسهم المارق ومنها ما يقف في مكانه كالتمثال الجامد وهي ليست بأشباح وإنما كائنات تأكل وتتغذى وتنمو وتتحرك وتتنفس وتتزوج وت خلفها أجيال من نفس نوعها.

ولكي تستمر في الحياة فلا بد لها من النور تهتدي به وتسير وتحيا وتعيش.

وقد منحها ربّها الذي أعطى كلّ شيء خلقه ثمّ هدى؛ فهي تستخدم النور في التعارف وفي البحث عن الصيد ولا اجتذاب الصيد وللهرب أحياناً.

ان صيادي الأسماك الذين يخرجون للصيد ليلاً يقومون باجتذاب السمك بمصاييح ضوئية والانسان يتصور نفسه مبتكراً لهذه الوسيلة لا يدري ان أسماك الأعماق وحيواناته الاخرى قد سبقته بملايين السنين .

فأحياناً تكون أسنانها مضيئة أو أفواهها الواسعة مضيئة فتجذب الكائنات الصغيرة إلى فمها الواسع كالكهف المضيء وما أن تدخل تلك الكائنات حتى يطبق عليها الفم بمصراعيه وتتحول إلى وليمة ولقمة سائغة .

ولبعض الأسماك في تلك الأعماق الرهيبة خيوط تستخدمها السمكة كالشخص حيث ترسله وقد أضاءت نهايته التي تجذب سمكة أخرى تبحث عن الطعام وشيئاً فشيئاً تقوم بسحب الخيط حتى إذا وصلت السمكة المسكينة الفم الواسع المفتوح أطبق عليها وتحول الأكل إلى مأكل .

ويستخدم بعض الكائنات البحرية كشافاته الضوئية الساطعة لصد هجمات الكائنات المهاجمة حيث يعيش الضوء عيونها وتفقد القدرة على الرؤية ثم تضطر للتراجع أو يجد الكائن فرصة للهروب باتجاه ظلمات أكثر أماناً .

ولا يوجد أدنى شبه بين تلك الكائنات فقد توزعت المصاييح المتوجمة في كل نوع بطريقة تميزها عن غيرها وتكون لها هوية خاصة بها .

أما اللقاء بين الذكور والاناث في النوع الواحد ففيه ما يثير الدهشة والخشوع لرب العالمين .

وقد بلغ أبعاد عمق صيدت فيه أسماك الأعماق ٦٠٠٠ متر .

وتقوم الأسماك بانتاج الضوء الحي من خلال بكتريا لامعة تعيش بين خلايا الأسماك المضيئة فهناك نوع من التكافل بين السمكة والبكتريا واتفاق تحصل

بموجة السمكة على مصابيح وكشافات ضوئية بينما تحصل البكتريا على حياة هائلة.

السمك الكهربائي

وإلى جانب الأسماك المضيئة تعيش أنواع من السمك الكهربائي لا يعيش في الأعماق وإنما في بيئة عادية تماماً إلا أنه يمتاز بإنتاجه الكهرباء فسمكة «الانكليس» الكهربائية قد يصل طولها إلى مترين وتولد فولتية كهربائية تبلغ ٨٠٠ فولت وبشدة امبير!!

وتعيش الأسماك الكهربائية في المياه العذبة والمالحة في الأنهار والبحار وتستخدم هذه الأسماك الكهرباء للصيد وللدفاع عن النفس. وفي الأنهار التي تعيش في مياهها الأسماك الكهربائية عادة ما تهاجم الخيول وهي تعبر النهر وتقوم بصعقها وقد اكتشف العلماء ان لثعابين السمك الكهربائي قطبين أحدهما سالب قرب الذيل وموجب قرب الرأس وبالعكس في بعض الأنواع من السمك كما هو الحال في «سلور النيل».

وللسمكة عمر مسجل في قشورها

يمكن معرفة عمر السمكة من خلال احصاء الحلقات الموجودة في «الفلس» فكل حلقة تمثل عاماً من النمو! ويمكن احصاء الحلقات بواسطة عدسة مكبرة. وهذه الطريقة تشبه كيفية معرفة عمر الشجرة من خلال احصاء الحلقات في جذعها.

وتتغذى الأسماك على الصيد فالأسماك الكبيرة تلتهم الصغيرة والأسماك الصغيرة تلتهم الأسماك الأصغر منها حتى نصل إلى أصغر أنواع السمك الذي يتغذى على التهام الطحالب.

ولو لا وجود الطحالب الغنيّة بالكلوروفيل لأسدل الستار على الحياة البحريّة. والطحالب أنواع وألوان خضراء وزرقاء وحمراء وتشكل بمجموعها أغني المراعى التي تؤمن الحياة لملايين ومليارات الكائنات البحريّة.

الحيتان

يقول الامام السجّاد عليه السلام في تسبيحة خالدة:

«سبحانك ترى ما في قعر الماء!

سبحانك تسمع أنفاس الحيتان في قعور البحار!»

هذه الحيتان التي تسبح في الأعماق عالم مثير مليء بالأسرار.

حيوانات ثديية عملاقة هي أكبر الحيوانات الثديية على الإطلاق أنّها ثديية لأن صغار الحيتان تولد حية وتتغذى على لبن الأم.

يبلغ وزن الحوت وزن عشرة أفيال كبيرة الجسم.

وتعد صغار الحيتان التي تولد أكبر صغار الحيوانات حجماً، فقد سجّل العلماء

ولادة حوت أزرق بلغ وزنه أربعة أطنان وطوله ثمانين قدماً!

ونختتم هذا الفصل عن عالم الحياة البحريّة بهذا السؤال:

هل تنام الحيوانات البحريّة في الماء؟!

نعم أنها تنام وسبحان من لا تأخذ سنة ولا نوم!
ينام الدولفين تماماً في الماء الطلق وعادة ما تطفوا الحيوانات النائمة أثناء الليل على عمق يبلغ حوالي قدم واحدة تحت سطح الماء.
وفي كلّ ثلاثين ثانية يضرب الحيوان البحري بذيله ضربات خفيفة ليرتفع برأسه إلى سطح الماء لاستنشاق الهواء.
ان أغرب الحيوانات البحريّة جميعاً هو «الودل» أو «Weddell' Sea» وهو من حيوانات القطب الجنوبي حيث يمضي الشتاء القارس تحت الطوف الثلجي ويتنفس من خلال زيارات دوريّة لثقوب يصنعها في الجليد ويعمل باستمرار على حفظها مفتوحة بواسطة أسنانه الحادّة القويّة فكيف تتاح له فرصة النوم؟ حتى الآن لم يتمكن العلماء من العثور على الجواب!

الغاز في حياة الحيوان

على الرغم من أنّ للثعابين ذوات الأجراس عيوناً حادة البصر فإن لها أعضاء تدعى الحفر تساعد على «الرؤية» في الظلام وهي عبارة عن أعضاء حقيقيّة توجد على جانبي الرأس وتستجيب للأشعة الحراريّة تحت الحمراء.
ففي أحلك الليالي سواداً يستطيع الثعبان أن «يرى» فأراً أو غيره من الحيوانات عن طريق حرارة جسم هذا الحيوان.
ومن الحركات الغريبة في الثعابين الحركة المستمرة للسان وفي كلّ مرّة يخرج اللسان الذي يشبه الشوكة إلى الخارج، فأنّه يستقبل الهواء المحمل بالروائح ثم يوصله بعد ذلك إلى أعضاء داخل الفم.

وتستخدم الثعابين هذه الحاسة لتتبع الفريسة بعد حقنها بالسم الذي يخدم غرضاً مزدوجاً هو: قتل الفريسة ثم بدء عملية هضمها قبل أن يبتلعها الثعبان!

الأيّل لا يشرب الماء رغم الظمأ

قال الامام الصادق عليه السلام:

فكّر يا مفضل في الفطن التي جعلت في البهائم لمصلحتها بالطبع والخلقة لطفاً من الله عزّ وجلّ لئلاّ يخلو من نعمه جل وعزّ أحد من خلقه لا بعقل وروية فإنّ الأيّل يأكل الحيات فيعطش عطشا شديدا فيمتنع من شرب الماء خوفاً من أن يدب السم في جسمه فيقتله ويقف على الغدير وهو مجهود عطشا فيعج عجيجا عاليا ولا يشرب منه ولو شرب لمات من ساعته فانظر إلى ما جعل من طباع هذه البهيمة من تحمل الظمأ الغالب الشديد خوفاً من المضرة في الشرب وذلك مما لا يكاد الإنسان العاقل المميز يضبطه من نفسه.

والثعلب إذا أعوزه الطعم تماوت ونفخ بطنه حتى يحسبه الطير ميتا فإذا وقعت عليه لتنهشه وثب عليها فأخذها فمن أعان الثعلب العديم النطق والروية بهذه الحيلة إلاّ من توكل بتوجيه الرزق له من هذا وشبهه فإنه لما كان الثعلب يضعف عن كثير مما تقوى عليه السباع من مساورة الصيد أعين بالدهاء والفتنة والاحتيال لمعاشه.

والدلفين يلتمس صيد الطير فيكون حيلته في ذلك أن يأخذ السمك فيقتله ويسرحه حتى يطفو على الماء ثم يكمن تحته ويثور الماء الذي عليه حتى لا يتبين شخصه فإذا وقع الطير على السمك الطافي وثب إليها فاصطادها فانظر إلى

هذه الحيلة كيف جعلت طبعا في هذه البهيمة لبعض المصلحة .»^(١)

عالم الحشرات :

تؤدي الحشرات دوراً هاماً في حياة الانسان لأنها تعدّ العامل الأساس في تلقيح الأزهار وبالتالي تكون الثمار والبذور اللازمة لتغذية الحيوانات ناهيك عن حياة البشر .

ولذا فان تكاثرها أمر حيوي ومن الطبيعي أن تتوقف عملية التكاثر على الاتصال فيما بينها .

وقد يبدو أنها تعيش في صمت غير ان الحقيقة غير ذلك تماماً فهي تسعى باستمرار للتواصل فيما بينها مستخدمة لغات متعددة ووسائل مختلفة وهناك من الحشرات من يجيد أكثر من وسيلة ولغة للاتصال والتواصل مع أفراد نوعه ف سبحانه الله الذي خلق كل شيء وأعطاه هداة .

والحشرات نوعان ، نوع اجتماعي يعيش ويعمل في مستعمرات خاصة كالنمل والنحل ومنها ما يعيش على نحو منفرد قانعاً بحياته في بيئات مختلفة فنرى نوعاً يعيش على الأشجار أو داخلها أو بين جذور الأعشاب وأوراقها .

ومن الحشرات ما يعيش في داخل التراب أو في المياه ولهذا فقد زوّدت بوسائل عديدة للاتصال والتفاهم منها :

- وسائل بصرية حيث تستخدم بعض الحشرات الاشارات الضوئية لاجتذاب أفراد نوعها ويدعى هذا النوع بالحشرات الضوئية .

١ . توحيد المفضل : ١٠٩ - ١١٠ .

- وسائل صوتية، حيث تقوم الحشرة ببث اشارات صوتية لها معاني محدّدة دون شك في ايقاع ثابت ودقيق وموزون.

- وسائل كيميائية حيث تستخدم الحشرة المواد الكيميائية من خلال اطلاق نوع من الروائح بعضها طيب الرائحة والآخر كريه لكنّه يحقق المطلوب.

- وسائل لمسية حيث تستخدم الاتصال المباشر للتعبير عمّا تريد.

فالبراغات وهي نوع من الخنافس من غمديات الأجنحة تطلق الاشارات الضوئية والاناث من البراغات هي من تقوم بذلك حيث تشعّ من أجل اجتذاب الذكور.

وتفضل البراغات الحياة في الغابات وتتغذى على أنواع صغيرة من الحلزونات حيث تقوم بامتصاص السائل فيه.

وهناك نوع من الحشرات المضيئة تدعى الحباب والحشرات المضيئة تبث أضواءً مختلفة الألوان يتراوح ما بين الأخضر والأزرق والأحمر.

إلى جانب اللون الشفاف الذي يضمّ الجميع وتكون عملية اطلاق الاشارات الضوئية متقطّعة احياناً أو متواصلة مستمرة وهي بالتأكيد تشتمل على معاني مختلفة ومفردات للتفاهم.

ويتمّ انتاج الضوء لدى الحشرات المضيئة من خلال تفاعل كيميائي انزيمي حيث يدخل انزيم «الوسيفر» الحساس للحرارة وهو تفاعل متوازن.

وتستخدم أنواع من الحشرات بكتريا مضيئة خاصّة تتفاعل معها لانتاج الضوء.

أما الحشرات التي تستخدم الروائح في التواصل مع أفراد نوعها أو في الدفاع عن نفسها فهي أنواع عديدة.

فالحشرة المسكية تطلق رائحة المسك وهي حشرة صغيرة من غمديات الأجنحة تتواجد على جذوع أشجار الصفصاف وأغصانه وهناك نوع يستخدم الروائح الكريهة وسيلة للدفاع، فيطلق رائحة منقّرة جداً عندما يشعر بالخطر.

وعادة ما تتحاشى الطيور والزواحف ولا تقدم على اصطياد هذه الحشرات بسبب رائحتها وقد تقوم الضفادع باصطيادها ولكنها سرعان ما تقوم بلفظها بسرعة وكأنّها تتخلص من شيء مقرف!

غير أن إطلاق الروائح لدى معظم الحشرات تبقى وسيلة للتواصل والتفاهم تمهيداً للتكاثر.

فهناك أنواع من الحشرات (الاناث) لا تغادر أبداً أجورها ولذا فإنها تستخدم إطلاق الروائح الخاصة لجذب الذكور إليها.

ويقوم بعض أنواع الفراشات بإطلاق مواد حساسة للأشعة تحت الحمراء تلتقطها الذكور فهي لا تملك انوفاً لتمييز الروائح وإنما تملك مطيافاً للأشعة تحت الحمراء.

وهناك أنواع من الحشرات تطلق اشارات صوتية قد تكون مسموعة من قبل الانسان أو تكون عالية التردد بحيث لا تسمعها الاذن البشرية فهي اشارات «فوق صوتية».

فقد لاحظ العلماء أن ذكور البعوض تتجمع حول مصدر الاهتزازات الصوتية في تردد ١٠ / ٤ هرتز في الدقيقة الذي يحاكي طنين الانثى عندما تكون في أقصى

سرعتها في التحليق .

وقد أجريت تجارب حول الجراد حيث سجّل صوت صرصرة الذكور ثم بثه من خلال جهاز التسجيل ف لوحظ تجمع الاناث وتقافزها حوله بحثاً عن الذكور داخله .

هذه اللغة تكشف عن وجود أجهزة بث الاشارات الصوتية وأجهزة استلام هذه الاشارات وأيضاً وجود جهاز عصبي يحلّل هذه الاشارات ويقدم الاستجابة . وهكذا الأمر لدى الحشرات التي تستخدم اطلاق الاشارات الضوئية . أما كيفية قيام الحشرات في اطلاق أصوات في ايقاع محدّد فهي تتم من خلال وسائل متنوّعة .

فالجراد على سبيل المثال فإنّ الصوت الذي يطلقه يتم من خلال احتكاك صف من الأسنان الصغيرة والموجودة على السطح الداخلي لعظم الفخذ بعصب من غمد الجناح ويؤدّي ترتيب الأسنان دوراً في تغيير الايقاع الصوتي وفي عالم الصراصير تقوم الذكور بالغناء ليلاً لاجتذاب الاناث من أجل الاقتران والتزاوج . ويتغيّر نظام الغناء حسب اختلاف المسافة بين الذكور والاناث وتلتقط الاناث أصوات الغناء عن طريق وسائل سمعية موجودة على أحد أزواج الأرجل .

وقد يحدث تنافس بين ذكّرين على اجتذاب انثى واحدة بتطور إلى قتال حقيقي ضار^(١) وكثير من الحشرات يستخدم أكثر من طريقة للتفاهم مع أفراد نوعه

١ . استغلّ الصينيون قديماً هذه الظاهرة لتنظيم مسابقات المصارعة والقتال بين صراصير الليل حيث يقوم بعضهم بتربية هذا النوع من الحشرات لهذا الغرض - المترجم .

فقد لوحظ ان جنود النمل الأبيض يتبع الاناث عن طريق الرائحة وخلال ذلك يقوم باطلاق «طققة» خاصة هي اشارات صوتية للتحذير!

عالم الذباب

عالم الذباب وما فيه من الغرائب والعجائب وما يثيره من قلق لدى الانسان فالذبابة حشرة فريدة يمكن أن يطلق عليها حاملة جرائم، فهي تشكل خطراً كبيراً على حياة الانسان والحيوان والنبات.

والذباب هو الحشرة الأولى في قدرته وقابلياته على التكيف مع البيئة وقد عجز الانسان في محاولة السيطرة عليه فضلاً عن مكافحته والقضاء عليه.^(١)

والذباب من أشهر أنواع الحشرات في العالم فهو معروف للبشر جميعاً لأنه يعيش في كل أنواع البيئة من شمال الأرض إلى جنوبها وقد ضرب الله الذباب مثلاً للانسان:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِّثْلُ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.^(٢)

ويبدأ نشاط الذباب مع أولى خيوط الفجر حيث يبدأ تكاثرها وطنينها المزعج

١. قاد زعيم الصين ماوتسى تونغ أكبر حملة شعبية في التاريخ ضد الذباب حيث شارك مئات الملايين في مكافحتها وكانت النتيجة الفشل.

٢. سورة الحج (٢٢): ٧٣ - ٧٤.

في فصل الصيف.^(١)

وبالرغم من الفناء الذي يعصف بأعداد كبيرة من الذباب في فصل الخريف إلا أن أعداداً كبيرة أخرى تمضي فصل الشتاء مختبئة في عمق الثقوب دون تغذية وتدفئة وتكون خلال هذه الفترة من موسم البرد شبه مخدرة.

ولكن ما إن يطل فصل الربيع حتى يبدأ الذباب بتنظيم صفوفه ومضاعفة أعداده بصورة مذهشة وكأنه يدرك أنه لم يبق من عمره سوى أسبوعين أو ثلاثة فتبيض كل واحد ألف بويضة تفقس بعد يومين ليخرج الصغار الذين يتضاعف وزنهم خلال أسبوع ثمانمئة مرة!

والذباب أنواع كثيرة جداً من قبيل ذبابة الجبن وذبابة الكرز وذبابة الخيول وذبابة الخل وذبابة الزرقاء وذبابة الخضراء، وأشهرها الذبابة المنزلية التي ارتضت العيش بالقرب من الإنسان لا تفرق في تغذيتها بين أكالاته الشهية وفضلاته! وإن كانت تفضل الحليب والمواد السكرية والمواد المتخمرة واللحوم والفواكه.

وتبقى وجبة الذباب المنزلي المفضلة المواد المتحللة فهي حشرة قذرة؛ وتتمتع الذبابة بقدرات كبيرة جداً تثير الإعجاب، فهي سريعة الطيران والتنقل، كما أن

١. روى الربيع حاجب الخليفة المنصور أن الأخير وقد وقعت على أنفه ذبابة فطردها بيده ثم عادت فحطت على أنفه مرة أخرى وثالثه فشعر بالانزعاج وقال للامام الصادق عليه السلام:

- يا أبا عبد الله! لأي شيء خلق الله الذباب؟!

فقال الإمام عليه السلام:

- ليذلل به الجبابرة.

بحار الأنوار: ٤٧/ ١١٦.

قدرتها على حفظ توازنها لا تضاهى فهي قادرة على الوقوف على حافة كوب بل وتمشى بسهولة على النوافذ الزجاجية .

يبلغ معدل خفقان أجنحتها مئتي ضربة في الثانية وبامكانها أن تقطع مسافة مئتي سانتيمتر في الثانية الواحدة!! وهي مسافة كبيرة جداً قياساً بحجمها .

تختلف الذبابة عن سائر الحشرات في ان لها جناحين فقط بينما عدد الأجنحة لدى الحشرات في الغالب أربعة .

أمّا طينيتها المعروف فنتاج في الحقيقة عن دفعاتها السريعة بجناحيها أثناء الطيران .

وقد عوضها الله سبحانه وتعالى عن جناحيها الناقصين بجنيحين صغيرين جداً تستخدمهما في حفظ التوازن ويمكنانها من الحركة والطيران في كل الاتجاهات وتحديد مسار الحركة .

وقد لاحظ العلماء في ان انتزاع أحد الجنيحين يؤدي إلى سقوطها على الأرض دوامياً كسقوط الطائرات .

وبسبب كثرة أعدائها من الطيور والقطط والضفادع فضلاً عن البشر فإنها شديدة الحذر ترصد عيناها الفريدتان أدنى الحركات من حولها وتتمتع بذاكرة لمدة دقيقة واحدة فقط .

وتعيش الذبابة المنزلة في دائرة يتراوح قطرها من ٣٠٠ - ٤٠٠ متر .

وتكمن خطورة الذباب في قابليتها على حمل الجراثيم فبامكان الذبابة الواحدة حمل خمسين مليون من الجراثيم والمكروبات ولكي نتصور خطرها فانه يمكن تشبيهها بقاذفة قنابل مجهزة بأكثر من خمسين مليون قنبلة جرثومية!!

ولا تشكل الجراثيم أدنى خطر على حياة الذبابة ودور الأخيرة هو نقلها إلى الحيوان أو الانسان والتسبب له في الأمراض من قبيل الزحار والجذام والتيفوئيد والجذري والكوليرا.

ويشكل الذباب خطراً محدقاً في البلدان الاستوائية حيث يبلغ معدّل تكاثرها الذروة بسبب معدلات الرطوبة العالية!

وتعتبر ذبابة التي «التسي» الأكثر خطراً على الانسان وهي التي تسبب له الاصابة بمرض النوم الخطير الذي يصيب الانسان والحيوان على السواء. ويعد العنكبوت العدو للذباب والقادر على مكافحته أي أضرار بالبيئة.^(١)

عالم العناكب

العنكبوت هذه الحشرة المعروفة ببيوتها التي لا تتخذ منها سكناً وإنما شركاً وفخاً للحشرات.

وتستخدم العنكبوت خيوطاً خاصّة بها تنتجها وتبني بها بيوتها الواهنة وتقوم

١. في كتاب التوحيد للمفضل بن عمر: ١١١:

« انظر إلى هذا الذي يقال له الليث وتسميه العامة أسد الذباب وما أعطي من الحيلة والرفق في معاشه فإنك تراه حين يحس بالذباب قد وقع قريباً منه تركه ملياً حتى كأنه موات لا حراك به فإذا رأى الذباب قد اطمأن وغفل عنه دب دبيباً دقيقاً حتى يكون منه بحيث تناله وثبته ثم يثب عليه فيأخذه فإذا أخذه اشتمل عليه بجسمه كله مخافة أن ينجو منه فلا يزال قابضاً عليه حتى يحس بأنه قد ضعف واسترخى ثم يقبل عليه فيفترسه ويحيا بذلك منه فأما العنكبوت فإنه ينسج ذلك النسج فيتخذة شركاً ومصيدة للذباب ثم يكمن في جوفه فإذا نشب فيه الذباب أحال عليه يلدغه ساعة بعد ساعة فيعيش بذلك منه » - المترجم .

بعض الغدد في جسمها بانتاج نوعين من الخيوط النوع الأول لصناعة أكياس حريرية ناعمة للبيض أما الأكثر خشونة فتضعه العنكبوت لشل حركة الفريسة إلى جانب نوع ثالث من الخيوط تستخدمه العنكبوت كوسيلة للاتصال والانتقال والتدلي في الفضاء .

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

كيف تعرف العنكبوت أن حشرة دخلت بيته ؟

تقوم العنكبوت بعد أن تنصب بيتها شركاً للصيد بغزل خيط حريري «تلغرافي» يربط بينها وبين البيت وعندما تصطدم فراشة أو أيّة حشرة أخرى بالبيت تشعر انثى العنكبوت بالاهتزازات التي يحدثها الاصطدام بـ «السلك التلغرافي» فتعود بسرعة إلى بيتها وتقوم بربط الصيد بخيوطها ثم حقنه بكمية مناسبة من السم وعندما تتأكد من استسلامه لمصيره تقوم بامتصاص دمه .

عناكب تعيش تحت الماء

أنّها عناكب عادية هي «عناكب الماء» ذلك انها تتنفس الهواء الطلق مثل سائر العناكب، غير ان هذا النوع من العناكب فضل العيش داخل المياه فيقوم ببناء كيس حريري مقلوب وتثبيتته في فرع نبات مائي محفور وعندما يغوص داخل الماء فانه يحمل معه فقاعات هوائية تلتصق بجسمه يقوم بافراغها داخل الكيس حيث

١. سورة العنكبوت (٢٩) : ٤١ .

يتنفس من الهواء المخزون داخل الكيس وقت الحاجة !

وللعناكب القدرة على الطيران بالرغم من عدم امتلاكها للأجنحة فهي تعيش في الماء مع انها تتنفس الهواء الطلق وتستطيع العيش في الهواء أيضاً.

فعنكبوت «البالون» ينتج خيوطاً متناهية في الدقة ترتفع عالياً لأقل نسمة هواء فيتعلق بها العنكبوت وينتقل بواسطتها من مكان إلى آخر، فإذا أراد الهبوط فإنه يقوم بغزل خيط اضافي يساعده على النزول تدريجياً بنفس الطريقة التي ينزل فيها رجل من طائرة هليكوبتر!!

والسؤال هنا لماذا لا تلتصق العنكبوت بخيوط بيتها كما تلتصق ببقية الحشرات؟!

من المعروف انّ خيوط العنكبوت تمتاز باللزوجة حيث تلتصق بالحشرات التي يقودها سوء حظها للوقوع في الشرك المنسوب.

والجواب مثير جداً لأن جسم العنكبوت غير محصّن ضدّ اللزوجة ولكنها من الذكاء بحيث تنسج بيوتها بخيوط جافة ثم عندما يكتمل البناء تقوم بافراز مادة لزجة لاصقة فوق الخيوط تاركة فواصل فارغة من المادة اللزجة تمكنها من التجول في انحاء البيت دون التعرّض لخطر الالتصاق الذي تتعرّض له ضحاياه!

روى الربيع حاجب^(١) «المنصور» قال :

حَضَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ عليه السلام مَجْلِسَ الْمَنْصُورِ يَوْمًا وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنَ الْهِنْدِ يَقْرَأُ كُتُبَ الطَّبِّ فَجَعَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقُ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عليه السلام

١. الحاجب رئيس التشريفات في قصر الخلافة - المترجم .

يُنْصِتُ لِقِرَاءَتِهِ فَلَمَّا فَرَغَ الْهِنْدِيُّ قَالَ لَهُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَتُرِيدُ مِمَّا مَعِيَ شَيْئًا قَالَ لَا فَإِنَّ
مَا مَعِيَ خَيْرٌ مِمَّا مَعَكَ قَالَ وَمَا هُوَ قَالَ أَدَاوِي الْحَارَّ بِالْبَارِدِ وَ الْبَارِدَ بِالْحَارِّ وَ
الرَّطْبَ بِالْيَابِسِ وَ الْيَابِسَ بِالرَّطْبِ وَ أَرُدُّ الْأَمْرَ كُلَّهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ أَسْتَعْمِلُ مَا
قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَ أَعْلَمُ أَنَّ الْمَعْدَةَ بَيْتُ الدَّاءِ وَ الْحِمِيَّةُ هِيَ الدَّوَاءُ وَ أَعُوذُ بِالْبَدَنِ مَا
اعْتَادَ فَقَالَ الْهِنْدِيُّ وَ هَلِ الطَّبُّ إِلَّا هَذَا فَقَالَ الصَّادِقُ ﷺ أَفْتَرَانِي عَنْ كُتُبِ الطَّبِّ
أَخَذْتُ قَالَ نَعَمْ قَالَ لَا وَ اللَّهِ مَا أَخَذْتُ إِلَّا عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَأَخْبِرْنِي أَنَا أَعْلَمُ بِالطَّبِّ
أَمْ أَنْتَ فَقَالَ الْهِنْدِيُّ لَا بَلْ أَنَا قَالَ الصَّادِقُ ﷺ فَأَسْأَلُكَ شَيْئًا قَالَ سَلْ قَالَ أَخْبِرْنِي يَا
هِنْدِيُّ كَمْ كَانَ فِي الرَّأْسِ شُئُونٌ قَالَ لَا أَعْلَمُ قَالَ فَلِمَ جُعِلَ الشَّعْرُ عَلَيْهِ مِنْ فَوْقِهِ قَالَ
لَا أَعْلَمُ قَالَ فَلِمَ خَلَّتِ الْجَبْهَةُ مِنَ الشَّعْرِ قَالَ لَا أَعْلَمُ قَالَ فَلِمَ كَانَ لَهَا تَخْطِيطٌ وَ
أَسَارِيرٌ قَالَ لَا أَعْلَمُ قَالَ فَلِمَ كَانَ الْحَاجِبَانِ مِنْ فَوْقِ الْعَيْنَيْنِ قَالَ لَا أَعْلَمُ قَالَ فَلِمَ
جُعِلَتِ الْعَيْنَانِ كَاللُّوزَتَيْنِ قَالَ لَا أَعْلَمُ قَالَ فَلِمَ جُعِلَ الْأَنْفُ فِيمَا بَيْنَهُمَا قَالَ لَا أَعْلَمُ
قَالَ فَلِمَ كَانَ ثَقْبُ الْأَنْفِ فِي أَنْفِهِ قَالَ لَا أَعْلَمُ قَالَ فَلِمَ جُعِلَتِ الشَّقَّةُ وَ الشَّارِبُ مِنْ
فَوْقِ الْفَمِ قَالَ لَا أَعْلَمُ قَالَ فَلِمَ احْتَدَّ السِّنُّ وَ عُرِضَ الضَّرْسُ وَ طَالَ النَّابُ قَالَ لَا
أَعْلَمُ قَالَ فَلِمَ جُعِلَتِ اللَّحْيَةُ لِلرَّجَالِ قَالَ لَا أَعْلَمُ قَالَ فَلِمَ خَلَّتِ الْكَفَّانِ مِنَ الشَّعْرِ
قَالَ لَا أَعْلَمُ قَالَ فَلِمَ خَلَا الظُّفْرُ وَ الشَّعْرُ مِنَ الْحَيَاةِ قَالَ لَا أَعْلَمُ قَالَ فَلِمَ كَانَ الْقَلْبُ
كَحَبِّ الصَّنَوْبَرِ قَالَ لَا أَعْلَمُ قَالَ فَلِمَ كَانَتِ الرَّتَّةُ قُطْعَتَيْنِ وَ جُعِلَ حَرَكَتُهَا فِي مَوْضِعِهَا
قَالَ لَا أَعْلَمُ قَالَ فَلِمَ كَانَتِ الْكَبِدُ حَذْبَاءَ قَالَ لَا أَعْلَمُ قَالَ فَلِمَ كَانَتِ الْكُلْبَةُ كَحَبِّ
اللُّوْيَا قَالَ لَا أَعْلَمُ قَالَ فَلِمَ جُعِلَ طَيُّ الرُّكْبَتَيْنِ إِلَى خَلْفٍ قَالَ لَا أَعْلَمُ قَالَ فَلِمَ
تَخَصَّرَتِ الْقَدَمُ قَالَ لَا أَعْلَمُ فَقَالَ الصَّادِقُ ﷺ لَكِنِّي أَعْلَمُ قَالَ فَأَجِبْ قَالَ
الصَّادِقُ ﷺ كَانَ فِي الرَّأْسِ شُئُونٌ لِأَنَّ الْمُجَوَّفَ إِذَا كَانَ بِلا فَضْلٍ أُسْرِعَ إِلَيْهِ الصَّدَاعُ

فَإِذَا جُعِلَ ذَا فُضُولٍ كَانَ الصَّدَاعُ مِنْهُ أَبْعَدَ وَ جُعِلَ الشَّعْرُ مِنْ فَوْقِهِ لِيُوصَلَ بِوَصْلِهِ
 الْأَذْهَانُ إِلَى الدِّمَاغِ وَيَخْرُجَ بِأَطْرَافِهِ الْبُخَارُ مِنْهُ وَيُرَدُّ الْحَرُّ وَالْبَرْدُ الْوَارِدَيْنِ عَلَيْهِ
 وَ خَلَّتِ الْجَبْهَةُ مِنَ الشَّعْرِ لِأَنَّهَا مَصْبُ النُّورِ إِلَى الْعَيْنَيْنِ وَ جُعِلَ فِيهَا التَّخْطِيطُ وَ
 الْأَسَارِيرُ لِيُخْتَبَسَ الْعَرَقُ الْوَارِدُ مِنَ الرَّأْسِ عَنِ الْعَيْنِ قَدَرٌ مَا يُمِيطُهُ الْإِنْسَانُ عَنْ
 نَفْسِهِ كَالْأَنْهَارِ فِي الْأَرْضِ الَّتِي تَحْبَسُ الْمِيَاهَ وَ جُعِلَ الْحَاجِبَانِ مِنْ فَوْقِ الْعَيْنَانِ
 لِيُرَادَّ عَلَيْهِمَا مِنَ الثُّورِ قَدَرُ الْكَفَافِ أَلَا تَرَى يَا هِنْدِيُّ أَنَّ مَنْ غَلَبَهُ الثُّورُ جَعَلَ يَدُهُ
 عَلَى عَيْنَيْهِ لِيُرَدَّ عَلَيْهِمَا قَدَرُ كِفَايَتِهَا مِنْهُ وَ جُعِلَ الْأَنْفُ فِيمَا بَيْنَهُمَا لِيُقَسِّمَ النُّورَ
 قِسْمَيْنِ إِلَى كُلِّ عَيْنٍ سَوَاءً وَ كَانَتِ الْعَيْنُ كَاللُّوزَةِ لِيَجْرِيَ فِيهَا الْمِيلُ بِالْذَّوَاءِ وَيَخْرُجَ
 مِنْهَا الذَّاءُ وَ لَوْ كَانَتْ مُرْبَعَةً أَوْ مَدَوَّرَةً مَا جَرَى فِيهَا الْمِيلُ وَ مَا صَارَ إِلَيْهَا دَوَاءٌ وَ لَا
 خَرَجَ مِنْهَا دَاءٌ وَ جُعِلَ ثَقْبُ الْأَنْفِ فِي أَسْفَلِهِ لِيَنْزِلَ مِنْهُ الْأَذْوَاءُ الْمُتَحَدِرَةُ مِنَ الدِّمَاغِ
 وَ يَصْعَدَ فِيهِ الْأَرَايِيحُ إِلَى الْمَشَامِ وَ لَوْ كَانَ فِي أَعْلَاهُ لَمَا أُنْزِلَ دَاءٌ وَ لَا وَجَدَ رَائِحَةً وَ
 جُعِلَ الشَّارِبُ وَ الشَّقَّةُ فَوْقَ الْفَمِ لِحَبْسِ مَا يَنْزِلُ مِنَ الدِّمَاغِ عَنِ الْفَمِ لئَلَّا يَتَنَغَّصَ
 عَلَى الْإِنْسَانِ طَعَامُهُ وَ شَرَابُهُ فَيُمِيطُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَ جُعِلَتِ اللَّحْيَةُ لِلرِّجَالِ لِيَسْتَعْنِيَ بِهَا
 عَنِ الْكُشْفِ فِي الْمَنْظَرِ وَ يُعْلَمَ بِهَا الذَّكَرُ مِنَ الْأُنْثَى وَ جُعِلَ السِّنُّ حَادًّا لِأَنَّ بِهِ يَقَعُ
 الْعَضُّ وَ جُعِلَ الضُّرْسُ عَرِيضًا لِأَنَّ بِهِ يَقَعُ الطَّحْنُ وَ الْمَضْغُ وَ كَانَ النَّابُ طَوِيلًا
 لِيَسْنِدَ الْأَضْرَاسَ وَ الْأَسْنَانَ كَالْأَسْطُوانَةِ فِي الْبِنَاءِ وَ خَلَا الْكَفَّانِ مِنَ الشَّعْرِ لِأَنَّ بِهِمَا
 يَقَعُ اللَّمَسُ فَلَوْ كَانَ فِيهِمَا شَعْرٌ مَا دَرَى الْإِنْسَانُ مَا يَقَابِلُهُ وَ يَلْمَسُهُ وَ خَلَا الشَّعْرُ وَ
 الظُّفْرُ مِنَ الْحَيَاةِ لِأَنَّ طَوْلَهُمَا سَمِجٌ وَ قَصَّهُمَا حَسَنٌ فَلَوْ كَانَ فِيهِمَا حَيَاةٌ لَأَلَمَ الْإِنْسَانُ
 لِقَصِّهِمَا وَ كَانَ الْقَلْبُ كَحَبِّ الصَّنَوْبَرِ لِأَنَّهُ مُنْكَسٌ فَجَعَلَ رَأْسَهُ دَقِيقًا لِيَدْخُلَ فِي الرِّئَةِ
 فَتَرَوَّحَ عَنْهُ بِبَرْدِهَا لئَلَّا يَشْطِطَ الدِّمَاغُ بِحَرِّهِ وَ جُعِلَتِ الرِّئَةُ قِطْعَتَيْنِ لِيَدْخُلَ بَيْنَ

مَضَاغِطُهَا فَيَتَرَوَّحَ عَنْهُ بِحَرَكَتِهَا وَكَانَتْ الْكَبِدُ حَذْبَاءَ لِسْتَقْلَ الْمَعْدَةِ وَ يَقَعُ جَمِيعُهَا عَلَيْهَا فَيَعْرِصُهَا لِيُخْرِجَ مَا فِيهَا مِنَ الْبُخَارِ وَ جُعِلَتْ الْكُلْيَةُ كَحَبِّ اللَّوْبِيَا لِأَنَّ عَلَيْهَا مَصَبَّ الْمَنِيِّ نُقْطَةً بَعْدَ نُقْطَةٍ فَلَوْ كَانَتْ مُرْبَعَةً أَوْ مَدَوَّرَةً أُخْبِسَتْ النُّقْطَةُ الْأُولَى إِلَى الثَّانِيَةِ فَلَا يَلْتَدُّ بِخُرُوجِهَا الْحَيُّ إِذِ الْمَنِيُّ يَنْزِلُ مِنْ فَقَارِ الظَّهْرِ إِلَى الْكُلْيَةِ فَهِيَ كَالدُّودَةِ تَنْقَبِضُ وَ تَنْبَسِطُ تَرْمِيهِ أَوَّلًا فَأَوَّلًا إِلَى الْمَثَانَةِ كَالْبُنْدُوقَةِ مِنَ الْقَوْسِ وَ جُعِلَ طَيُّ الرُّكْبَةِ إِلَى خَلْفٍ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَمْشِي إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَعْتَدِلُ الْحَرَكَاتُ وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَسَقَطَ فِي الْمَشْيِ وَ جُعِلَتْ الْقَدَمُ مُخَصَّرَةً لِأَنَّ الشَّيْءَ إِذَا وَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ جَمِيعُهُ ثَقُلَ ثِقْلَ حَجَرِ الرَّحَى فَإِذَا كَانَ عَلَى حَرْفِهِ دَفَعَهُ الصَّبِيُّ وَإِذَا وَقَعَ عَلَى وَجْهِهِ صَعَبَ نَقْلُهُ عَلَى الرَّجُلِ فَقَالَ الْهِنْدِيُّ مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الْعِلْمُ فَقَالَ ﷺ أَخَذْتُهُ عَنْ آبَائِي ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ جَبْرِئِيلَ عَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ جَلَّ جَلَالُهُ الَّذِي خَلَقَ الْأَجْسَادَ وَ الْأَزْوَاحَ فَقَالَ الْهِنْدِيُّ صَدَقْتَ وَ أَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَ عَبْدُهُ وَ أَنَّكَ أَعْلَمُ أَهْلَ زَمَانِكَ. ^(١)

عالم الطيور

عالم آخر من مخلوقات الله فيه من العجائب ما يحير العقول، هذه الصقور يبصرها الحادّ تراقب الأرض من ارتفاعات شاهقة وتنقض على صيدها في سرعة مذهلة.

إذ تبلغ سرعة البازي في مطارده للفريسة من ١٧٠ الى ٢٠٠ ميل في الساعة. وتبلغ سرعة الخطاف الجبلي أو السنونو ١٧٠ ميلاً في الساعة وتطير معظم

الطيور في معدل ٤٥ - ٥٠ ميلاً في الساعة وتصل سرعة اليمام والحمام إلى ٦٥ ميلاً في الساعة وما يثير الدهشة حقاً هو قدرة بعض الطيور على الطيران تحت سطح الماء!!

فالكثير من طيور البحر تفعل ذلك اذ تطير جيداً تحت سطح الماء .
أمّا طائر الشحرور فهو ينتقل من مكان إلى آخر في قيعان القنوات والأنهار فيرفرف بجناحيه ويطير إلى موقع جديد تحت الماء.^(١)
أمّا أكبر الطيور حجماً وأكثر وزناً فهو النعامة التي تعد عملاق الطيور اذ يصل ارتفاع هذا الطائر إلى ثماني اقدام .
ولون الذكر أسود أما لون الانثى فهو رمادي يميل إلى البني مما يهيئ لها فرصة التخفي عند ما ترقد فوق الرمال .

أمّا قصّة النعامة التي تدفن رأسها تحت الرمال ويأمن الأعداء فهي مجرد خرافة لا أساس لها من الصحة؛ يمتاز الذكر بالعطف على صغاره اذ يقوم أحياناً بالدوران حولها فاردًا جناحيه دفاعاً حتّى يسقط صريعاً نتيجة لجراحة وربما حاول هذه المحاولة اليائسة بدفن رأسه في الرمال ليشتمت الأنظار بعيداً عن أسرته .

تبلغ سرعة النعامة في الجري أربعين كيلومتراً في الساعة حيث تبسط جناحيها وتبلغ خطاها ٢٥ قدماً .

ويعيش الذكر مع ثلاث أو أربع زوجات في عش واحد وفي الليل يرقد فوق

البيض وفي النهار يقوم بهمة الحراسة وربما غطى البيض بطبقة خفيفة من الرمل لينضم إلى زوجاته بحثاً عن الطعام.^(١)

أما الطائر الذي لا يمتلك عشاً ولا يبني لنفسه عشاً فهو الواقواق حيث تنعدم الحياة الاسرية تماماً. فالواقواق لا يبني عشاً ولا يحضن بيضاً ولا يرعى فراخاً ولا يغذيها ومع ذلك فهي تتكاثر وتعيش!

يقوم طائر الواقواق بتوزيع بيضه على أعشاش الطيور الاخرى يقوم أولاً بانتخاب عش الطير المخدوع الملائم يعني ان بيضه يشبه بيض الواقواق فأتناء غياب الطير المسكين يستخرج بيضة واحدة يلتهمها أو يرميها بعيداً ثم يضع وربما كان واثقاً من احتضان الطير لبيضته.

وهذا ما يحصل اذ يعود الطير المخدوع فيجد بيضاته سليمة دون أن ينتبه إلى وجود اختلاف في احدهما من حيث الشكل والحجم.

ويفقس البيض ويخرج الفرخ الذي يختلف شكله.

والمثير ان فرخ الواقواق عند ما يخرج من البيضة يقوم بزحزحة البيض الواحدة بعد الاخرى إلى حافة العش لتسقط إلى الأرض قبل أن تفقس.

والمعروف ان طائر الواقواق نهم في التهام الطعام ولكن الطائر المخدوع يستمر في تغذيته رغم انه يتفوق في حجمه ويختلف في شكله عن الطير المخدوع.

وما تزال هذه الظاهرة تحير العلماء لماذا يعمد فرخ الواقواق إلى رمي بيض الطائر المخدوع بمجرد خروجه من البيضة؟!

وقد فطن العلماء إلى جانب من الحكمة في هذا السلوك ، فطائر الواقواق في الحقيقة يقوم بالسيطرة على نسبة الطيور الاخرى ويحد من تكاثرها الذي يضر بالتوازن المطلوب فالطيور المخدوعة تتكاثر بنسب كبيرة جداً .

خلق الانسان من طين

« أجل يا من لا تنقضي عجائب عظمتة » .

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ .^(١)

قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) يملئ علي المفضل كتاب التوحيد :

نَبْتَدِي يَا مُفَضَّلُ بِذِكْرِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ فَاعْتَبِرْ بِهِ فَأَوَّلُ ذَلِكَ مَا يَدْبُرُ بِهِ الْجَنِينُ فِي الرَّحِمِ وَهُوَ مَحْجُوبٌ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثِ ظُلُمَةِ الْبَطْنِ وَ ظُلُمَةِ الرَّحِمِ وَ ظُلُمَةِ الْمَشِيمَةِ حَيْثُ لَا حِيلَةَ عِنْدَهُ فِي طَلَبِ غِذَاءٍ وَلَا دَفْعِ أَذًى وَلَا اسْتِجْلَابِ مَنْفَعَةٍ وَلَا دَفْعِ مَضَرَّةٍ فَإِنَّهُ يَجْرِي إِلَيْهِ مِنْ دَمِ الْحَيْضِ مَا يَعْدُوهُ كَمَا يَعْدُو الْمَاءُ النَّبَاتَ فَلَا يَزَالُ ذَلِكَ غِذَاؤُهُ حَتَّى إِذَا كَمَلَ خَلْقُهُ وَ اسْتَحْكَمَ بَدَنُهُ وَ قَوِيَ أَدِيمُهُ عَلَى مُبَاشَرَةِ الْهَوَاءِ وَ بَصَرُهُ عَلَى مُلَاقَاةِ الضِّيَاءِ هَاجَ الطَّلُقُ بِأُمِّهِ فَأَرْعَجَهُ أَشَدَّ إِرْعَاجٍ وَ أَعْنَفَهُ حَتَّى يُوَلَدَ وَ إِذَا وَلِدَ صَرَفَ ذَلِكَ الدَّمَ الَّذِي كَانَ يَعْدُوهُ مِنْ دَمِ أُمِّهِ إِلَى ثَدْيَيْهَا فَانْقَلَبَ الطَّعْمُ وَ اللَّوْنُ إِلَى ضَرْبٍ آخَرَ مِنَ الْغِذَاءِ وَ هُوَ أَشَدُّ مُوَافَقَةً لِلْمَوْلُودِ مِنَ الدَّمِ فَيُؤَافِيهِ فِي وَقْتِ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ فَحِينَ يُوَلَدُ قَدْ تَلَمَّظَ وَ حَرَكَ شَفَتَيْهِ طَلَبًا لِلرَّضَاعِ فَهُوَ يَجِدُ ثَدْيِي أُمِّهِ كَالْإِدَاوَتَيْنِ الْمُعْلَقَتَيْنِ لِحَاجَتِهِ إِلَيْهِ فَلَا يَزَالُ يَغْتَذِي بِاللَبَنِ مَا دَامَ رَطَبَ الْبَدَنِ رَقِيقَ الْأَمْعَاءِ لَيْنَ الْأَعْضَاءِ

حَتَّى إِذَا تَحَرَّكَ وَ احْتَأَجَّ إِلَى غِذَاءٍ فِيهِ صَلَابَةٌ لِيَشْتَدَّ وَيَقْوَى بَدَنُهُ طَلَعَتْ لَهُ
الطَّوَاحِنُ مِنَ الْأَسْنَانِ وَالْأَصْرَاسِ لِيَمُضَعَ بِهِ الطَّعَامُ فَيَلِينَ عَلَيْهِ وَيَسْهَلَ لَهُ
إِسَاغَتُهُ.

فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُدْرِكَ فَإِذَا أُدْرِكَ وَ كَانَ ذَكَرًا طَلَعَ الشَّعْرُ فِي وَجْهِهِ فَكَانَ
ذَلِكَ عِلَامَةً الذَّكَرِ وَ عِزَّ الرَّجُلِ الَّذِي يَخْرُجُ بِهِ مِنْ حَذِّ الصَّبَا وَ شِبْهِ النِّسَاءِ وَ إِنْ
كَانَتْ أَنْثَى يَبْقَى وَجْهَهَا نَقِيًّا مِنَ الشَّعْرِ لِيَبْقَى لَهَا الْبَهْجَةُ وَ النَّضَارَةُ الَّتِي
تَحَرَّكَ الرَّجَالُ لِمَا فِيهِ دَوَامُ النَّسْلِ وَ بَقَاؤُهُ.^(١)

الجلد

يبين التشريح المجهرى للجلد أنه عضو غني بالألياف العصبية التي تقوم
باستقبال ونقل جميع أنواع الحس من المحيط الخارجى، وذلك إما عن طريق
النهايات العصبية الحرة أو المغمدة.

وتوجد هذه النهايات في جميع طبقات الجلد: البشرة والأدمة والنسيج تحت
الأدمة.

وهي تنقل حس الألم والحرارة والضغط والبرودة وحس اللمس.
وهناك نهايات عصبية ذات وظيفة افرازية ومنظمة تعصب غدد الجلد
والأجربة الشعرية والأوعية الدموية.

أما النسيج تحت الجلد كالنسيج الشحمية والنسيج الضام والعضلات والمفاصل
فهي أكثر تعصياً بمستقبلات حس الضغط والوضعية من الجلد ولكنها أقل تعصياً

١. بحار الأنوار: ٦٢/٣.

بمستقبلات الألم والحرارة واللمس بشكل كبير .

لذلك عندما يحقن الشخص فأنه يشعر بذروة الألم عندما تجتاز الابرّة الجلد ومتى تجاوزت الجلد للانسجة الاخرى يخف الاحساس بالألم .

والجلد عندما يتعرض للحرق يؤدي ذلك للاحساس بألم شديد جداً لأن النار تنبه مستقبلات الحرارة والتي هي جسيمات توجد في الأدمة وتحت الأدمة وتسمى جسيمات رافيني «Raffini» وتكون آلام الحرق على أشدها عندما يبلغ الحرق النسيج تحت الأدمة ويسمى بالحرق من الدرجة الثالثة .

وإذا امتد الحرق للانسجة تحت الجلد يصبح الألم أخف ، لأن هذه الأنسجة أقل حساسية للألم .

قال تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ
بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۖ﴾ .^(١)

وفي هذا اشارة واضحة إلى أن الجلد هو العضو الأكثر غنى بمستقبلات الألم ، كما ان الحروق هي أشد المنبهات الألمية .^(٢)

١ . سورة النساء (٤) : ٥٦ .

٢ . مع الطب في القرآن الكريم .

الدكتور عبدالحميد دياب والدكتور أحمد قرقوز مؤسسة علوم القرآن ، سوريا دمشق ،

بدون تاريخ .

البصمة

قال تعالى :

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ (١).

أنكر الكفار البعث ويوم القيامة وأن الانسان يحيا من جديد، فكيف يمكن أن تعود الروح إلى الأجساد البالية والعظام النخرة فجاء الجواب الالهي: أن الله سبحانه قادر على جمع العظام المتناثرة وإعادة الحياة إلى الانسان بعد أن تحول إلى رفات بل أنه سبحانه سوف يعيد حتى البصمة التي هي أشدّ تعقيداً في تكوينها الدقيق!

وقد توصل العلم الحديث إلى أسرار البصمة في القرن التاسع عشر وبين أن البصمة تتكوّن من خطوط بارزة في بشرة الجلد تجاورها منخفضات.

وتعلو الخطوط البارزة فتحات المسام العرقية وتتمادى هذه الخطوط وتتلوّى وتتفرّع عنها تغضّئات وفروع لتأخذ في النهاية ولدى كلّ انسان شكلاً مميزاً.

وقد ثبت أنّه لا يمكن للبصمة أن تتطابق وتتماثل في شخصين في العالم حتى في التوائم المتماثلة التي أصلها من بويضة واحدة!!

ويتم تكوّن البنان في الجنين في الشهر الرابع وتظل ثابتة ومميّزة له طوال حياته.

ولذلك تعد البصمة دليلاً قاطعاً ومميّزاً لشخصيّة الانسان معتمداً ضمن الأدلّة

١. سورة القيامة (٧٥): ٣ - ٤.

الجنائية في كل بلدان العالم في الكشف عن المجرمين واللصوص .
وقد أشار القرآن الكريم إلى قدرة الله عز وجل في إعادة النشأة الاخرى وان
الانسان يحيا بعد الموت وتعود إليه كل تفاصيل جسمه بما في ذلك البصمة التي
تميزه عن غيره وكما ان الموت حقيقة فان البعث هو الآخرة حقيقة. (١)

آيات الأعماق

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾. (٢)

وقال عز وجل:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾. (٣)

الانسان ذلك المجهول، عالم يشتمل على الأسرار والألغاز والآيات الكبرى
عالم لا نعرف عنه إلا القليل وما خفي الكثير والكثير وما زال العلم الحديث يقف
في البدايات.

توجد في المعدة ٣٥ مليون غدة معقدة التركيب من أجل الافراز، أما الخلايا
الجدارية التي تفرز حامض كلور الماء فتقدر بمليار خلية يبلغ طول الأمعاء ثمانية
أمتار ومع ذلك فان كل ١ سم يشمل على ٣٦٠ زغابة معوية لامتناهات الأغذية
المهضومة اضافة إلى وجود ٢٥٠٠ زغابة في كل ١ سم من الأمعاء الدقيقة.
وتوجد في اللسان ٩٠٠٠ حليلة ذوقية لتمييز الطعم الحلو والحامض والمر
والمالح.

١. المصدر السابق: ٢٣ - ٢٤ بالاستناد إلى: الطب محراب الايمان للدكتور خالص كنجو و:

دراسة الكتب المقدسة، موريس بوكاي.

٢. سورة الذاريات (٥١): ٢٠ - ٢١. ٣. سورة فصلت (٤١): ٥٣.

ولو وضعت الكريات الحمراء في جسم الانسان بجانب بعضها البعض في صف واحد لاحاطت بالكرة الأرضية ست مرّات تقريباً أمّا مساحتها فتقدر بـ (٣٤٠٠م^٢) ويبلغ عددها ويحوي الملمتر المكعب الواحد (ملم^٣) من الدم خمسة ملايين كرية حمراء وتجري كلّ كرية حمراء (١٥٠٠) دورة دموية بشكل وسطي يومياً تقطع خلالها ١١٥٠ كيلومتراً في عروق البدن.

أمّا القلب وهو مضخة الحياة التي لا تكلّ عن العمل فان عدد ضخاته يتراوح بين ٦٠ - ٨٠ ضخّة في الدقيقة الواحدة وينبض يومياً ما يزيد على ١٠٠/٠٠٠ مرّة يضخّ خلالها ٨٠٠٠ ليتراً من الدم وحوالي ٥٦/٠٠٠/٠٠٠ غالون على مدى حياة الانسان وسطياً!

ويوجد تحت سطح الجلد ٥ - ١٥ مليون مكيف للحرارة والمكيف هنا هو الغدة العرقية التي تخلص الجسم من حرارته الزائدة من خلال عملية التبخر والتعرق . ويستهلك جسم الانسان من خلايا ١٢٥/٠٠٠/٠٠٠ خلية في الثانية الواحدة! أي ٧/٥٠٠/٠٠٠/٠٠٠ في الدقيقة الواحدة . ويستنشق الانسان يومياً من الهواء ٢٥/٠٠٠ مرّة يسحب خلالها من الهواء ١٨٠ متراً مكعباً .

ويشتمل الدماغ على ١٣ مليار خلية عصبية ١٠٠ مليار خلية دبقية تؤلف سداً لحراسة وحماية الخلايا العصبية وتشتمل الكلية الواحدة على ١/٠٠٠/٠٠٠ وحدة وظيفته لتصفية الدم تسمى النفرونات Nephrones ويرد الكلية خلال ٢٤ ساعة ١٨٠٠ لتر من الدم ويتم رشح ١٨٠ لتر ثمّ يعاد امتصاص معظمه في الأنابيب الكلوية ولا يطرح منه سوى ١/٥ لتر وهو المعروف بـ «البول» و يبلغ طول

النفرونات زهاء خمسين كيلومتراً.

﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾. (١)

وتوجد في العين الواحدة زهاء ١٤٠/٠٠٠/٠٠٠ مستقبل حساس للضوء تدعى بـ «المخاريط» وهي طبقة من الطبقات العشر التي تؤلف الشبكية ويخرج من العين ٥٠٠/٠٠٠ ليف عصبي ينقل الصورة بالألوان!

أما الاذن فان شبكيتها تشتمل على ٣٠/٠٠٠ خلية سمعية لنقل كافة الأصوات بمختلف اهتزازاتها وشدتها وبحساسية كبيرة جداً.

وفي داخل الاذن الذي يسمّى «التيه» لأنّ الباحث يكاد يتيه بسبب وجود الدهاليز والممرّات والجدران والحفر والغرف والفوهات وشبكة الاتصالات!

﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾. (٢)

ويشتمل الدم على ٢٥ مليون مليون كرية حمراء لنقل الاوكسجين و ٢٥ مليار كرية بيضاء لمقاومة غزو الجراثيم وتعزيز المناعة البدنية إلى جانب مليون مليون صفيحة دموية لمنع النزف من خلال عملية التخثر لدى الاصابة بالنزف.

وأخيراً فان دفقة واحدة لدى الرجل تحوي ٣٠٠/٠٠٠/٠٠٠ حيوان منوي «الحيامن» ولا يتخلّق الانسان إلّا من حيوان منوي واحد يندمج ببيضة واحدة من الانثى! (٣)

١. سورة النحل (١٦): ٨٨.

٢. سورة لقمان (٣١): ١١.

٣. مع الطب في القرآن الكريم: ٤١ - ٤٣ بالاستناد إلى كتاب الطب محراب الايمان ومصادر أخرى.

عجائب الأعماق

أجل أن أعماق الانسان عوالم تثير الاعجاب ومجاهل تزخر بالأسرار.

يروى الفيض الكاشاني في كتابه القيم والجليل «الصافي»:

قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الصُّورَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ هِيَ أَكْبَرُ حُجَجِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَهِيَ الْكِتَابُ الَّذِي كَتَبَهُ بِيَدِهِ، وَهِيَ الْهَيْكَلُ الَّذِي بَنَاهُ بِحِكْمَتِهِ، وَهِيَ مَجْمُوعُ صُورِ الْعَالَمِينَ، وَهِيَ الْمُخْتَصَرُ مِنَ اللَّوْحِ الْمُحْفُوظِ، وَهِيَ الشَّاهِدَةُ عَلَى كُلِّ غَائِبٍ، وَهِيَ الْحُجَّةُ عَلَى كُلِّ جَاوِدٍ، وَهِيَ الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ، وَهِيَ الْجِسْرُ الْمَمْدُودُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ.^(١)

وجاء في الحديث القدسي:

خَلَقْتُ الْأَشْيَاءَ لِأَجْلِكَ وَخَلَقْتُكَ لِأَجْلِي.^(٢)

وهذا الحديث ضوء من الآية الكريمة:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾^(٣).

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٤).

مقامات الانسان في العبادة

ينبغي على الانسان أن يبلغ ثلاثة مقامات من العبادة وهي:

١. شرح الأسماء الحسنی: ١٢/١، نقلاً عن ابن أبي جمهور؛ تفسير الصافي: ٩٢/١، ذیل آية ٢ من سورة البقرة.

٢. الجواهر السنية: ٣٦١؛ رياض السالكين: ٣٦٣/١؛ شرح الأسماء الحسنی: ١٣٩/١.

٣. سورة البقرة (٢): ٢٩. ٤. سورة الذاریات (٥١): ٥٦.

«المحو» و«الطمس» و«المحق» وإلا فان عبادته ليست بعبادة.
ومقام المحو بمعنى أن تفتنى أفعاله في فعل الحق وبعبارة أخرى تصبح ارادة فعله ارادة الحق.
ومقام الطمس بمعنى أن تفتنى صفاته في صفات الحق فلا تبقى له صفة إلا صفة الحق.
ومقام المحق بمعنى أن تفتنى ذاته في ذات الحق فتتلاشى ذاته حتى لا يبقى سوى ذات الحق.

وقد جاء في الحديث القدسي:

الْإِنْسَانُ سِرِّي وَأَنَا سِرُّهُ.^(١)

وهذا الحديث القدسي أيضاً يتناغم مع الآيات القرآنية والمعارف الإلهية، فقد أشار القرآن الكريم إلى مسألة خلق الانسان في قوله تعالى:

﴿تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾.^(٢)

وإلى أن الله عز وجل خلق الانسان في ﴿أَحْسَنَ تَقْوِيمٍ﴾.^(٣)

فالانسان سر الله عز وجل وهو سبحانه وتعالى سر الانسان والانسان عالم صغير والعالم انسان كبير، وكل هذا له علاقة بباطن الانسان الذي هو تجلي الروح الالهي: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾.^(٤)

١. منهاج النجاح في ترجمة مفتاح الفلاح: ٩١/٢.

٢. سورة المؤمنون (٢٣): ١٤

٣. سورة التين (٩٥): ٤

٤. سورة الحجر (١٥): ٢٩.

يقول المولى محمد مهدي النراقي في مقدّمة كتابه الجليل «جامع السعادات» حول عظمة خلق الانسان: «الحمد لله الذي خلق الانسان وجعله أفضل أنواع الأكوان وصيّره نسخة لما أوجده من عوالم الامكان، أظهر فيه عجائب قدرته القاهرة وأبرز فيه غرائب عظمتة الباهرة، ربط به الناسوت باللاهوت وأودع فيه حقائق الملك والملكوت، خمّر طينته من الظلمات والنور وركب فيه دواعي الخير والشور.

عجبه من المواد المتخالفة، وجمع فيه القوى والاصاف المتناقضة ثم ندبه إلى تهذيبها بالتقويم والتعديل وحثّه على تحسينها بعد ما سهّل له السبيل»^(١).
«لا ريب في أن الغاية من وضع النواميس والأديان وبعثة المصطفين من عظماء الانسان هو سوق الناس من مراتع البهائم والشياطين وايصالهم إلى روضات العليين».

والانسان في تكوينه محيط بجميع المراتب المختلفة وسائر في الأطوار المتباينة من الجمادية والنباتية والحيوانية والملكية وله الترقى عن جميع تلك المراتب بأن تتحقّق له مرتبة مشاهدة الوحدة الصرفة فيتجاوز عن افق الملائكة، فهو النسخة الجامعة لحقائق الملك والملكوت، المعجون المركّب من عالمي الأمر والخلق، قال أمير المؤمنين عليه السلام: انّ الله خصّ المَلَك بالعقل دون الشهوة والغضب وخصّ الحيوانات بهما دونه وشرف الانسان باعطاء الجميع؛ فان انقادت شهوته وغضبه لعقله، صار أفضل من الملائكة لوصوله إلى هذه المرتبة مع وجود المنازع والملائكة ليس لهم مزاحم».

١. علم الأخلاق الاسلامي: ٢٥/١؛ جامع السعادات، مقدّمة الكتاب.

«قد ظهر بما ذكر ان الانسان ذو جنبه روحانيّة يناسب بها الأرواح الطيّبة والملائكة القادسية وذو جنبه جسمانيّة يشابه بها السباع والانعام، فبالجزء الجسماني اقيم في هذا العالم الحسّي مدّة قصيرة وبالجزء الروحاني ينتقل إلى العالم العلوي، ويقيم فيه أبداً في مصاحبة الأرواح القدسيّة بشرط أن يتحرّك بقواه نحو كمالاتها الخاصّة، حتّى يغلب الجزء الروحاني على الجسماني وينفض عن نفسه كدورات الطبيعة وتظهر فيه آثار الروحانيات من العلم بحقائق الأشياء والانس بالله تعالى والحب له والتحلي بفضائل الصفات».

ولا تحصل السعادة إلّا باصلاح جميع الصفات والقوى دائماً فلا تحصل باصلاحها بعضاً دون بعض ووقتاً دون وقت.

ويقول المولى النراقي يعظ الانسان وينصحه في سلوك طريق الرقي الأخلاقي.

«لما عرفت انّ الانسان في اللذة العقليّة يشارك الملائكة وفي غيرها من الحسيّة المتعلّقة بالقوى الثلاث أعني السبعيّة والبهيميّة والشيطنيّة يشارك السباع والبهايم والشياطين^(١) فاعلم أن من غلبت عليه احدى اللذات الأربع كانت مشاركته لما ينسب إليه أكثر حتّى إذا صارت الغلبة تامّة لكان هو هو.

فانظر يا حبيبي أين تضع نفسك؛ فان الغلبة لو كانت لقوتك الشهويّة، حتّى يكون أكثر همّك إلى الشهوات الحيوانيّة كالأكل والشرب والجماع وسائر النزوات

١. يقول ﷺ بهذا الصدد:

مما يدلّ على قبح اللذات الحيوانيّة ان أهلها يكتمونها ويخفون ارتكابها ويستحيون عن اظهارها واذا صفوا بذلك تتغير وجوههم. جامع السعادات: ٤٤/١.

البهيمية كنت واحداً من البهائم.

وإن كانت لقوتك الغضبية حتى يكون جُلّ ميلك إلى المناصب والرياسات الرديّة وايداء الناس بالضرب والشتيم وباقي الحركات السبعية نزلت منزلة السباع. وإن كانت لقوتك الشيطانية حتى يكون غالب سعيك في استنباط وجوه المكر والحيل للوصول إلى مقتضيات قوتي الشهوة والغضب بأنواع الخدع والتلبّيات الوهميّة دخلت في حزب الأبالسة.

وإن كانت لقوتك العقلية حتى يكون حدّك مقصوراً على أخذ المعارف الالهية واقتضاء الفضائل الخلقية عرجت إلى افق الملائكة القادسية.

فالله الله معاشر الاخوان أدركوها قبل أن تغرقوا في بحار المهالك!

وتنبهوا عن نوم الغفلة تنسد عليكم السيل والمسالك وبادروا إلى تحصيل السعادات قبل أن تستحكم فيكم الملكات المهلكة والعادات المفسدة فان ازالة الرذائل بعد استحكامها في غاية الصعوبة والمجاهدة مع احزاب الشياطين بعد الكبر قلماً يفيد الأثر والغلبة على النفس الامارة بعد ضعف الهرم في غاية الاشكال إلا انه في أيّ حال لا ينبغي أن تيأسوا من روح الله فاجتهدوا بقدر القوّة والاستطاعة فانه خير من التماذي في الباطل، فلعلّ الله يدرككم بعظيم رحمته.^(١)

جهاد النفس في الهرم

قال الشيخ الفاضل أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه وهو الاستاذ في علم الأخلاق، وأقدم الاسلاميين في تدوينه:

١. المصدر السابق: ٤٥ - ٤٧.

«اني تنبّهت عن نوم الغفلة بعد الكبر، واستحكام العادة فتوجّهت إلى فطام نفسي عن رذائل الملكات، وجاهدت جهاداً عظيماً حتّى وقّفتني الله لاستخلاصها عمّا يهلكها، فلا ييأس أحد من رحمة الله، فإنّ النجاة لكلّ طالب مرجوة، وأبواب الافاضة أبداً مفتوحة.

فبادروا اخواني إلى تهذيب نفوسكم، قبل أن يصير الرئيس مرؤوساً، والعقل مقهوراً، فيفسد جوهركم، وتمسخ حقيقتكم ويدرككم الانتكاس في الخلق الذي هو خروج عن أفق الانسان ودخول في زمرة البهائم والسباع والشياطين. نعوذ بالله من ذلك ونسأله العصمة من الخسران الذي لا نهاية له.

وقد شبّه الحكماء من أهمل سياسة نفسه وترويضها وتربيتها الغافلة بمن له ياقوتة شريفة حمراء، فرماها في نار مضطربة فيحرقها، حتّى تصير كلساً لا منفعة فيها».^(١)

الأمانة الالهية

ويتجلّى مجد الانسان وسمو باطنه من خلال حمله الأمانة الالهية فكان محلاً لأسرار الملكوت وحرماً لجلال المحبوب ومن أجل هذا اصطفاه الله لحمل أمانته من بين جميع خلقه في عالم الملك والملكوت.

فاذا نهض الانسان بهذه المهمة الخطيرة وحملها حتّى يوصلها إلى منزلها الأصلي كان أسمى من المَلِك وإن خان الأمانة وانتكست به ارادته وخضع لشهوة البطن وشهوة الفرج فانه يصبح أدنى مرتبة من الحيوان والبهيمة.

١. المصدر نفسه: ٤٧ - ٤٩.

الأمانة في القرآن الكريم

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾. (١)

ولقد وردت مفردة الأمانة والأمانات في خمس مناسبات في القرآن الكريم وكلها تؤكد على أهمية النهوض بمسؤوليتها والوفاء بحملها.

فالأمانة ميثاق الهي وعهد مقدس يجب الالتزام به حتى على مستوى الدين والقروض المالية.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾. ؟

وفي ما عدا القضايا المالية فان «الأمانة» و«الأمانات» مفهوم عام واسع جداً.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾. (٢)

يقول صاحب تفسير «الجواهر»:

«ذهب الجمهور إلى أن الأمانة كل شيء يؤتمن الانسان عليه من أمر ونهي وشأن دين ودنيا». (٣)

١. سورة الأحزاب (٣٣): ٧٢. ؟. سورة البقرة (٢): ٢٨٢.

٢. سورة النساء (٤): ٥٨.

٣. الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ٤ / ٣٦١.

المعنى العام للأمانة

لقد عرض الله عز وجل الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وحملها الانسان!

والأمانة بمفهومها العام تعني شيء يودع عند الغير ليحتفظ عليه ثم يردّه إلى من أودعه.

فهذه الأمانة المذكورة في الآية شيء ائتمن الله الانسان عليه ليحفظ على سلامته واستقامته ثم يردّه إليه سبحانه كما أودعه.

فالأمانة هي الكمال الحاصل للانسان من جهة التلبس بالاعتقاد والعمل الصالح وسلوك سبيل الكمال بالارتقاء من حضيض المادّة إلى أوج الاخلاص الذي هو أن يخلصه الله لنفسه فلا يشاركه فيه غيره، فيتولّى هو سبحانه تدبير أمره وهو الولاية الالهية.

فالمراد بالأمانة الولاية الالهية ويعرضها على هذه الأشياء اعتبارها مقيسة إليها والمراد بحملها والاباء عنه وجود استعدادها وصلاحية التلبس بها وعدمه.

وهذا المعنى هو القابل لأن ينطبق على الآية فالسماوات والأرض والجبال على ما فيها من العظمة والشدة والقوة فاقدة لاستعداد حصولها فيها وهو المراد بإبائهنّ عن حملها واشفاقهنّ منها.

ولكن الانسان الظلوم الجهول لم يأب ولم يشفق من ثقلها وعظم خطرها، فحملها على ما بها من الثقل وعظم الخطر فتعقّب (نجم عن) أن انقسم الانسان من جهة حفظ الأمانة وعدمه إلى منافق ومشرّك ومؤمن بخلاف السماوات والأرض

والجبال فما منها إلّا مؤمن مطيع ويميز الفخر الرازي بين اباء السماوات والأرض والجبال عن حمل الأمانة واءاء ابليس السجود لآدم ﷺ ويذكر دليلين على ذلك: الأول: ان ابليس رفض الأمر الالهي بالسجود لآدم وكان السجود أمراً واجباً واءاء ابليس هنا تمرد على الأمر الالهي في حين ان الأمانة عرضت عرضاً وقدّمت كاقتراح.

الثاني: ان رفض واءاء ابليس السجود لآدم ﷺ جاء بسبب غروره واحساسه بالتفوّق على آدم بينما جاء اواء السماوات والأرض والجبال بسبب الاشفاق من عدم استعدادها وقدرتها على حمل الأمانة أو أشفقن منها وهي حالة استكانة وخضوع وبكاء ودموع.

وعلى آية حال فان حمل الانسان للأمانة الالهية يكشف عن مجد الانسان وسموه.

فطوبى لمن حمل الأمانة الالهية وأداها إلى من ائتمنه عليها.

[وَاحْجُبْنَا عَنِ الْإِلْحَادِ فِي عَظَمَتِكَ]

الانحراف في العقيدة

الهي !

أيّ ظلم أظلم من ظلم الانسان الذي يلحد في عظمة الله عزّ وجلّ وأيّ حقيقة أعظم وأسطع من وجود الله سبحانه ، فمتى غبت يا الهي حتّى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك ؟!

ومتى بعدت يا الهي عن عبادك حتّى تكون الآثار هي التي توصل إليك ؟!

فلتنطفئ العيون التي لا تراك يا الله !

ولتتحول إلى صخور صماء كلّ القلوب التي لا تتلقى نورك الذي هو نور السماوات والأرض !

يا الهي يا حبيب من لا حبيب له ويا انيس من لا أنيس له ويا دليل من لا دليل له .

يا رحيم يا كريم !

يا من بعثت رسلك وأنبياءك لهداية عبادك !

الهي !

أيها الأول والآخر ! وأيها الظاهر والباطن وأيها العليم الخبير إنَّ إلحاد الملحدين في مجدك وعظمتك إنما هو عار الانسان الأبدى .

أجل عار على الانسان أن يتبع خطوات الشيطان ، فلا يرجو لك يا الله وقاراً !
إنَّ الإلحاد بالله إنما هو خروج ومروق وانسلاخ من الانسانية والادمية وسقوط في الحالة الشيطانية .

المجد لك يا الهي ولأسمائك الحسنى .

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١)

اللهم وهؤلاء عبادك الذين اصطفيتهم ليكونوا الأدلاء على ارادتك !
اللهم وهؤلاء أولياؤك الذين بلغوا في كمال صفاتهم وسمو أخلاقهم الذروة فأصبحوا مظهراً لأسمائك الحسنى وصفاتك العليا .

وقد جاء في الروايات عنهم عليهم السلام :

«نحن والله الأسماء الحسنى» .

أجل ان التوسل بالأئمة الأطهار من آل رسول الله صلى الله عليه وآله والاستلham من صفاتهم وأخلاقهم هو الذي يوصل الانسان إلى الكمال وإلى رضا الله الكبير المتعال .

١ . سورة الأعراف (٧) : ١٨٠ .

الاحاد بآيات الله

ان آيات الله تستغرق الوجود بأسره في الآفاق كلّ الآفاق المفتوحة على الكون وفي أعماق الانسان ذلك المجهول !
وهؤلاء النخبة المصطفاة من البشر الذين بلغوا القمة في الكمال هم آيات الله العظمى وحججه الكبرى على كلّ عباده.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(١)

انحراف الشهوانيين

يقول العارف المجهول السالك سبيل الحقّ الواله المتيم بحبّ الله المرحوم آية الله الحاج الشيخ إبراهيم امام زاده الزيدي في رسالته القيّمة «الحكمة المتعالية والسير والسلوك»:

«يا أخي ! ان أحوالهم ليست أحوال السالكين لسبيل الله ، وما أفعالهم وحركاتهم وحالاتهم إنما هي ميول نفسانيّة وأهواء ونزعات شهوانيّة قد استغرقوا في مستنقع القذارات النفسيّة والمعاصي الظاهريّة والباطنيّة الذين قال الله تعالى بشأنهم:

﴿وَلَوْ اتَّبَعَ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾^(٢)

ويالئوسهم وشقائهم قد حرموا سعادة الأبد من أجل شهوات عابرة ودنيا زائلة

١. سورة فصلت (٤١): ٤٠.

٢. سورة المؤمنون (٢٣): ٧١.

فاتبعوا الشيطان وسوّلت لهم أنفسهم الأمارة بالسوء فهم يومئذٍ عن رضوان الله لمحجوبون .

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾^(١).

قد حلّ بهم غضب الله ومن يحلل عليه غضب الله فقد هوى في نار جهنم وساءت مصيرا .

﴿أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾^(٢).

هؤلاء الذين استسلموا لأهوائهم سينقادون إلى وادي الهلاك فإن المالك هنا هو الهدى والهوى خائن، والـ «مالك» خازن النار يوم القيامة ولهؤلاء الضالّين في فلوات الضياع والضلال والتهيه درك في النار يقابل كلّ درجة من درجات أهل الحق، فمقابل كلّ «درجة» للتوكل «درك» من الخذلان كما ورد في القرآن الكريم:

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾^(٣).

وفي مقابل كلّ درجة من التسليم درك من الهوان والذلّ. قال تعالى في محكم كتابه العزيز:

﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾^(٤).

١. سورة سبأ (٣٤): ٥٤.

٢. سورة آل عمران (٣): ١٦٢.

٣. سورة آل عمران (٣): ١٦٠.

٤. سورة الحج (٢٢): ١٨.

ولهم مقابل كلّ درجة من القرب الالهي درك من الطرد واللعة، قال تعالى:

﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾.^(١)

فالعرفاء الواعون والمحبتون المستبصرون ينفون عن أنفسهم القدرة والعلم والوجود قد فنيت نفوسهم في حبّ الله وذاب وجودهم في وجوده سبحانه قد سلّموا أمرهم لله عزّ وجلّ وانقادوا لارادته.

أمّا الملحدون الأشقياء الذين تنكّروا لفطرتهم فقد غرقوا في ضياعهم وتيههم يتخبّطون في جهلهم قد حاق بهم الهلاك الأبدي والشقاء السرمدى حفظنا الله جميعاً من السقوط في ورطة الهلاك».^(٢)

فهلّموا إلى أن نكون من رجال الايمان والعمل والطهر والنقاء والتقوى!
هلّموا إلى أن نختار الآخرة على الدنيا وإلى أن نعرض عن الدنيا من أجل الفوز في الآخرة! هلّموا إلى أن نسلم وجوهنا لله عزّ وجلّ!
وإلى أن نطيع الباري جلّ وعلا ونعمل بأوامره، وننتهي بنواهيه، فيرزقنا الله في هذه الحياة حسنة وفي حياة الآخرة حسنة وينجيننا من عذاب النار!
تعالوا لنقتدي بسيّدنا سيّد الساجدين وزين العابدين فنرفع أكفّنا إلى الله سبحانه ربّ العزّة ونتضرّع إليه معترفين بعجزنا التام و فقرنا المطلق نستمد منه العون على أنفسنا فهو القادر المطلق والغني المطلق وهو الرحمن الرحيم!
يا الهي وسيّدي ومولاي يا أرحم الراحمين ويا أكرم الأكرمين! ارزقنا الهدى

١. سورة البقرة (٢): ١٥٩.

٢. الحكمة المتعالية والسير والسلوك، امام زاده الزيدي: ١٦٢.

والايمان بمجدهك .

«وَاجْبُنَا عَنِ الْإِلْحَادِ فِي عَظَمَتِكَ» .

بحمدك يا بارىء العالمين
أنت الرحيم وأنت المعين
وإيّاك يا ربّنا نستعين
بنعمائك نحيا وأنت الاله
تعاليت يا أرحم الراحمين
حياة البحار وصخر الجبال
تنادي بحمدك يا ذا الجلال
تباركت يا أحسن الخالقين

[﴿٢﴾ وَيَا مَنْ لَا تَنْتَهِي مُدَّةُ مُلْكِهِ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ].

قدرة مطلقة وملك بلا حدود

يشير الإمام السَّجَّاد (عليه السلام) في هذا المقطع من الدعاء إلى قدرة الله المطلقة وملكه الممتد من الأزل إلى الأبد، فلا حدود لملكه ولا نهاية لقدرته! وهذا الوجود الواسع والكون المترامي الذي يبدو وكأنه بلا حدود إنما يدل على قدرة الله سبحانه وملكه العظيم، فهو عز وجل الخالق والمالك والرب العظيم، فجاءت كلمات الدعاء أضواء من كتاب الله سبحانه:

﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. ^(١)

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. ^(٢)

أيها القاهر بسلطانه والملك الذي لا تنتهي دولته ولا مدّة ملكه.

فلا نهاية لملك الله عز وجل.

والملك بمعنى اسم من ملك على الناس أمرهم إذا تولّى السلطنة.

وملكه سبحانه عبارة عن سلطانه القاهر واستيلائه الباهر وغلبته التامة وقدرته

٢. سورة المائدة (٥): ١٢٠.

١. سورة الملك (٦٧): ١.

على التصرف الكلي في الأمور العامة بالأمر والنهي .
ونفي الانتهاء عن مدته من باب نفي الشيء بنفي لازمه مبالغة في النفي ، أي لا
مدة ولا زمن محدّد لملكه فلا نهاية لها ولا انتهاء .

صفات الله عزّ وجلّ

يقسم العلماء الصفات الالهية إلى قسمين :

١ - الصفات الثبوتية أو صفات الجمال .

٢ - الصفات السلبية أو صفات الجلال .

والصفات الثبوتية هي الصفات التي تمتلك جنبه وجودية واتصاف الشخص
بها يوجب كماله ، وعدم الاتّصاف بها يعدّ نوعاً من النقص ، من قبيل : العلم
والقدرة .

ومن جهة أخرى فان الصفات الثبوتية تعود إلى الصفات الذاتية .

والصفات الذاتية هي الصفات المتعلقة بالذات الالهية من قبيل العلم والقدرة
فهي معه سبحانه دائماً وأبداً .

فلو نظرنا إليه سبحانه وصرفنا النظر عن جميع الكائنات وعن جميع أفعاله
لوجدناه عليماً قديراً حياً قيّوماً .

والقدرة احدى الصفات الثبوتية لله عزّ وجلّ والقادر من أسمائه سبحانه
الحسنى وحقيقة القدرة لها معنيان :

١ - إنّ أفعاله نابعة عن ارادته وكمال حريته ، فعند ما نقول ان فلاناً قادر على
القراءة والكتابة فان هذا يعني أن فلاناً قادر على القراءة والكتابة ، فان هذا يعني

ان بإمكانه القراءة والكتابة بكلّ حرية .

٢ - كونه مبدأ الأثر في مقابل الكائن والموجود الذي لم يكن مبدأ الأثر ولا يصدر عنه فعل .

والمراد من القدرة هو المعنى الثاني وعليه فان «القدرة» من الصفات الالهية الثبوتية يعني ان الله عزوجل قادر على كل شيء فـ «القادر» هو من يملك القدرة على القيام بعمل ما أو عدم القيام به بإرادته وحرّيته .

معنى القدرة

يقول الراغب الاصفهاني في بيان جذور هذه المفردة:

الْقُدْرَةُ إِذَا وُصِفَ بِهَا الْإِنْسَانُ فَاسْمٌ لِهَيْئَةٍ لَهُ بِهَا يَتِمَّكُنُّ مِنْ فِعْلِ شَيْءٍ مَا، وَإِذَا وُصِفَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا فَهِيَ نَفْيُ الْعَجْزِ عَنْهُ وَ مُحَالٌ أَنْ يُوصَفَ غَيْرُ اللَّهِ بِالْقُدْرَةِ الْمُطْلَقَةِ مَعْنَى وَإِنْ أَطْلَقَ عَلَيْهِ لَفْظًا بَلْ حَقُّهُ أَنْ يُقَالَ قَادِرٌ عَلَى كَذَا....

وَالْقَدِيرُ هُوَ الْفَاعِلُ لِمَا يَشَاءُ عَلَى قَدَرٍ مَا تَقْتَضِي الْحِكْمَةُ، لَا زَائِدًا عَلَيْهِ وَ لَانْقِصًا عَنْهُ وَ لِذَلِكَ لَا يَصِحُّ أَنْ يُوصَفَ بِهِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.^(١)

وفي هذا المضممار يقول صاحب لسان العرب:

الْقَدِيرُ وَ الْقَادِرُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ يَكُونَانِ مِنَ الْقُدْرَةِ وَ يَكُونَانِ مِنَ التَّقْدِيرِ... فَالْقَادِرُ اسْمٌ فَاعِلٍ مِنْ قَدَرٍ يَقْدِرُ وَ الْقَدِيرُ فَعِيلٌ مِنْهُ وَ هُوَ لِلْمُبَالَغَةِ وَ الْمُقْتَدِرُ مُفْتَعِلٌ مِنْ إِقْتَدَرَ وَ هُوَ أَبْلَغُ.^(٢)

١ . مفردات ألفاظ القرآن، راغب الاصفهاني: مادة قدر.

٢ . لسان العرب: مادة قدر.

وقوله تبارك وتعالى :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾. ^(١)

تبارك الشيء كثرة صدور الخيرات والبركات عنه وقوله «بيده الملك» يشمل باطلاقه كل ملك، وجعل الملك بيده استعارة بالكناية عن كمال تسلطه عليه وكونه متصرفاً فيه كيف يشاء كما يتصرف ذو اليد فيما بيده ويقلبه كيف يشاء، فهو تعالى يملك بنفسه كل شيء من جميع جهاته، ويملك ما يملكه كل شيء.

وقوله: «وهو على كل شيء قدير» إشارة إلى كون قدرته غير محدودة بحد ولا منتهية إلى نهاية.

وقد وردت مفردة «قدير» ٤٥ مرة ومفردة «قادر» ٧ مرات إلى جانب وجود مفردات وصفات أخرى من قبيل «مقتدر» و«قادرون» و«واسع» و«غني».

وقد ذهب جمع من المفسرين إلى أن قوله تعالى: «واسع عليهم» في الآية الكريمة:

﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾. ^(٢)

يعني الاتساع في كمال قدرته سبحانه؛ يقول الفخر الرازي ان الوسعة الوجودية لله سبحانه دليل على كمال قدرته وان كونه عليماً دليل على كمال علمه. ولموقع قدرته هذا فان كل فضل ولطف ينسب إليه فهو جدير به، فهو الذي

٢. سورة آل عمران (٣): ٧٣.

١. سورة الملك (٦٧): ١.

يعطي عباده ذلك انه خبير بحاجتهم إليه سبحانه وهو القادر على اعطاء الفضل والعلم والحكمة». (١)

الدلائل على قدرة الله المطلقة

١ - الدليل العلمي

لقد كشفت العلوم التحريية عن آيات الخلق العظيم، كما ان التأمل في الطبيعة وسبر اغوار الفضاء العميق والغوص في البناء الذري والخلوي يكشف عن قدرة الخالق المطلقة وعلمه اللانهائي فالكون والوجود كتاب الله المفتوح الذي لا تنتهي آياته ولا تنفذ كلماته وفي كل دقائق الخلق آيات للمؤمنين .
من الذرة التي لا ترى إلى المجرات الكبرى أدلة لا تنتهي على قدرة الله وعلمه وحكمته .

٢ - برهان الوجوب والامكان

في موضوع التوحيد ووحداية الذات الالهية ثبت بأن واجب الوجود في العالم واحد لا غير وأن الغير ممكن الوجود، وأن كل الممكنات في خلقها وظهورها وفي استمرار بقائها تستند إلى واجب الوجود الذي هو الخالق البارئ المصور فاطر السماوات والأرض وخالق كل شيء القدير العليم المتعال .

١ . التفسير الكبير للفخر الرازي : ٨ / ٩٩ ذيل الآية ٧٣ من سورة آل عمران .

٣- البرهان الفلسفي

عندما لا نستطيع القيام بعمل ما فإن هذا يعود إلى نقص فينا وكلّ مشكلة نواجهها إنّما تحصل لمحدودية وجودنا، واذن فإن الوجود المطلق في كلّ شيء كيف يخرج عن نطاق قدرته شيء بتعبير آخر انه حاضر في كلّ مكان وكلّ الظروف تحت تصرّفه وعليه فلا موانع أمام سلطنته وفي هذا دليل على أن قدرته حاکمة على كلّ شيء.

المشيئة

ان قدرة الله مقترنة بارادته ومشیئته سبحانه وأنّ ذاته أزليّة وفعله حادث فهو القادر في كلّ آن يقلّ للشيء كن فيكون وفي هذا دليل على ان ارادته محيطه بكلّ شيء^(١).

وتشير آيات قرآنية أخرى إلى قدرة الله من زوايا مختلفة.

قال تعالى في سورة الزمر:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٢)

انّ الشرك بالله عزّ وجلّ إنّما ينشأ من عدم المعرفة الصحيحة بالله عزّ وجلّ وذلك عندما يجهل الانسان انه سبحانه وتعالى:

١. انظر: راه خداشناسی وشناخت صفات او (طريق معرفة الله ومعرفة صفاته) جعفر سبحانی: ٢٩٣ - ٣٠٩؛ پیام قرآن (نداء القرآن) مكارم شیرازی: ١٦/٤ صفات الجمال والجلال في القرآن المجید. ٢. سورة الزمر (٣٩): ٦٧.

أولاً: وجود مطلق في كل شيء.

ثانياً: أنه خالق كل شيء وأن جميع الكائنات في ظهورها وفي استمرار بقائها.
ثالثاً: أنه مدبر العالم ومن يبد حل جميع المشكلات وأنه الرزاق الوهاب القادر
على كل شيء وحتى الشفاعة لديه لا تحصل إلا بأذنه، بل لا أحد غيره حتى
يتوجه إليه الانسان، لأنه من المستحيل عقلاً أن يكون هناك وجودان مطلقان من
جميع الجهات

إنما هو اله واحد خالق الوجود حيث الأرض قبضته والسموات مطويات
بيمينه وهو القادر على أن يطوي السماوات كطي السجل للكتب فكما بدأ الخلق
فهو يعيده وفي هذا تعبير بليغ على قدرته المطلقة التي ليس لها حدود فلا تبقى
للانسان ذريعة ولا حجة في التوجه إلى غيره حتى ولو بقصد الشفاعة لديه، كما
كان يبرر المشركون والوثنيون في مكة عبادتهم للأصنام قائلين انها تشفع لنا عند
الله سبحانه.

وفي يوم القيامة سوف تسطع الحقيقة الكبرى في أن لا معبود سواه تبارك
وتعالى.

قال عز وجل في آية من آيات كتابه العزيز:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ
وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. (١)

ان المالك الحقيقي للأشياء هو خالقها وهو الذي يعطي لمن يشاء ما يشاء

ويسلب ممّن يشاء ما يشاء هو الذي يعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء، يهب الملك من يشاء وينزعه عمّن يشاء.

ولا يعني ذلك أنّ الله يفعل ما يشاء بدون حساب وبلا سبب، بل إنّ المراد هو أنّ المشيئة الإلهية تستند إلى الحكمة في تدبير شؤون العالم والخلق، ذلك أنّ الله هو مصدر الخير والسعادة، فإذا أعزّ أحداً أو أذلّه أو أعطى السلطة والحكم لأحد الناس أو سلبها منه؛ فذلك قائم على العدل ولا شرّ فيه.

وكلّ ذلك يجري ضمن قوانين وسنن فوجود الحكومات الجائرة وتحكّمها في مصير الشعوب إنّما يعود إلى أعمال تلك الشعوب نفسها وقد جاء في الأثر: كيفما تكونوا يوّلّي عليكم.

الحكومة الإلهية لدى العلامة الطباطبائي

يقول العلامة الطباطبائي في مسألة استناد الحكم وغيره من الأمور الاعتبارية إلى الله سبحانه:

«لا ريب أنّ الواجب تعالى هو الذي تنتهي إليه سلسلة العلّية في العالم، وإنّ الرابطة بينه وبين العالم جزءٌ وكلاً هي رابطة العلّية، وقد تبين في أبحاث العلّة والمعلول أنّ العلّية إنّما هي في الوجود بمعنى أنّ الوجود الحقيقي في المعلول هو المترشّح من وجود علّته، وأمّا غيره كالماهية فهو بمعزل عن الترشّح والصدور، والافتقار إلى العلّة وينعكس بعكس النقيض إلى أن ما لا وجود حقيقي له فليس بمعلول ولا منته إلى الواجب تعالى.

وبشكل الأمر في استناد الأمور الاعتبارية المحضة إليه تعالى إذ لا وجود

حقيقي لها أصلاً، وإنما وجودها وثبوتها ثبوت اعتباري لا يتعدى ظرف الاعتبار والوضع وحيطة الفرض وما يشتمل عليه الشريعة من الأمر والنهي والأحكام والأوضاع كلها أمور اعتبارية فيشكل نسبتها إليه تعالى وكذا أمثال الملك والعزّ والرزق وغير ذلك.

والذي تحلّ به العقدة أنها وإن كانت عارية عن الوجود الحقيقي إلا أن لها آثاراً هي الحافظة لأسمائها.

وهذه الآثار أمور حقيقية مقصودة بالاعتبار ولا نسبة إليه تعالى». (١)

وقوله تعالى: «بيدك الخير» يدلّ على حصر مصدر الخير والبركة به سبحانه وتعالى ومعنى ذلك أن أمر كل خير مطلوب إليك وأنت المعطي المفيض إياه. وقوله تعالى: «إنك على كل شيء قدير» في مقام التعليل لكون لا يقدر أحد على شيء إلا باقداره تعالى إياه على ذلك.

ولقد كان إبليس يدرك أن آدم يتطلّع إلى الخلود والملك الأبدي، فقال له ولزوجه هل أدلكما على شجرة الخلد وملك لا يبلى، من خلال هذه النزعة لدى البشر تمكّن الشيطان من اغواء البشر ودفعه إلى معصية الله عزّ وجلّ.

ولهذا ينطلق التساؤل الكبير يوم القيامة:

﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾. (٢)

١. تفسير الميزان: ١٤٩/٣ - ١٥٠، ذيل آية ٢٦ من سورة آل عمران.

٢. سورة غافر (٤٠): ١٦.

ترى من هو الذي يجيب؟ الله سبحانه الذي له ملك السماوات والأرض
وخالق كل شيء فهو مالكة الحقيقي وإليه يعود كل شيء.

فلو أضخت السمع إلى كل ذرة من ذرات الوجود لسمعتها تقول لمن الملك
ويأتيك الجواب فتقول أيضاً: لله الواحد القهار.

يقول الشيخ الطبرسي رحمته الله:

إن قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فإن كل شيء سواء محدث، وكل
محدث فله حالتان: حالة عدم وحالة وجود وإذا وجد خرج عن أن يكون مقدوراً
للقادر؛ لأن من المعلوم ضرورة أن الموجود لا يصح أن يوجد، فعلمنا أنه إنما يقدر
عليه في عدمه ليخرجه من العدم إلى الوجود.

فهو سبحانه قادر على كل الأشياء في إخراجها من العدم إلى الوجود وفي
إفنائها وإعادتها إلى العدم، وهو سبحانه على أن يعطي القدرة لبعض عباده من
الجن والإنس والملائكة وعلى أن يسلبها منهم^(١).

قدرة الحق تعالى في كلام أمير المؤمنين عليه السلام

قال عليه السلام في توصيف قدرة الله عز وجل:

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. الْأَوَّلُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ وَالْآخِرُ لَا غَايَةَ لَهُ.
لَا تَقَعُ الْأَوْهَامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ وَلَا تُعْقَدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ، وَلَا تُنَالُهُ
النَّجَرَةُ وَالتَّبَعِيضُ وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَارُ وَالْقُلُوبُ^(٢).

١. مجمع البيان في تفسير القرآن: ١/ ١٢٠، ذيل آية ٢٠ من سورة البقرة.

٢. نهج البلاغة: الخطبة ٨٤.

ويقول عليه السلام في مناسبة أخرى :

أَنْتَ الْأَبَدُ فَلَا أَمَدَ لَكَ، وَأَنْتَ الْمُنتَهَى فَلَا مَحِيصَ عَنْكَ، وَأَنْتَ الْمُؤَعَّدُ فَلَا مَنْجَى إِلَّا إِلَيْكَ. بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ وَإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسَمَةٍ.

سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ شَأْنَكَ! سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ وَمَا أَصْغَرَ عَظْمَهُ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ! وَمَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ! وَمَا أَحَقَرَ ذَلِكَ فِيَمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ! وَمَا أَسْبَغَ نِعَمَكَ فِي الدُّنْيَا! وَمَا أَصْغَرَهَا فِي نِعَمِ الْآخِرَةِ. ^(١)

ويقول عليه السلام في معرض اجابته عن معنى «الحوقلة»: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» :

إِنَّا لَأَنْفَلِكُ مَعَ اللَّهِ شَيْئاً وَلَأَنْفَلِكُ إِلَّا مَا مَلَكَنَا فَمَتَى مَلَكَنَا مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنَّا كَلَّفَنَا وَ مَتَى أَخَذَهُ مِنَّا وَضَعَ تَكْلِفُهُ عَنَّا. ^(٢)

وروى الامام موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه وأجداده الكرام:

عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ كُنَّا جُلُوساً فِي الْمَسْجِدِ إِذْ صَعِدَ الْمُؤَدِّنُ الْمَنَارَةَ فَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ فَبَكَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام وَبَكَيْنَا بِبُكَائِهِ فَلَمَّا فَرَغَ الْمُؤَدِّنُ قَالَ أَتَذَرُونَ مَا يَقُولُ الْمُؤَدِّنُ قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَوَصِيُّهُ أَغْلَمَ فَقَالَ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا يَقُولُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً فَلَقُولِهِ اللَّهُ أَكْبَرُ مَعَانٍ كَثِيرَةٌ مِنْهَا أَنَّ قَوْلَ الْمُؤَدِّنِ اللَّهُ أَكْبَرُ يَقَعُ عَلَى قَدَمِهِ وَأَزَلِّيَّتِهِ وَأَبْدِيَّتِهِ وَعِلْمِهِ وَقُوَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَحِلْمِهِ وَكَرَمِهِ وَجُودِهِ وَعَطَائِهِ وَكِبْرِيَائِهِ فَإِذَا قَالَ الْمُؤَدِّنُ اللَّهُ أَكْبَرُ فَإِنَّهُ يَقُولُ اللَّهُ الَّذِي لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ وَبِمَشِيَّتِهِ كَانَ الْخَلْقُ وَمِنْهُ كَانَ كُلُّ شَيْءٍ لِلْخَلْقِ وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْخَلْقُ وَهُوَ الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ لَمْ يَزَلْ

١. نهج البلاغة: الخطبة ١٠٨.

٢. نهج البلاغة: الحكمة ٤٠٤.

وَالْآخِرُ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ لَا يَزَالُ وَالظَّاهِرُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لَا يُدْرِكُ وَالْبَاطِنُ دُونَ كُلِّ شَيْءٍ لَا يُحَدُّ فَهُوَ الْبَاقِي وَكُلُّ شَيْءٍ دُونَهُ فَإِنَّ وَالْمَعْنَى الثَّانِي اللَّهُ أَكْبَرُ أَيِ الْعَلِيمِ الْخَبِيرِ عَلِمَ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ وَالثَّالِثُ اللَّهُ أَكْبَرُ أَيِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ يَقْدِرُ عَلَى مَا يَشَاءُ الْقَوِيُّ لِقُدْرَتِهِ الْمُقْتَدِرُ عَلَى خَلْقِهِ الْقَوِيُّ لِدَاوَتِهِ وَقُدْرَتُهُ قَائِمَةٌ عَلَى الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَالرَّابِعُ اللَّهُ أَكْبَرُ عَلَى مَعْنَى حِلْمِهِ وَكَرَمِهِ يَحْلُمُ كَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ وَيَصْفَحُ كَأَنَّهُ لَا يَرَى وَيَسْتُرُ كَأَنَّهُ لَا يُعْصَى لَا يُعْجَلُ بِالْعُقُوبَةِ كَرَمًا وَصَفْحًا وَحِلْمًا وَالْوَجْهُ الْآخِرُ فِي مَعْنَى اللَّهُ أَكْبَرُ أَيِ الْجَوَادِ جَزِيلُ الْعَطَاءِ كَرِيمُ الْفِعَالِ وَالْوَجْهُ الْآخِرُ اللَّهُ أَكْبَرُ فِيهِ نَفْيُ كَيْفِيَّتِهِ كَأَنَّهُ يَقُولُ اللَّهُ أَجَلُ مِنْ أَنْ يُدْرِكَ الْوَاصِفُونَ قَدْرَ صِفَتِهِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ وَإِنَّمَا يَصِفُهُ الْوَاصِفُونَ عَلَى قَدْرِهِمْ لَا عَلَى قَدْرِ عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ تَعَالَى اللَّهُ عَنْ أَنْ يُدْرِكَ الْوَاصِفُونَ صِفَتَهُ عُلُوًّا كَبِيرًا.^(١)

[وَأَعْتَقُ رِقَابَنَا مِنْ نَقْمَتِكَ]

الخلاص من خزي الدنيا وعذاب الآخرة

واعتق رقابنا من نقمتك.

والعتق التحرر والخلاص وجاء التعبير عن حرية الرقاب انطلاقاً من كون الانسان عبد الله مملوكاً له فهو العبد وربّه المولى والسيد وهل يرحم المملوك إلا المالك.

وقد تكرّرت الأحاديث في ذكر الرقبة وعتقها وتحريرها وفكّها وهي في الأصل العتق، فجعلت كناية عن جميع ذات الانسان تسمية للشيء يبعثه، فإذا قال: اعتق رقبة فكأنه قال أعتق عبداً أو أمة ومنه قولهم: دينه في رقبتة»^(١) يتحمّل الانسان مسؤولية أعماله فقد منحه الله عزّ وجلّ الحرية في الاختيار والقدرة على سلوك أحد طريقتين الخير أو الشرّ.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾^(٢).

خلق الله الانسان كائناً مدركاً له عقل وفكر، عقل كالسراج يضيء له الطريق ويميز له القبيح من الجميل والخطأ من الصواب.

٢. سورة المدثر (٧٤) : ٣٨.

١. النهاية لابن الأثير: ٢/ ٢٤٩.

وقد أودع الله عزّ وجلّ في جبلة عباده الفطرة النقيّة، وأودع في نفوسهم الضمير والوجدان وهو قانون أخلاقيّ كامل يشعر الانسان بالبهجة إذا قام بعمل ايجابي صالح وبالعكس فأنّه يشعر بوخز الضمير أو بـ «عذاب الضمير» إذا قام بعمل شائن قبيح.

ومع هذا فقد أرسل الله آلاف الأنبياء والرسل وأنزل كتبه ورسالاته وكان رسله عزّ وجلّ من نخبة البشر الذين بلغوا في أخلاقهم ونبيلهم ذرى الكمال. فالانسان كائن يسمع ويبصر ويفكر ويدرك وما عليه إلّا أن يصغي لنداء السماء ويتبع الرسل والأنبياء.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(١)

والانسان لا يستطيع بمفرده أن يتوصّل إلى الحقيقة ومن أجل هذا أرسل عزّ وجلّ الرسل والأنبياء وعيّن أوصياء وأئمة هداة يهدون عباده بأمره. فاذا اتبع الانسان النور الالهي نجا من التيه والضياح وإذا أعرض عن طريق الأنبياء والأئمة الهداة غرق في ظلمات الجهل وضلّ الطريق وكان مصيره الهلاك وخزي في الدنيا وعذاب في الآخرة.

نصيحة مشفق

اتّقوا الغرور والعجب بالنفس (الترجسيّة) و (تضخّم الذات) والتباهي ولا تتكبروا في حضرة الحقّ وفي رحاب الحقيقة ولا تجعلوا اغلال العبوديّة لغير الله

١. سورة الإسراء (١٧): ٣٦.

في أعناقكم ذلك ان الله عزّوجلّ خلقكم أحراراً وأنتم عباده وعباده، ومن كان عبداً لله تحرّر من العبوديّة لغير الله وعاش حرّاً كريماً.

ومن رضي بالعبوديّة لغير الله كان مصيره الخذلان والخزي في الدنيا وله في الآخرة عذاب أليم.

القلب حرم الله فلا يدخل المرء إلى حرم الله عدوه، والشيطان عدوّ الله وعلى الانسان أن يتّخذ عدوّاً.

ولا تخذعنكم الدنيا فأنّها دار الغرور، واطلعوا الله الذي بعث إليكم رسوله وأنبياءه وكونوا من السالكين في طريقه إليه فهو طريق الحق والخير والسعادة.

احتواء الشهوات بقدرة الايمان

لو أفلتت الغرائز والشهوات من السيطرة لشنت هجماتها على العقل لاحتلاله والسيطرة على قياد الانسان وكيانه وكبلت ضميره ووجدانه، فينحدر إلى مستوى الحيوانيّة وإلى أسوأ من ذلك.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١)

واحتواء الغرائز والسيطرة عليها يتم بقدرة الايمان بالحق واليوم الآخر وانتهاج الأخلاق الحسنة واتباع الشريعة الالهية فتنمو الفضائل وتنحسر الرذائل وتتحقّق العدالة في كيان الانسان ووجوده.

ذلك أنّه بازاء كلّ فضيلة رذيلة هي ضدها فالحكمة ضدّ الجهل والشجاعة ضدّ الجبن والعفة ضدّ الشره والعدالة ضدّ الجور.

١. سورة الأنفال (٨): ٢٢.

ولذا يمكن التدرّب على ترك المعصية واجتناب الذنوب فهذه رياضة نفسية تحتاج إلى ارادة، وكما أنّ الصوم في ترك الأكل والشرب رغم مقاساة الجوع والظماً عبادة، كذلك فإنّ الصبر على الطاعة والصبر عن المعصية عبادة وتزكية للنفس وتربية لها وترسيخ للايمان وتعزيز لارادة الانسان.

التقوى في نهج البلاغة

التقوى قوة روحية ومعنوية يحصل عليها الانسان المؤمن بالتمرن فتقوى ملكة التقوى في نفسه ويجد القدرة على اجتناب الذنوب والمعاصي وسهّل عليه ترك الخطيئة.

يقول الامام علي عليه السلام:

ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ زَهِيْنَةً وَأَنَا بِهِ زَعِيْمٌ، إِنَّ مَنْ صَرَحَتْ لَهُ الْعَبْرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ
مِنَ الْمَثَلَاتِ حَزَنَتْهُ التَّقْوَى عَنْ تَقَحُّمِ الشُّبُهَاتِ.

ويضيف صلوات الله عليه قائلاً:

أَلَا وَإِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسُ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَخُلِعَتْ لُجْمُهَا فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي
النَّارِ. أَلَا وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا دُلِّلَ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَأُعْطُوا أَنْ مَنَّتْهَا فَأَوْرَدَتْهُمْ
الْجَنَّةَ. (١)

ونلاحظ هنا أنّ الامام عليه السلام يرى التقوى حالة روحية ومعنوية تتحصّل بضبط النفس والسيطرة على الأهواء النفسية فتتقوى ارادة الانسان التي هي الضمان على كرامته.

١. نهج البلاغة: الخطبة ١٦.

إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ حَمَتْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ مَحَارِمَهُ، وَالزَّمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ، حَتَّى أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ وَأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ.^(١)

وكذلك الطريق إلى السعادة الأبدية في حياة حقيقية مفعمة بالمسررات.

فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحَزَنُ وَالْجَنَّةُ، وَفِي غَدِ الطَّرِيقُ إِلَى الْجَنَّةِ.^(٢)

أجل ان القرآن الكريم والتمسك بتعاليمه وتلاوة آياته آناء الليل وأطراف النهار والانتهال من سنة الرسول الأكرم ﷺ وآله الكرام عليهم السلام من أحاديثهم ومن تراثهم من قبيل نهج البلاغة والصحيفة السجادية والكتب الروائية المعتمدة الأخرى هو الضمان على الهداية الانسان وسيره التكاملي نحو الله عز وجل.

الطريق لتحقيق السعادة

يقول العالم الرباني والحكيم الصمداني المولى النراقي:

«ان حقيقة الخير والسعادة ليست إلا المعارف الحقة والأخلاق الطيبة؛ والأمر وإن كان كذلك من حيث أن حقيقتهما ما يكون مطلوباً لذاته وباقياً مع النفس أبداً وهما كذلك:

الأنه لا ريب في أن ما يترتب عليهما من حب الله وأنسه والابتهاجات العقلانية، واللذات الروحانية مغاير لهما من حيث الاعتبار وإن لم ينفك عنهما ومطلوبته أشد وأقوى».

ويشير النراقي إلى الاختلاف في تعريف السعادة فيراها البعض في «العقل والعلم» ويراهها بعض آخر في «العشق» وفريق ثالث يراها في «الزهد» وترك الدنيا.

١. نهج البلاغة: الخطبة ١١٣.

٢. نهج البلاغة: الخطبة ٢٣٣.

وأما النراقي رحمته الله فإنه يرى أن السعادة لا تتحقق إلا باصلاح جميع الصفات، فهي لا «تحصل باصلاحها بعضاً دون بعض ووقتاً دون وقت».

«فالسعيد المطلق من أصلح جميع صفاته وأفعاله على وجه الثبوت والدوام، بحيث لا يغيره تغير الأحوال والأزمان، فلا يزول صبره بحدوث المصائب والفتن، ولا شكره بورود النوائب والمحن ولا يقينه بكثرة الشبهات، ولا رضاه بأعظم النكبات ولا احسانه بالاساءة».

وقد يبلغ الانسان في رقية الروحي والأخلاقي ويصل مرحلة من التجرد وقوة النفس أن تحصل له «ملكة الاقتدار على التصرف في مواد الكائنات» وظواهر الطبيعة ولو في الأفلاك وما فيها كما حصل لفحل الأنبياء وسيد الأوصياء صلوات الله عليهما وآلهما من شق القمر للنبي صلوات الله عليه وآله ورد الشمس للوصي عليه السلام.

و«ان من يجزع بورود المصائب الدنيوية ويضطرب من الكدورات الطبيعية خارج عن زمرة السعداء لضعف غريزته وغلبة الجبن على طبيعته».

وكذلك من «تكلّف الصبر والرضا وتشبه ظاهراً بالسعداء لكان في الباطن متألماً مضطرباً وهذا ليس سعادة؛ لأن السعادة الواقعية إنما هي صيرورة الأخلاق الفاضلة ملكات راسخة، بحيث لا تغيّرها المغيرات ظاهراً وباطناً».

وقد صرّح الحكماء بأن غاية المراتب للسعادة أن يتشبه الانسان في صفاته بالمبدأ.

وذلك بأن يصدر عنه الجميل لكونه جميلاً، لا لغرض آخر من جلب منفعة أو دفع مضرة، وإنما يتحقق ذلك إذا صارت حقيقته المعبر عنها بالعقل الالهي والنفس الناطقة خيراً محضاً، بأن يتطهر عن جميع الخبائث الجسمانية والأقذار الحيوانية،

ولا يحوم حوله شيء من العوارض الطبيعية.

وإذا بلغ الانسان هذه المرتبة فقد فاز بالبهجة الالهية واللذة الحقيقية الذاتية، فيشتمز طبعه من اللذات الحسية الحيوانية، لأن من أدرك اللذة الحقيقية علم أنها لذة ذاتية^(١).

ومن طبائع النفس البشرية تأثرها في المحيط والبيئة التي تحيطها وتعيش فالانسان يكتسب الأخلاق الحسنة إذا كان يعيش في أجواء أخلاقية نظيفة وبالعكس، إذ يتأثر برفقة السوء ويأخذ عن صديق السوء أخلاقاً هابطة، وصفات منحطة ورذائل مقيتة.

ومن المشاهدات في الحياة الانسانية ان صعود الجبال يستلزم بذل الجهد وفيه مشقة كبيرة بعكس الانحدار في الوادي إلى الحضيض.

وقد جاء في الحديث الشريق قوله ﷺ:

حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ^(٢).

ولذا يتوجب على الانسان أن ينمي العناصر الايجابية في شخصيته ويقوم بعملية تنمية أخلاقية تستلزم منه البحث في عيوبه ونقاط الضعف في مكُوناته النفسية لتهديب شخصيته وبنائها على دعائم قوية صلبة ولذا جاء في الأثر رحم

١. هناك من الحكماء من يذهب إلى أن اللذائذ الحسية ليست لذائذ حقيقية أولاً لسرعة انطوائها وزوالها وثانياً أنها في الحقيقة مجرد دفع للألم لذلك يقول المولى النراقي في ختام الحديث: «وأنت خبير بان هذا التصريح محل تأمل لمخالفته ظواهر الشرع فتأمل». جامع السعادات: ٤١/١ - المترجم.

٢. مستدرک سفينة البحار: ٩٤/٦؛ مسند أحمد بن حنبل: ٣٨/٢؛ صحيح مسلم: ١٤٢/٨.

الله من أهدي إليّ عيوبي! والمؤمن مرآة أخيه المؤمن.^(١)

صن النفس و احملها على ما يزينها تعش سالما و القول فيك جميل

تردد رداء الصبر عند النوائب	تل من جميل الصبر حسن العواقب
وكن صاحباً للحلم في كل مشهد	فما الحلم إلا خير خدن و صاحب
وكن حافظاً عهد الصديق و راعياً	تذق من كمال الحفظ صفو المشارب
وكن شاكر الله في كل نعمة	يثبك على النعمى جزيل المواهب
وما المرء إلا حيث يجعل نفسه	فكن طالبا في الناس أعلى المراتب

١. سمعت من آية الله الشيخ ابراهيم جنّاتي وكان يتحدث عن مجد الشهيد السيّد محمد باقر الصدر فذكر في جانب من حديثه أنّه في مطلع السبعينات توفي أحد أعلام أسرة الصدر في إيران، وكان من المفروض أن يقيم مجلس قراءة الفاتحة السيّد الصدر، إلا أنه لمّا سمع باقاة استأذنه السيّد أبو القاسم الخوئي للمجلس بادر للذهاب تواضعاً واحتراماً لاستأذنه وكان الراوي جالساً عندما وصل السيّد الصدر فلم يحظ باستقبال، كبير أولاد السيّد الخوئي فاضطرّ السيّد الشهيد للجلوس قرب الأحذية!

فشعرت بالألم لما جرى؛ قرأ السيّد الفاتحة وغادر المجلس فودّع بنفس طريقة الاستقبال اهمال وتجاهل تام!

وفي تلك الفترة كان تلامذة الشهيد الصدر مبهورين بشخصيته ومجده الأخلاقي الرفيع وأنّه بلغ مرحلة الكمال فلا عيب فيه! فقلت لأحدهم (أحد تلامذة الشهيد): بل فيه عيب كبير! وقد أثار كلامي استغراب بعضهم واهتمامهم ويبدو أن كلامي تنهّى إلى سمع الشهيد الصدر فأرسل أحد تلامذته من أجل أن يتعرّف على عيبه «وفي هذا درس لنا جميعاً» فقلت له: عيبه كثرة تواضعه!! - المترجم.

اللجوء إلى الله من أجل الخلاص

كلّ ما يملكه الانسان وما هو موضوع تحت تصرّفه إنّما هو ملك لله عزّ وجلّ ،
كلّ شيء لله .

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .^(١)

الله سبحانه خالق كلّ شيء ، وهو مالك كلّ شيء ، ومن لطف الله سبحانه
ورحمته ان وهب الانسان نعمة الوجود ونعمة الحياة ونعمة العيش وامتلاك ما
يكسبه بعرق جبينه ومن مصادره المشروعة .

والانسان العاقل من يبيع نفسه لله عزّ وجلّ وينفق كلّ ما يملكه في سبيل الله .

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ .^(٢)

أمّا الانسان الجاهل فأنه يفعل العكس يبيع نفسه للشيطان فيتبع خطواته
ويلهث وراء غرائزه التي تزداد نهماً وجشعاً وظمأً كمن يشرب ماء البحر فأنه لا
يزداد إلا عطشاً! وهنا يسطع خطّ الأنبياء والرسل الالهيين فكانوا مثلاً مشرقاً
لمن يشري نفسه لله ؛ والجود بالنفس أسمى غاية الجود

هذا إبراهيم خليل الرحمن ينذر نفسه من أجل ترسيخ عقيدة التوحيد ونبذ
عبادة غيره سبحانه من أوثان وأصنام وشمس وقمر .

حمل فأسه واتّجه إلى معبد الأصنام الحجرية وراح يهشم وجوه الآلهة المزيفة
والقي القبض على إبراهيم وحكمت عليه المحكمة الشيطانية بالاعدام حرقاً .

٢ . سورة التوبة (٩) : ١١١ .

١ . سورة آل عمران (٣) : ١٨٩ .

وسجّر الوثنيون ناراً كبرى، ووضع رسول الله ﷺ في المنجنيق ليقذف في قلب النار، وكان قلب إبراهيم ينبض بكلّ طمأنينة وسكينة وسلام، لأنّه لا يرى سوى الله عزّ وجلّ ربّاً والهاً وسيّداً وخليلاً.

ولقد عاهد الله عزّ وجلّ على الوفاء بميثاق العبوديّة لله وحده لا شريك له، فوجه وجهه لله حنيفاً مسلماً راضياً برضاه سبحانه.

وجاء الملك الأمين جبرئيل يقول: ألك حاجة؟!!

فقال نبيّ الله إبراهيم: أمّا إليك فلا!

فأهبط الله عزّ وجلّ عندها خاتماً فيه ستّة أحرف: «لا إله إلّا الله محمّد رسول الله لا حول ولا قوّة إلّا بالله، فوّضت أمري إلى الله، اسندت ظهري إلى الله، حسبي الله». «.

وأوحى الله إلى رسوله أن تختّم بهذا الخاتم فاني أجعل النار عليك برداً وسلاماً.^(١)

﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾.^(٢)

خشية الله ضمان على الأمان يوم الخوف الأكبر

إنّ الرجاء والأمل من دون إيمان وعمل يبعد الانسان عن حالة الخوف والخشية من الله عزّ وجلّ، وهو خوف ايجابي يرشد حركة الانسان.

ولهذا فإنّ الانسان المؤمن تراوده هواجس خوف وخشية من عقاب الله إلى

١. الخصال: ١/ ٣٣٥.

٢. سورة النجم (٥٣): ٣٧.

جانب شعور بالأمل والرجاء بالمغفرة والصفح ويعبر الإنسان المؤمن عن كل ذلك من خلال الدعاء والتضرع إليه وفي دعاء أهل البيت عليه السلام ما نستلهم منه العبر والدروس في أدب المناجاة مع الله عز وجل وطلب الغفران والخلاص يوم القيامة.

«وَأَعْتَقْ رِقَابَنَا مِنْ نِقَمَتِكَ».

ومن هنا فإنّ الخوف من الله عز وجل والخشية من عقابه هو الضمان بالأمان يوم القيامة، بل والفوز بالجنان والرضوان.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ (١).

﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ (٢).

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْنَا وَوَقَّانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ (٣).

الأمان من العذاب في نهج البلاغة

ترخر خطب أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة بالمواعظ البليغة والمفاهيم العظيمة ولقد كان عليه السلام يركز على موضوع ذكر الموت وقرب الأجل وانتهاء العمر في بيان بليغ جداً ومن ذلك قوله عليه السلام:

فَاخْذَرُوا - عِبَادَ اللَّهِ - الْمَوْتَ وَقُرْبَهُ، وَأَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ، فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرِ عَظِيمٍ، وَخَطْبٍ جَلِيلٍ، وَيَأْتِي بِخَيْرٍ لَا شَرَّ بَعْدَهُ أَبَدًا، وَبِشَرٍّ لَا خَيْرَ بَعْدَهُ أَبَدًا، فَمَنْ

١. سورة الرحمن (٥٥): ٤٦.

٢. سورة إبراهيم (١٤): ١٤.

٣. سورة الطور (٥٢): ٢٥ - ٢٧.

أَقْرَبُ مِنَ الْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِهَا؟ وَمَنْ أَقْرَبُ مِنَ النَّارِ مِنْ عَامِلِهَا؟ وَأَنْتُمْ طُرْدَاءُ
 الْمَوْتِ الَّذِي إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَحْذَكُمْ، وَإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ
 ظِلِّكُمْ، الْمَوْتُ مَغْفُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ، وَالْدُّنْيَا تَطْوِي مِنْ خَلْفِكُمْ، فَاحْذَرُوا نَاراً
 قَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحَرُّهَا شَدِيدٌ، وَعَذَابُهَا جَدِيدٌ، وَحَلِيقَتُهَا حَدِيدٌ. دَارٌ لَيْسَ فِيهَا
 رَحْمَةٌ، وَلَا تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ، وَلَا تُفَرَّجُ فِيهَا كُرْبَةٌ.^(١)

فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَلَا تُسْخِطُوهُ بِرِضَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ.^(٢)

الهي واعتق رقابنا من نقمتك؛

الهي أجرني من أليم غضبك وعظيم سخطك؛

يا حنان يا منان؛

يا رحيم يا رحمن؛

يا جبار يا قهار يا غفار؛

يا ستار؛

نجّني برحمتك من عذاب النار؛

وفضيحة العار؛

إذا امتاز الأخيار من الأشرار؛

وحالت الأحوال وهالت الأهوال؛

وقرب المحسنون وبعد المسيئون؛

ووقيت كلّ نفس ما كسبت وهم لا يظلمون!

٢. أعلام الدين: ٢٤٨.

١. نهج البلاغة: الكتاب ٢٧.

يوم تشهد جوارح الانسان !

وفي يوم الحشر ويوم القيامة ينجو الذين كانوا يخشون الله في الحياة الدنيا وتطمئن قلوبهم .

أما أعداء الله فيحشرون ويساقون إلى ساحة الحساب الالهي .

ويفاجأون بالشهود ويا لهم من شهود :

﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۚ ﴾ (١)

حتى جلودهم تشهد عليهم فيشعرون بالدهشة والندم والحسرة والألم .

﴿ وَقَالُوا لِمَ لُجُودُهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۚ ﴾ (٢)

لقد خابت ظنونهم التي كانوا يظنون ، فساء مصيرهم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

ويا لبؤس الانسان الذي يصدق الله عليه بنعمه واحسانه فيقابل ذلك بالاساءة والمعصية وارتكاب الذنوب ، فلا خوف من الله يمنعه ولا حياء من ربه يردعه .

الخلاص يوم القيامة في الروايات

ان طريق الخلاص والنجاة من العذاب يوم القيامة يكمن في الايمان والعمل الصالح والتحلي بأخلاق الصالحين من عفو وكرم وعطف وحلم .

٢ . سورة فصلت (٤١) : ٢١ .

١ . سورة فصلت (٤١) : ٢٠ .

وعندما يعاشر الانسان الصالحين من الناس فانه يتشرب من اخلاقهم وينهل من صفاتهم .

جاء في الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وآله :

لَا تَجْلِسُوا إِلَّا عِنْدَ كُلِّ عَالِمٍ يَدْعُوكُمْ مِنْ خَمْسٍ إِلَى خَمْسٍ: مِنَ الشُّكِّ إِلَى الْيَقِينِ،
وَمِنَ الرِّيَاءِ إِلَى الْإِحْلَاصِ، وَمِنَ الرَّغْبَةِ إِلَى الرَّهْبَةِ، وَمِنَ الْكِبْرِ إِلَى التَّوَاضُّعِ،
وَمِنَ الْغَشِّ إِلَى النَّصِيحَةِ. (١)

وقال صلى الله عليه وآله أيضاً :

مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ تَخْرُجَ مِنْ عَيْنِهِ دُمُوعٌ، وَلَوْ مِثْلُ رُؤُوسِ الذُّبَابِ مِنْ خَشْيَةِ
اللَّهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ؛ وَمَا مِنْ قَطْرَةٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ قَطْرَةٍ دَمَعٍ
مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ! وَقَطْرَةٍ دَمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. (٢)

وقال صلى الله عليه وآله أيضاً :

لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا رَحِيمٌ. فَقِيلَ: كُلُّنَا نَرْحَمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: لَيْسَ رَحْمَةُ
أَحَدِكُمْ فِي خُوصِيصَةِ أَهْلِهِ حَتَّى يَرْحَمَ النَّاسَ عَامَّةً. (٣)

وجاء في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام قال :

إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ تَعَالَى عَبْدًا أَلْهَمَهُ الطَّاعَةَ، وَأَلْزَمَهُ الْقَنَاعَةَ، وَفَقَّهَهُ فِي الدِّينِ، وَقَوَّاهُ
بِالْيَقِينِ، فَكَتَفَى بِالْكَفَافِ، وَاکْتَسَى بِالْعَفَافِ. (٤)

وروى الحسين بن يقطين عن أبيه ، عن جدّه قال :

١ . أعلام الدين : ٢٧٢؛ بحار الأنوار : ١٨٨/ ٧١؛ مستدرک الوسائل : ٣٢٧/ ٨ .

٢ . أعلام الدين : ٢٧٤ . ٣ . أعلام الدين : ٢٧٤؛ فيض القدير : ٦٩٥/ ١ .

٤ . أعلام الدين : ٢٧٨؛ مستدرک الوسائل : ٣٦/ ١٣ .

وَلِيَّ عَلَيْنَا بِالْأَهْوَاِ رَجُلٌ مِنْ كُتَّابِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ وَكَانَ عَلَيَّ بَقَايَا مِنْ خَرَاكِ
كَانَ فِيهَا زَوَالُ نِعْمَتِي وَخُرُوجِي مِنْ مِلْكِي فَقِيلَ لِي إِنَّهُ يَسْتَحِلُّ هَذَا الْأَمْرَ
فَحَشِيتُ أَنْ أَلْقَاهُ مَخَافَةً أَنْ لَا يَكُونَ مَا بَلَغَنِي حَقًّا فَيَكُونَ خُرُوجِي مِنْ مِلْكِي
وَزَوَالُ نِعْمَتِي فَهَرَبْتُ مِنْهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَاتَّيْتُ الصَّادِقَ عليه السلام مُسْتَجِيرًا فَكَتَبَ
إِلَيْهِ رُقْعَةً صَغِيرَةً فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّ اللَّهَ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ ظِلًّا لَا
يَسْكُنُهُ إِلَّا مَنْ نَفَسَ عَنْ أَخِيهِ كُرْبَةً وَأَعَانَهُ بِنَفْسِهِ أَوْ صَنَعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفًا وَلَوْ
بِشِقِّ تَمْرَةٍ وَهَذَا أَخُوكَ الْمُسْلِمُ ثُمَّ حَتَمَهَا وَدَفَعَهَا إِلَيَّ وَأَمَرَنِي أَنْ أُوَصِّلَهَا إِلَيْهِ
فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بِلَادِي صِرْتُ إِلَى مَنْزِلِهِ فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ رَسُولُ
الصَّادِقِ عليه السلام بِالْبَابِ فَإِذَا أَنَا بِهِ وَقَدْ خَرَجَ إِلَيَّ حَافِيًا فَلَمَّا بَصُرَ بِي سَلَّمَ عَلَيَّ
وَقَبَّلَ مَا بَيْنَ عَيْنَيَّ ثُمَّ قَالَ لِي يَا سَيِّدِي أَنْتَ رَسُولُ مُوَلَّيِّ فَقُلْتُ نَعَمْ فَقَالَ هَذَا
عَنْقِي مِنَ النَّارِ إِنْ كُنْتُ صَادِقًا فَأَخَذَ بِيَدِي وَأَدْخَلَنِي مَنْزِلَهُ وَأَجْلَسَنِي فِي
مَجْلِسِهِ وَقَعَدَ بَيْنَ يَدَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا سَيِّدِي كَيْفَ خَلَفْتَ مُوَلَّيِّ فَقُلْتُ بِخَيْرٍ فَقَالَ
اللَّهُ اللَّهُ قُلْتُ اللَّهُ حَتَّى أَعَادَهَا ثُمَّ نَاوَلْتُهُ الرُّقْعَةَ فَقَرَأَهَا وَقَبَّلَهَا وَوَضَعَهَا عَلَى
عَيْنَيْهِ ثُمَّ قَالَ يَا أَخِي مَرْ بَأَمْرِكَ فَقُلْتُ فِي جَرِيدَتِكَ عَلَيَّ كَذَا وَكَذَا أَلْفَ دِرْهَمٍ
وَفِيهِ عَطْبِي وَهَلَائِي فَدَعَا بِالْجَرِيدَةِ فَمَحَا عَنِّي كُلَّ مَا كَانَ فِيهَا وَأَعْطَانِي
بِرَاءَةً مِنْهَا ثُمَّ دَعَا بِصَنَادِيقِ مَالِهِ فَنَاصَفَنِي عَلَيْهَا ثُمَّ دَعَا بِدَوَابِهِ فَجَعَلَ يَأْخُذُ
دَابَّةً وَيُعْطِينِي دَابَّةً ثُمَّ دَعَا بِغِلْمَانِهِ فَجَعَلَ يُعْطِينِي غُلَامًا وَيَأْخُذُ غُلَامًا ثُمَّ
دَعَا بِكِسْوَتِهِ فَجَعَلَ يَأْخُذُ ثَوْبًا وَيُعْطِينِي ثَوْبًا حَتَّى شَاطَرَنِي جَمِيعَ مِلْكِهِ
وَيَقُولُ هَلْ سَرَرْتُكَ وَأَقُولُ إِي وَاللَّهِ وَزِدْتَ عَلَى السُّرُورِ فَلَمَّا كَانَ فِي الْمَوْسِمِ
قُلْتُ وَاللَّهِ لَا كَانَ جَزَاءُ هَذَا الْفَرَحِ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ وَاللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ مِنَ الْخُرُوجِ

إِلَى الْحَجِّ وَالِدُعَاءِ لَهُ وَالْمَصِيرِ إِلَى مَوْلَايَ وَسَيِّدِي الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَشُكْرِهِ
عِنْدَهُ وَأَسْأَلُهُ الدُّعَاءَ لَهُ فَخَرَجْتُ إِلَى مَكَّةَ وَجَعَلْتُ طَرِيقِي إِلَى مَوْلَايَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمَّا
دَخَلْتُ عَلَيْهِ رَأَيْتُهُ وَالسُّرُورُ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ يَا فُلَانُ مَا كَانَ مِنْ خَبْرِكَ مِنْ
الرَّجُلِ فَجَعَلْتُ أُورِدُ عَلَيْهِ خَبْرِي وَجَعَلَ يَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ وَيَسُرُّ السُّرُورَ فَقُلْتُ يَا
سَيِّدِي هَلْ سُرِرْتَ بِمَا كَانَ مِنْهُ إِلَيَّ فَقَالَ إِي وَاللَّهِ سَرَّنِي إِي وَاللَّهِ لَقَدْ سَرَّ أَبَائِي
إِي وَاللَّهِ لَقَدْ سَرَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِي وَاللَّهِ لَقَدْ سَرَّ اللَّهُ فِي عَرْشِهِ. (١)

وجاء في الحديث عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قوله :

نَبَّهَ بِالتَّفَكُّرِ قَلْبَكَ، وَجَافَ عَنِ اللَّيْلِ جَنْبَكَ، وَاتَّقِ اللَّهَ رَبَّكَ. (٢)

وقال عليه السلام :

إِنَّ التَّفَكُّرَ يَدْعُو إِلَى الْبِرِّ وَالْعَمَلِ بِهِ. (٣)

كلام العلامة المجلسي حول حديث التفكر

قال العلامة المجلسي في توضيح الحديث أعلاه :

بيان التفكر يدعو إلى البر كأن التفكر الوارد في هذا الخبر شامل لجميع
التفكرات الصحيحة التي أشرنا إليها كالتفكر في عظمة الله فإنه يدعو إلى خشيته
وطاعته والتفكر في فناء الدنيا ولذاتها فإنه يدعو إلى تركها والتفكر في عواقب من
مضى من الصالحين فيدعو إلى اقتفاء آثارهم وفي ما آل إليه أمر المجرمين فيدعو

١. عدّة الداعي : ١٩٣ .

٢. الكافي : ٥٤ / ٢ ؛ مستدرک الوسائل : ١١ / ١٨٣ ؛ مجموعة ورام : ١٨٣ / ٢ .

٣. الكافي : ٥٥ / ٢ ؛ مستدرک الوسائل : ١١ / ١٨٦ .

إلى اجتناب أطوارهم وفي عيوب النفس وآفاتهما فيدعو إلى الإقبال على إصلاحها وفي أسرار العبادة وغاياتها فيدعو إلى السعي في تكميلها ورفع النقص عنها وفي رفعة درجات الآخرة فيدعو إلى تحصيلها وفي مسائل الشريعة فيدعو إلى العمل بها في مواضعها وفي حسن الأخلاق الحسنة فيدعو إلى تحصيلها وفي قبح الأخلاق السيئة وسوء آثارها فيدعو إلى تجنبها وفي نقص أعماله ومعاييرها فيدعو إلى السعي في إصلاحها وفي سيئاته وما يترتب عليها من العقوبات والبعد عن الله والحرمان عن السعادات فيدعو إلى الانتهاء عنها وتدارك ما أتى به بالتوبة والندم وفي صفات الله وأفعاله من لطفه بعباده وإحسانه إليه بسوايغ النعماء وبسط الآلاء والتكليف دون الطاقة والوعد لعمل قليل بثواب جزيل وتسخير له ما في السماوات والأرض وما بينهما إلى غير ذلك فيدعو إلى البر والعمل به والرغبة في الطاعات والانتهاء عن السيئات وبالمقايضة إلى ما ذكرنا يظهر آثار سائر التفكرات والله الموفق للخيرات.^(١)

لذا ينبغي للإنسان العاقل أن يفكر في فلسفة وجوده من أين جاء وإلى أين المسير والمصير وما هي الغاية من خلقه ووجوده؟!

مكارم الأخلاق في كلام الإمام الصادق عليه السلام

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام في مضمار مكارم الأخلاق:

إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ خَصَّ رُسُلَهُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، فَأَمْتَحِنُوا أَنْفُسَكُمْ، فَإِنْ كَانَتْ
فِيكُمْ فَأَحْمَدُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ، وَإِنْ لَا تَكُنْ فَيَكُنْ فَاسْأَلُوا اللَّهَ وَالزُّعْبُوا

إِلَيْهِ فِيهَا. قَالَ: فَذَكَرَهَا عَشْرَةً: الْيَقِينُ وَالْقَنَاعَةُ وَالصَّبْرُ وَالشُّكْرُ وَالْحِلْمُ
وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَالسَّخَاءُ وَالْعِزَّةُ وَالشَّجَاعَةُ وَالْمُرُوءَةُ. قَالَ: وَرَوَى بَعْضُهُمْ
بَعْدَ هَذِهِ الْخِصَالِ الْعَشْرَةِ وَزَادَ فِيهَا الصَّدَقَ وَأَدَاءَ الْأَمَانَةِ.^(١)

وقال عليه السلام:

ثَلَاثٌ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ أُوجِبَ اللَّهُ لَهُ الْجَنَّةَ: الْإِنْفَاقُ مِنْ إِقْتَارٍ، وَالْبِشْرُ
لِجَمِيعِ الْعَالَمِ، وَالْإِنصَافُ مِنْ نَفْسِهِ.^(٢)

أسماء النعمة

الذنوب التي تغيّر النعمة

يقول الإمام السجّاد عليه السلام:

إِنَّ الذُّنُوبَ الَّتِي تُغَيِّرُ النِّعَمَ: الْبَغْيُ عَلَى النَّاسِ، وَالزَّوَالُ عَنِ الْعَادَةِ فِي الْخَيْرِ
وَاصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ، وَكُفْرَانُ النِّعَمِ، وَتَرْكُ الشُّكْرِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا
يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.^(٣)

ولهذا نجد في أدعية الأئمة الأطهار تضرعاً إلى الله في أن يغفر الذنوب التي
تهتك العصم وتغيّر النعم.^(٤)

١. الكافي: ٥٦/٢؛ بحار الأنوار: ٣٧١/٦٧.

٢. الكافي: ١٠٣/٢؛ وسائل الشيعة: ١٦١/١٢.

٣. سورة الرعد (١٣): ١١.

٤. يقول الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام في دعائه المعروف بـ «دعاء كميل»:
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تَهْتِكُ الْعِصَمَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تُنْزِلُ النَّقَمَ،

الذنوب التي تورث الندم

وَالذُّنُوبُ الَّتِي تُورِثُ النَّدَمَ: قَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ؛ قَالَ اللَّهُ فِي قِصَّةِ قَابِيلَ حِينَ قَتَلَ أَخَاهُ فَعَجَزَ عَنْ دَفْنِهِ: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾^(١)، وَتَرْكُ صَلَاةِ الرَّحِمِ حِينَ يَقْدِرُ، وَتَرْكُ الصَّلَاةِ حَتَّى يَخْرُجَ وَقْتُهَا، وَتَرْكُ الْوَصِيَّةِ وَرَدِّ الْمَظَالِمِ، وَمَنْعُ الزَّكَاةِ حَتَّى يَحْضُرَ الْمَوْتُ وَيَنْغَلِقَ اللِّسَانُ.

الذنوب التي تزيل النعم

وَالذُّنُوبُ الَّتِي تُزِيلُ النِّعَمَ: عِصْيَانُ الْعَارِفِ، وَالتَّطَاوُلُ عَلَى النَّاسِ، وَالِاسْتِهْزَاءُ بِهِمْ، وَالسُّخْرِيَّةُ مِنْهُمْ.

الذنوب التي تحول دون هبات الرحمن

وَالذُّنُوبُ الَّتِي تَدْفَعُ الْقِسْمَ: إِظْهَارُ الْإِفْتِقَارِ، وَالنُّومُ عَنِ صَلَاةِ الْعَتَمَةِ، وَعَنِ صَلَاةِ الْغَدَاةِ، وَاسْتِحْقَارُ النِّعَمِ، وَشَكْوَى الْمَعْبُودِ عَزَّوَجَلَّ.

الذنوب التي تهتك العصم

وَالذُّنُوبُ الَّتِي تَهْتِكُ الْعِصَمَ: شُرْبُ الْخَمْرِ، وَلَعِبُ الْقِمَارِ، وَتَعَاطِي مَا يُضْحِكُ النَّاسَ، وَاللَّعُؤُ، وَالْمَزَاحُ، وَذِكْرُ عُيُوبِ النَّاسِ، وَمُجَالَسَةُ أَهْلِ الرَّيْبِ.

➡ اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِي الدُّنُوبَ الَّتِي تُغَيِّرُ النِّعَمَ، اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِي الدُّنُوبَ الَّتِي تَحْبِسُ الدُّعَاءَ، اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِي الدُّنُوبَ الَّتِي تُنْزِلُ الْبَلَاءَ - المترجم .

١. سورة المائدة (٥): ٣١.

الذنوب التي تنزل البلاء

وَالذُّنُوبُ الَّتِي تُنْزِلُ الْبَلَاءَ: تَرْكُ إِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِ، وَتَرْكُ مُعَاوَنَةِ الْمَظْلُومِ، وَتَضْيِيعُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.

الذنوب التي تؤدي إلى تسلط الأعداء

وَالذُّنُوبُ الَّتِي تُدِيلُ الْأَعْدَاءَ: الْمُجَاهَرَةُ بِالظُّلْمِ، وَإِعْلَانُ الْفُجُورِ، وَإِبَاحَةُ الْمَحْظُورِ، وَعِصْيَانُ الْأَخْيَارِ، وَالْإِنْقِيَادُ إِلَى الْأَشْرَارِ.

الذنوب التي تعجل في حلول الفناء

وَالذُّنُوبُ الَّتِي تُعَجِّلُ الْفَنَاءَ: قَطِيعَةُ الرَّحِمِ، وَالْيَمِينُ الْفَاجِرَةُ وَالْأَقْوَالُ الْكَاذِبَةُ، وَالزُّنَا، وَسُدُّ طُرُقِ الْمُسْلِمِينَ، وَادِّعَاءُ الْإِمَامَةِ بِغَيْرِ حَقٍّ.

الذنوب التي تبعث على اليأس

وَالذُّنُوبُ الَّتِي تَقْطَعُ الرَّجَاءَ: الْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، وَالْقَنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالنَّقْثَةُ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالتَّكْذِيبُ بِوَعْدِ اللَّهِ.

الذنوب التي تنشر الظلام في الأجواء

وَالذُّنُوبُ الَّتِي تُظْلِمُ الْهَوَاءَ: السَّحَرُ وَالْكِهَانَةُ وَالْإِيمَانُ بِالنُّجُومِ وَالتَّكْذِيبُ بِالْقَدْرِ وَعَقُوقُ الْوَالِدَيْنِ.

الذنوب التي تؤدي إلى زوال الحرمة بين الحق تعالى وعبد

وَالذُّنُوبُ الَّتِي تَكْشِفُ الْغِطَاءَ: الْإِسْتِدَانَةُ بِغَيْرِ نِيَّةِ الْأَدَاءِ، وَالْإِسْرَافُ فِي
النَّفَقَةِ عَلَى الْبَاطِلِ، وَالْبُخْلُ عَلَى الْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ وَذَوِي الْأَرْحَامِ، وَسُوءُ الْخُلُقِ،
وَقِلَّةُ الصَّبْرِ، وَاسْتِعْمَالُ الضَّجَرِ وَالْكَسَلِ، وَالْإِسْتِهَانَةُ بِأَهْلِ الدِّينِ.

الذنوب التي تحول دون رفع الدعاء

وَالذُّنُوبُ الَّتِي تَرُدُّ الدُّعَاءَ: سُوءُ النِّيَّةِ، وَخُبْتُ السَّرِيرَةِ، وَالنَّفَاقُ مَعَ الْإِخْوَانِ،
وَتَرْكُ التَّصَدِيقِ بِالْإِجَابَةِ، وَتَأْخِيرُ الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ حَتَّى تَذْهَبَ أَوْقَاتُهَا،
وَتَرْكُ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْبِرِّ وَالصَّدَقَةِ، وَاسْتِعْمَالُ الْبُذَاءِ وَالْفُحْشِ فِي
الْقَوْلِ.

الذنوب التي تحول دون نزول مطر السماء

وَالذُّنُوبُ الَّتِي تَحْبِسُ غَيْثَ السَّمَاءِ: جَوْرُ الْحُكَّامِ فِي الْقَضَاءِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ،
وَكَيْتْمَانُ الشَّهَادَةِ، وَمَنْعُ الزَّكَاةِ وَالْقَرْضِ وَالْمَاعُونِ، وَقِسَاوَةُ الْقُلُوبِ عَلَى أَهْلِ
الْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ، وَظُلْمُ الْيَتِيمِ وَالْأَرْمَلَةِ، وَانْتِهَارُ السَّائِلِ وَرُدُّهُ بِاللَّيْلِ^(١).

إنها ذنوب يقترفها الانسان فتتسبب له في حدوث الأزمات والمشكلات.

ذنوب تحول دون نزول النعم وذنوب تفتح أبواب النقم.

ذنوب تقود الانسان إلى الحجيم وذنوب تحول بينه وبين دخول الجنة والنعيم.

١. كل الروايات في: معاني الأخبار: ٢٧٠ - ٢٧١؛ عدة الداعي: ٢١٢ - ٢١٥؛ وسائل الشيعة:
٢٨١/١٦ - ٢٨٢.

من أجل ذلك كان سيّد الساجدين وزين العابدين يدعو الله ويتضرّع إليه بعد أدائه صلاة الليل قائلاً:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ نَارٍ تَغْلَظُتْ بِهَا عَلَى مَنْ عَصَاكَ وَتَوَعَّدَتْ بِهَا مَنْ صَدَفَ
عَنْ رِضَاكَ وَمِنْ نَارٍ نُورُهَا ظُلْمَةٌ وَهَيْئُهَا أَلِيمٌ وَبَعِيدُهَا قَرِيبٌ وَمِنْ نَارٍ يَأْكُلُ
بَعْضُهَا بَعْضٌ وَيَصُولُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَمِنْ نَارٍ تَذَرُ الْعِظَامَ رَمِيمًا
وَتَسْقِي أَهْلَهَا حَمِيمًا وَمِنْ نَارٍ لَا تُبْقِي عَلَى مَنْ تَضَرَّعَ إِلَيْهَا وَلَا تَرْحَمُ مَنْ
اسْتَعْظَفَهَا وَلَا تَقْدِرُ عَلَى التَّخْفِيفِ عَمَّنْ خَشَعَ لَهَا وَاسْتَسَلَمَ إِلَيْهَا تَلْقَى
سُكَّانَهَا بِأَحَرٍّ مَّا لَدَيْهَا مِنَ أَلِيمِ النِّكَالِ وَشَدِيدِ الْوَبَالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَقَابِهَا
الْفَاغِرَةِ أَفْوَاهُهَا وَحَيَاتِهَا الصَّالِقَةِ بِأَنْبِيَائِهَا وَشَرَابِهَا الَّذِي يَقْطَعُ أَمْعَاءَ وَأَفِيدَةَ
سُكَّانِهَا وَيَنْزِعُ قُلُوبَهُمْ وَأَسْتَهِدُّكَ لِمَا بَاعَدَ مِنْهَا وَأَخَّرَ عَنْهَا الدُّعَاءَ. ^(١)

إِلَهِي أَذِقْنِي طَعْمَ عَفْوِكَ يَوْمَ لَا	بَنُونَ وَلَا مَالٌ هُنَا لَكَ يَنْفَعُ
إِلَهِي لَئِنْ لَمْ تَرْعِنِي كُنْتُ ضَائِعًا	وَأِنْ كُنْتَ تَرْعَانِي فَلَسْتُ أَضِيعُ
إِلَهِي إِذَا لَمْ تَغْفُ عَنِّي غَيْرَ مُحْسِنٍ	فَمَنْ لِمُسَيِّئٍ بِالْهُوَى يَتَمَتَّعُ
إِلَهِي لَئِنْ فَرَّطْتُ فِي طَلَبِ التُّقَى	فَهَا أَنَا إِثْرُ الْعَفْوِ أَقْفُو وَأَتَّبِعُ
إِلَهِي لَئِنْ أَخْطَأْتُ جَهْلًا فَطَالَمَا	رَجَوْتُكَ حَتَّى قِيلَ مَا هُوَ يَجْزَعُ
إِلَهِي ذُنُوبِي بَذَتْ الطُّودَ وَأَعْتَلَّتْ	وَصَفْحُكَ عَنِّي دَنْبِي أَجَلٌ وَأَرْفَعُ
إِلَهِي يُنَحِّي ذِكْرُ طَوْلِكَ لَوْعَتِي	وَذِكْرُ الْخَطَايَا الْعَيْنَ مِنِّي يُدَمِّعُ
إِلَهِي أَقْلِنِي عَثْرَتِي وَامْحُ حَوْبَتِي	فَإِنِّي مُقَرَّرٌ خَائِفٌ مُتَضَرِّعٌ

إِلَهِي أَنْلِنِي مِنْكَ رَوْحاً وَرَاحَةً	فَلَسْتُ سِوَى أَبْوَابِ فَضْلِكَ أَقْرَعُ
إِلَهِي لَسْتُ أَقْصَيْتَنِي أَوْ أَهَنْتَنِي	فَمَا حَيْلَتِي يَا رَبِّ أَمْ كَيْفَ أَصْنَعُ
إِلَهِي حَلِيفُ الْحُبِّ فِي اللَّيْلِ سَاهِرُ	يُنَاجِي وَيَدْعُو وَالْمُعَقَّلُ يَهْجَعُ
إِلَهِي وَهَذَا الْخَلْقُ مَا بَيْنَ نَائِمٍ	وَمُسْتَنَبِهٍ فِي لَيْلِهِ يَتَضَرَّعُ
وَكُلُّهُمْ يَرْجُو نَوَالِكَ رَاجِياً	لِرَحْمَتِكَ الْعَظْمَى وَفِي الْخُلْدِ يَطْمَعُ
إِلَهِي يُمَتِّنِي رَجَائِي سَلَامَةً	وَقُبْحُ خَطِيئَاتِي عَلَى يُشْنَعُ
إِلَهِي فَإِنْ تَعَفَّوْا فَعَفْوُكَ مُنْقِذِي	وَالْأَقْبَالِ الذُّنْبِ الْمُدْمِرِ أَضْرَعُ
إِلَهِي بِحَقِّ الْهَاشِمِيِّ مُحَمَّدٍ	وَحُرْمَةِ أَطْهَارِهِمْ لَكَ خُضْعُ
إِلَهِي بِحَقِّ الْمُصْطَفَى وَابْنِ عَمِّهِ	وَحُرْمَةِ أَبْرَارِهِمْ لَكَ خُشْعُ
إِلَهِي فَأَنْشِرْنِي عَلَى دِينِ أَحْمَدٍ	مُنِيباً تَقِيّاً قَانِتاً لَكَ اخُضْعُ
وَلَا تَحْرِمْنِي يَا إِلَهِي وَسَيِّدِي	شَفَاعَتَهُ الْكُبْرَى فَذَاكَ الْمَشْفَعُ
وَصَلِّ عَلَيْهِمْ مَا دَعَاكَ مُوَحِّدٌ	وَنَاجَاكَ أَخْيَارُ بَبَابِكَ رُكْعُ

[﴿٣﴾] وَيَا مَنْ لَا تَفْنَى خَزَائِنُ رَحْمَتِهِ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْ لَنَا نَصِيباً فِي رَحْمَتِكَ .

[﴿٤﴾] وَيَا مَنْ تَنْقَطِعُ دُونَ رُؤْيَيْهِ الْأَبْصَارُ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَذِنَّا إِلَى قُرْبِكَ .

[﴿٥﴾] وَيَا مَنْ تَضَعُرُ عِنْدَ خَطَرِهِ الْأَخْطَارُ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَكَرِّمْنَا عَلَيْكَ .

[﴿٦﴾] وَيَا مَنْ تَظْهَرُ عِنْدَهُ بَوَاطِنُ الْأَخْبَارِ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَلَا تَفْضَحْنَا لَدَيْكَ]

في هذا المقطع من الدعاء البليغ والعبارات الملكوتية ثمة حقائق في غاية الأهمية :

١ - الرحمة الالهية اللانهائية المطلقة؛

٢ - مسألة القرب الالهي؛

٣ - كرامة الانسان العالية؛

٤ - افتضاح المجرمين .

١ - الرحمة الالهية المطلقة

أشار القرآن الكريم وفي أكثر من ثلاثمئة آية إلى موضوع الرحمة الالهية المطلقة التي لا تعرف حدوداً ولا نهاية، فثمة رحمة رحمانية تغمر الوجود بأسره

وجميع الكائنات وهناك رحمة رحيمّة تخصّ الذين يؤمنون بالله ويقومون بالأعمال الصالحة ويتزيّنون بالأخلاق النبيلة وينشدون الحق والخير والجمال والكمال.

رحمة الله في القرآن الكريم

﴿قُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾. (١)

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾. (٢)

الرحمة الالهية والخلاص

إنّها رحمة الله عزّ وجلّ التي تمثّل طوق النجاة للانسان من العذاب وبؤس المصير، الذي سيحيق بالظالمين والطغاة الجبارين.

﴿قَالَ سَأُوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾. (٣)

رحمة الله في مقابل النفس الأمّارة

إنّها الرحمة الالهية التي تعصم الانسان من الاستجابة لوساوس النفس الأمّارة بالسوء، وعندما يكون الانسان على حافة الهاوية والسقوط تنفتح نوافذ الرحمة الالهية وتنتشله من السقوط الأبدي؛ إنّها النفس الامّارة التي تصبح كالذئب الأغبر.

١. سورة الأنعام (٦): ١٤٧.

٢. سورة الأعراف (٧): ١٥٦.

٣. سورة هود (١١): ٤٣.

﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾. (١)

الرحمة الالهية يوم القيامة

ويوم يقف الانسان وحيداً فريداً أمام الحساب والعدالة الالهية يومئذ لا ملاذ إلا رحمة الله ولا خلاص إلا برحمة الله، انها رحمة الله التي تغمر المؤمنين الأخيار وتنقذهم من عذاب النار.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ. (٢)

الرحمة الالهية الضمان من السقوط في السيئات

انها رحمة الله عزوجل التي تحصن الانسان من الانزلاق والسقوط في براثن السيئات.

﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. (٣)

الرحمة الالهية الضمان من الخسران

وانها رحمة الله تبارك وتعالى التي تسعف الانسان وتتداركه وتنقذه من الخسران وحياة الجحيم الأبدية.

١. سورة يوسف (١٢): ٥٣.

٢. سورة الدخان (٤٤): ٤١ - ٤٢.

٣. سورة غافر (٤٠): ٩.

أنها التوبة الربانية التي تبقى الأبواب مفتوحة أمام الانسان، فلا يشعر باليأس والقنوط جرّاء اقترافه عملاً سيئاً، أنها نافذة أمل واسعة ورحمة من الله تبارك وتعالى لاتقاذ الانسان من الخسران.

لقد خدع الشيطان أبانا آدم وأمنا حواء وأكلا من الشجرة الممنوعة، فعصفت بهم رياح الخسران لو لا رحمة الله للانسان.

﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. (١)

ان طاعة الله عزّوجلّ والالتزام بأوامره والانتهاز بنواحيه تبقى أبواب الرحمة الالهية مفتوحة دائماً بوجه الخاطئين.

رحمة الله في أداء الواجبات

أنها رحمة الله الرحيمية التي تغمر عباد الله المؤمنين الذين يقومون بالأعمال الصالحة يؤدّون عليهم من واجبات وفروض الالهية.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. (٢)

رحمة الله في اتباع القرآن الكريم

انّ الامتثال لآيات الله عزّوجلّ في محكم كتابه العزيز وترسيخ الأخلاق

١. سورة الأعراف (٧): ٢٣.

٢. سورة التوبة (٩): ٧١.

الالهية في الذات والاتصاف بالصفات الربانية يعني تجاه الانسان وشموله بالرحمة الالهية المطلقة.

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(١).

الرحمة الالهية في الاصغاء للقرآن الكريم

ان اصغاء الانسان إلى تلاوة القرآن بالروح والقلب والعقل يؤدي إلى انفتاح أبواب الرحمة الالهية بوجه الانسان.

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٢).

الرحمة الالهية والاصلاح بين الاخوة

الاصلاح الاخوي وحل الاختلافات والنزاعات بين أبناء المجتمع يوصل الانسان إلى رحمة الله.

﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٣).

الرحمة الالهية في الصبر

هؤلاء الذين يصبرون ويتحملون ويحافظون على استقامتهم في الابتلاء والفتن والمحن فلا يزيدهم الامتحان إلا ايماناً وثباتاً هم المؤمنون حقاً الذين يفوزون يوم القيامة.

٢. سورة الأعراف (٧): ٢٠٤.

١. سورة الأنعام (٦): ١٥٥.

٣. سورة الحجرات (٤٩): ١٠.

﴿وَلَنْبَلُوَنَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ
وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا
إِلَيْهِ رَاغِبُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُهْتَدُونَ﴾. (١)

الرحمة الالهية في الأخلاق الحسنة

التحلي بالأخلاق الحسنة والتعامل مع الناس بالحسنى من الأسباب التي توفق
الانسان لنيل الرحمة الالهية.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ
حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ
عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾. (٢)

خلاصة القول

إذا ما أردنا أن نورد جميع الآيات القرآنية التي تشير إلى رحمة الله فإن ذلك
يتطلب كتاباً مستقلاً وما ذكرناه غيض من فيض واسع؛ وخلاصة القول ان القرآن
الكريم يؤكد:

الف - أن الله عز وجل كتب على نفسه الرحمة.

ب - أن رحمته سبحانه واسعة جداً وبلا حدود فهي مطلقة ولا نهائية.

ج - ان رحمة الله تبارك وتعالى تنال الذين يستحقونها ومن تتوفّر فيهم الشروط.

٢. سورة آل عمران (٣): ١٥٩.

١. سورة البقرة (٢): ١٥٥ - ١٥٧.

وما على الانسان إلا أن يسعى في تحصيلها والفوز بها لأن من تتداركه رحمة الله فقد فاز بخير الدنيا وخير الآخرة.

رحمة الله في الروايات

إبليس يطمع في رحمة الله

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَشَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَحْمَتَهُ حَتَّى يَطْمَعَ إِبْلِيسُ فِي رَحْمَتِهِ. ^(١)

تتحوّل السيئات إلى الحسنات

روى الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ تَجَلَّى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ فَيُوقِفُهُ عَلَى ذُنُوبِهِ ذَنْبًا ذَنْبًا، ثُمَّ يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ، لَا يُطْلَعُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ مَلَكًا مُقَرَّبًا وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلًا، وَيَسْتُرُ عَلَيْهِ مَا يَكْرَهُ أَنْ يَقِفَ عَلَيْهِ أَحَدٌ، ثُمَّ يَقُولُ لِسَيِّئَاتِهِ: كُونِي حَسَنَاتٍ. ^(٢)

حسن الظن بالله

روى ابن أبي رثاب قال:

سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ يُؤْتَى بِعَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِمٍ لِنَفْسِهِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ

١. بحار الأنوار: ٢٨٧/٧؛ الأمالي، الشيخ الصدوق: ٢٠٥.

٢. بحار الأنوار: ٢٨٧/٧؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٣٣.

أَلَمْ أَمُرْكَ بِطَاعَتِي أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ مَعْصِيَتِي فَيَقُولُ بَلَى يَا رَبِّ وَلَكِنْ غَلَبَتْ عَلَيَّ
شَهْوَتِي فَإِنْ تُعَذِّبْنِي فَبِذَنْبِي لَمْ تَظْلِمْنِي فَيَأْمُرُ اللَّهُ بِهِ إِلَى النَّارِ فَيَقُولُ مَا كَانَ
هَذَا ظَنِّي بِكَ فَيَقُولُ مَا كَانَ ظَنُّكَ بِي قَالَ كَانَ ظَنِّي بِكَ أَحْسَنَ الظَّنِّ فَيَأْمُرُ اللَّهُ بِهِ
إِلَى الْجَنَّةِ فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَقَدْ نَفَعَكَ حُسْنُ ظَنِّكَ بِي السَّاعَةَ. (١)

تفسير الآية

وفي تفسير الآية الكريمة:

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ
حَسَنَاتٍ﴾. (٢)

قال سليمان بن خالد:

قَرَأْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا
صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ فَقَالَ: هَذِهِ فِيكُمْ إِنَّهُ يُؤْتِي
بِالْمُؤْمِنِ الْمُذْنِبِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُوقَفَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فَيَكُونُ هُوَ
الَّذِي يَلِي حِسَابَهُ فَيُوقِفُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ شَيْنًا شَيْنًا فَيَقُولُ عَمِلْتَ كَذَا فِي يَوْمٍ
كَذَا فِي سَاعَةٍ كَذَا فَيَقُولُ أَعْرِفُ يَا رَبِّ قَالَ حَتَّى يُوقِفَهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ كُلِّهَا كُلَّ
ذَلِكَ يَقُولُ أَعْرِفُ فَيَقُولُ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ أَبْدَلُوهَا
لِعَبْدِي حَسَنَاتٍ قَالَ فَتَرْفَعُ صَحِيفَتُهُ لِلنَّاسِ فَيَقُولُونَ سُبْحَانَ اللَّهِ أَمَا كَانَتْ
لِهَذَا الْعَبْدِ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ
حَسَنَاتٍ﴾. (٣)

٢. الفرقان (٢٥): ٧٠.

١. بحار الأنوار: ٢٨٨/٧.

٣. بحار الأنوار: ٢٨٨/٧.

رحمة الله في الانفاق

روى الامام محمد الباقر عليه السلام عن جدّه الأكرم عليه السلام أنّه قال :

يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِرَجُلٍ فَيَقَالُ: احْتَجَّ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ خَلَقْتَنِي وَهَدَيْتَنِي فَأَوْسَعْتَ عَلَيَّ، فَلَمْ أَزَلْ أَوْسَعْ عَلَى خَلْقِكَ وَأُيسِّرْ عَلَيْهِمْ لِكَيْ تَنْشُرَ عَلَيَّ هَذَا الْيَوْمَ رَحْمَتَكَ وَتُيسِّرَهُ فَيَقُولُ الرَّبُّ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَتَعَالَى ذِكْرُهُ - صَدَقَ عَبْدِي، أَدْخِلُوهُ الْجَنَّةَ. ^(١)

وروى أبو عبيدة عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال :

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيَمُنُّ عَلَى عَبْدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَأْمُرُهُ أَنْ يَدْنُو مِنْهُ فَيَدْنُو ثُمَّ يَعْرِفُهُ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ يَقُولُ لَهُ أَلَمْ تَدْعُنِي يَوْمَ كَذَا وَكَذَا بِكَذَا وَكَذَا فَأَجَبْتُ دَعْوَتَكَ أَلَمْ تَسْأَلْنِي يَوْمَ كَذَا وَكَذَا فَأَعْطَيْتَكَ مَسْأَلَتَكَ أَلَمْ تَسْتَغِيثْ بِي يَوْمَ كَذَا وَكَذَا فَأَعْطَيْتَكَ أَلَمْ تَسْأَلْنِي فِي ضُرِّ كَذَا وَكَذَا فَكَشَفْتُ ضُرَّكَ وَرَحِمْتُ صَوْتَكَ أَلَمْ تَسْأَلْنِي مَالًا فَمَلَكَتُكَ أَلَمْ تَسْتَخْذِمْنِي فَأَحْدَمْتُكَ أَلَمْ تَسْأَلْنِي أَنْ أَرْزُجَكَ فَلَانَةً وَهِيَ مَنِيعةٌ عِنْدَ أَهْلِهَا فَرَوَّجْنَاكَهَا قَالَ فَيَقُولُ الْعَبْدُ بَلَى يَا رَبِّ أَعْطَيْتَنِي كُلَّ مَا سَأَلْتُكَ وَقَدْ كُنْتُ أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ قَالَ فَيَقُولُ اللَّهُ أَلَا فَإِنِّي مُنْجِزٌ لَكَ مَا سَأَلْتَنِيهِ هَذِهِ الْجَنَّةُ لَكَ مُبَاحَةٌ أَرْضِيَّتُكَ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ نَعَمْ يَا رَبِّ أَرْضَيْتَنِي وَقَدْ رَضِيتُ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ عَبْدِي إِنِّي كُنْتُ أَرْضَى أَعْمَالَكَ وَأَنَا أَرْضَى لَكَ أَحْسَنَ الْجَزَاءِ فَإِنَّ أَفْضَلَ جَزَائِي عِنْدِي أَنْ أُسْكِنَنَّكَ الْجَنَّةَ. ^(٢)

١. الكافي: ٤/ ٤٠؛ وسائل الشيعة: ٥٤٥/ ٢١.

٢. بحار الأنوار: ٢٨٩/ ٧.

٢- مسألة القرب الالهي

انّ مقام القرب الالهي مقام رفيع ومجد عظيم يحظى به الانسان المؤمن الذي امتحن الله قلبه فوجده صادقاً، ففاز بهذه الدرجة التي لا ينالها إلا الصديقون.

مقام القرب في القرآن الكريم

أشار القرآن الكريم في بعض الآيات الكريمة إلى هذا المقام الرفيع من قبيل قوله تعالى في قصّة السيّدة مريم البتول:

- ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۖ﴾ (١)
- ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ ۝ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ۖ﴾ (٢)
- ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ۖ﴾ (٣)
- ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۖ﴾ (٤)
- ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۖ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۖ﴾ (٥)

تفسير الآية ٣٢ من سورة فاطر

أشارت سورة الواقعة في الآيتين ١٠ - ١١ إلى ان «السابقون» هم «المقربون» لذا نستكمل هذا الموضوع في الإشارة إلى تفسير قوله تعالى:

- | | |
|--------------------------------|---------------------------------|
| ١. سورة آل عمران (٣): ٤٥. | ٢. سورة المطففين (٨٣): ٢٠ - ٢١. |
| ٣. سورة المطففين (٨٣): ٢٨. | ٤. سورة الواقعة (٥٦): ١٠ - ١١. |
| ٥. سورة الواقعة (٥٦): ٨٨ - ٨٩. | |

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾^(١)

حيث ورد في تفسيرها عديد من الأحاديث الشريفة المروية عن أئمة الهدى من آل رسول الله ﷺ.

جاء في كتاب «معاني الأخبار» قول الامام جعفر الصادق عليه السلام:

الظَّالِمُ يَحُومُ حَوْمَ نَفْسِهِ، وَالْمُقْتَصِدُ يَحُومُ حَوْمَ قَلْبِهِ، وَالسَّابِقُ يَحُومُ حَوْمَ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ^(٢).

فالظالم من يتبع هواه ويلهث وراء أتباع غرائزه الحيوانية لا يعرف من الحياة الانسانية خلقاً كريماً ولا عملاً صالحاً.

وأما المقصد فهو الانسان الذي يسعى في تهذيب نفسه وتطهير قلبه من خلال العبادة والزهد في الدنيا.

وأما السابق بالخيرات فهو الانسان الذي يسعى إلى القرب الالهي ونيل رضوان الله عز وجل فهو لا يقوم بعمل إلا في سبيل ولا يخطو خطوة إلا من أجل تحقيق مرضاته سبحانه وتعالى.

وقد جاء في الحديث الشريف عن الامام محمد الباقر عليه السلام قوله:

السَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ: الْإِمَامُ، وَالْمُقْتَصِدُ: الْعَارِفُ لِلْإِمَامِ، وَالظَّالِمُ لِنَفْسِهِ: الَّذِي لَا يَعْرِفُ الْإِمَامَ^(٣).

١. سورة فاطر (٣٥): ٣٢.

٢. بحار الأنوار: ٢٣/ ٢١٤؛ معاني الأخبار: ١٠٤.

٣. الكافي: ١/ ٢١٤؛ بحار الأنوار: ٢٣/ ٢٢٣.

وقوله ﷺ أيضاً:

أَمَّا الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ مِنَّا فَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً وَآخِرَ سَيِّئاً. وَأَمَّا الْمُقْتَصِدُ فَهُوَ
الْمُتَعَبِّدُ الْمُجْتَهِدُ. وَأَمَّا السَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ فَعَلِيٌّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ: وَمَنْ قَتَلَ
مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ شَهِيداً.^(١)

مقام القرب في الروايات

مَكْتُوبٌ فِي الْإِنْجِيلِ... طُوبَى لِلْمُصْلِحِينَ بَيْنَ النَّاسِ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُقَرَّبُونَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ.^(٢)

وجاء في الحديث الشريف عن الامام علي أمير المؤمنين ﷺ قوله:
عَلَيْكُمْ بِصِدْقِ الْإِخْلَاصِ وَحُسْنِ الْيَقِينِ، فَإِنَّهُمَا أَفْضَلُ عِبَادَةِ الْمُقَرَّبِينَ.^(٣)
وقوله:

أَقْرَبُ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَحْسَنُهُمْ إِيمَاناً.^(٤)

وقوله ﷺ أيضاً:

أَقْرَبُ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَقُولُهُمْ لِلْحَقِّ وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ، وَأَعْمَلُهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنْ
كَانَ فِيهِ كُرْهُهُ.^(٥)

وقوله ﷺ أيضاً:

-
١. بحار الأنوار: ٢٣/ ٢٢٣؛ المناقب، ابن شهر آشوب: ٤/ ١٣٠.
 ٢. بحار الأنوار: ١٤/ ٣٠٤؛ تحف العقول: ٣٩٢.
 ٣. غرر الحكم: ١٩٨.
 ٤. غرر الحكم: ٨٧.
 ٥. غرر الحكم: ٦٩.

فيما أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام: يا داود كما أن أقرب الناس من الله المتواضعون، كذلك أبعد الناس من الله المتكبرون.^(١)

وجاء في الحديث القدسي الشريف عن رسول الله ﷺ عن جبرائيل عن الله عز وجل:

ما يتقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتنهل إلى حتى أحبته، ومن أحبته كنت له سمعاً وبصراً ويداً وموئلاً، إن دعاني أجبتُهُ، وإن سألني أعطيتُهُ.^(٢)

وقال الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

تقرب العبد إلى الله تعالى بإخلاص نيته.^(٣)

وقال الامام محمد الباقر عليه السلام:

كان فيما ناجى الله به موسى عليه السلام على الطور أن يا موسى، أبلغ قومك أنه ما يتقرب إلى المتقربون بمثل البكاء من خشيتي، وما تعبد لي المتعبدون بمثل الورع عن محارمي، وما تزين لي المتزيّنون بمثل الزهد في الدنيا عما بهم الغنا عنه.

فقال موسى عليه السلام: يا أكرم الأكرمين، فماذا أثبتهم على ذلك؟ فقال يا موسى، أما المتقربون إلى بالبكاء من خشيتي فهم في الرفيق الأعلى لا يشركهم فيه أحد.^(٤)

١. وسائل الشيعة: ٢٧٣/١٥؛ الكافي: ١٢٣/٢.

٢. بحار الأنوار: ٢٨٣/٥؛ علل الشرايع: ١٢/١.

٣. غرر الحكم: ٩٣.

٤. بحار الأنوار: ٣٤٩/١٣؛ ثواب الأعمال: ١٧٢.

وصايا لقمان الحكيم لابنه

عَنْ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ أَنَّهُ قَالَ فِي وَصِيَّتِهِ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ أَحْكُكْ عَلَى سِتِّ خِصَالٍ لَيْسَ مِنْهَا خَصْلَةٌ إِلَّا وَتَقَرَّبُكَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَتُبَاعِدُكَ عَنْ سَخَطِهِ. الْأَوَّلَةُ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ لَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا: وَالثَّانِيَةُ: الرِّضَا بِقَدْرِ اللَّهِ فِيمَا أَحَبَبْتَ أَوْ كَرِهْتَ. وَالثَّالِثَةُ: أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ. وَالرَّابِعَةُ: تُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ. وَالْخَامِسَةُ: تَكْظِمُ الْغَيْظَ، وَتُحْسِنُ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ. وَالسَّادِسَةُ: تَرْكُ الْهَوَى وَمُخَالَفَةُ الرَّدَى.^(١)

وخلاصة القول أن نيل هذا المقام الرفيع يكمن في أداء الفرائض والورع عن ارتكاب المحرمات والقيام بالأعمال الصالحة وفعل الخيرات والتحلي بالأخلاق الحسنة والاتصاف بالصفات الحميدة وهذا يتحقق من خلال ترسيخ الإيمان بالله واليوم الآخر وتقوى الله عز وجل في السر والعلن.

أما الوسائل في تحقيق ذلك فهي الصوم لأنه يعزز ارادة الانسان؛ صوم البطن وصوم اللسان، أجل انّ الجوع يهذب الانسان ويصقل مرآة قلبه فينعكس فيها النور الالهي وكذلك الصمت

وقد جاء في الأثر:

سَيِّدُ الْأَعْمَالِ الْجُوعُ.^(٢)

فما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، وعندما تكون المعدة فارغة يصفو القلب

١. مستدرک الوسائل: ١١/١٧٨؛ بحار الأنوار: ٥٧/٧٥.

٢. جامع السعادات: ٥/٢.

ويتنقد الذهن .

وهكذا في السكوت فإن السكوت والصمت يهذب النفس الانسانية ويجعلها أكثر صفاء ورقة .

وكان فيما أوصى أمير المؤمنين عليه السلام نجله الحسن عليه السلام قوله :

يَا بُنَيَّ لَوْ أَنَّ الْكَلَامَ كَانَ مِنْ فِضَّةٍ كَانَ يَنْبَغِي لِلصَّمْتِ أَنْ يَكُونَ مِنْ ذَهَبٍ .^(١)

وقوله عليه السلام :

مَنْ سَكَتَ سَلِمَ .^(٢)

ومن الوسائل في تهذيب النفس وتصفية القلب ونيل القرب قلة النوم حيث ينهض الانسان ليلاً وقد أوى جميع الخلق إلى النوم فيقف في رحاب الله مناجياً متضرعاً مبتهلاً قد اشتعل الشوق في فؤاده وتأجج حب الله في قلبه .

وقد جاء في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله :

كُلُّ عَيْنٍ بَاكِئَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا ثَلَاثَةً أَعْيُنٌ: عَيْنُ غُضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، وَعَيْنُ

سَهَرَتْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَكَتْ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ .^(٣)

وكن واثقاً بالله في كلِّ حادث يصنك مدى الأيام من عين حاسد

وبالله فاستعصم ولا ترج غيره ولا تك للنعماء عنه بجاحد

ونافس ببذل المال في طلب العلا بهمة محمود الخلائق ماجد

١ . بحار الأنوار: ٣٣٢/٩٠؛ الزهد: ٧٧ .

٢ . بحار الأنوار: ٣٥/١٤؛ وسائل الشيعة: ١٨٦/١٢ .

٣ . غرر الحكم: ٢١٧ .

ولا تبين للدنيا بناء مؤمل خلوداً فما حيّ عليها بخالد

وفي العزلة عن المجتمع والانسحاب من الحياة الاجتماعية مدّة معيّنة اسلوب ناجح في تهذيب النفس وترتيبها وتنمية الملكات الأخلاقية النبيلة، ولا تعني العزلة هنا دعوة إلى الرهبانية لأنّه لا رهبانية في الاسلام وهي حرام ولكن العزلة التي يدعو إليها الاسلام عدم الاستغراق في الحياة الماديّة ومنح النفس الانسانيّة فرصة اثرها الحياة الروحيّة.

ويدخل ذكر الله أيضاً طريقاً لتحقيق ما ينشده الانسان من بلوغ مقام القرب الرفيع، ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب.

وعندما يلهج الانسان بذكر الله في وعي تام فان النور الالهي يسطع ويتلقى القلب أضواء المعرفة الحقّة التي ترشد حركة الانسان نحو الكمال المنشود.

٣- كرامة الانسان العالية

خلق الله الانسان وكرّم بني آدم وجعله من أشرف الكائنات فالكرامة الانسانيّة هي هبة الله للانسان وعليه واجب صيانتها وتنميتها والبلوغ بها إلى أعلى المراتب وأسمى الدرجات.

والكرامة تتحقّق من خلال أثراء المعرفة وتحصيل المعارف الالهية وهي تنمو في ظلال حشد من الحقائق في باطن الانسان تتفاعل فيما بينها لتتبلور في تكوين شخصيّته الكريمة وهي تتألف من منظومة عقائديّة صحيحة ينجم عنها عمل صالح وأخلاق رفيعة.

والكرامة مفتاح السعادة الانسانيّة وفيها يكمن العلاج الناجع لمرض الشقاء

وذلك من خلال ترسيخ ارادة الخير والحق والجمال والسير نحو القرب الالهي .

الكرامة في القرآن الكريم

الملائكة عباد الله الذين يعيشون حياة روحية خالصة لا تشوبها من المادية والشهوانية شائبة فنالوا الكرامة من الله عز وجل .

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ .^(١)

﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ .^(٢)

وعند ما يتطهر الانسان في حياته ويعيش حالة روحية وايمانية وينفذ الايمان في قلبه وروحه ويجسد في سيرته الخلق الكريم فانه يحظى بهذا المجد الالهي الرفيع مجد الكرامة الالهية التي هي هبة الله لعباده الصالحين .

﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ * أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُمْ مُّكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ .^(٣)

ولقد كان حبيب النجار^(٤) انساناً نبيلاً ومجاهداً في سبيل الله ، ما إن استشهد وعرجت روحه نحو السماء حتى وضع قدميه في عالم البرزخ وقيل له ادخل

١ . سورة الذاريات (٥١) : ٢٤ . ٢ . سورة الأنبياء (٢١) : ٢٦ .

٣ . سورة الصافات (٣٧) : ٤٠ - ٤٣ .

٤ . هو مؤمن آل ياسين بحسب ما ورد في روايات الامامية والعامة وهو أحد الصديقين الثلاثة ، عاش في انطاكيا وكان قومه يعبدون الأوثان فبعث الله إليهم رسولين ثم اتبعها برسول ثالث فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ونبذ عبادة الأوثان والأصنام والتمائيل الحجرية فلم يستجيبوا لهم وأردوا قتلهم فهب حبيب النجار يدافع عنهم ويدعو قومه إلى الايمان برسالات الله ، فانهاكوا عليه بالضرب الشديد حتى الموت .

الجنة قال: يا ليت قومي يعلمون بما حظيت به من الكرامة الالهية.

﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾^(١).

فكان استشهاده في سبيل الله طريقاً لنيل الكرامة الالهية.

لقد خلق الله الانسان وأودع فيه نزعة الايمان والرغبة في التكامل وتحقيق الكرامة الانسانية التي لا تتحقق إلا في ظلال التقوى والعمل الصالح.

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٢).

فالكرامة الانسانية مودعة في أعماق البشر في تكوينهم وفي فطرتهم الادمية.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ﴾^(٣).

كرامة سيّد الشهداء عليه السلام

في يوم عاشوراء وقف الامام الحسين سيّد الشهداء ومعه اثنان وسبعون من أنصاره وأهل بيته، وأمامهم جيش جرّار مؤلف من ثلاثين ألف جندي وفي ذلك اليوم الخالد كان الخيار الموت أو الاستسلام؛ بين الموت بعز وكرامة والحياة بذل وهوان واستسلام.

ولم يتردّدوا في الاختيار.

وكانت للامام في ذلك اليوم كلمات وخطب قبل الواقعة قال في احداها:

٢. سورة الحجرات (٤٩): ١٣.

١. سورة يس (٣٦): ٢٦ - ٢٧.

٣. سورة الإسراء (١٧): ٧٠.

أُثْنِي عَلَى اللَّهِ أَحْسَنَ الثَّنَاءِ وَأَحْمَدُهُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، اَللَّهُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ
عَلَى أَنْ أَكْرَمْتَنَا بِالنُّبُوَّةِ... (١)

وعندما عرض عليه الاستسلام قال: هيهات منّا الذلّة، وقال: لا أرى الموت إلّا
سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برما ولذلك ورد عن أئمة الهدى من آل الرسول
الأكرم ﷺ قولهم: «القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة».

وأطلقها الامام الحسين صرخة مدوّية ما تزال تتردّد في سماء التاريخ:
أنا الحسين بن علي آليت ألا أثنى!

وحيداً كان يقاتل ثلاثين ألف، ظامئاً كان وبالقرب منه يجري نهر الفرات..
يقاتل يدفع أمواج الغدر يقهر القبائل، يحرر الفرات، يقحم فرسه المياه، ولكنه لم
يشرب لأنّ الأطفال كانوا ظامئين.

روح عظيم يسكن جسداً مبضعاً بآلاف الجراح والسهام ما تزال تنهمر كالطر!
سهم بثلاث شعب ينبت في القلب وتنبعث الدماء كالميزاب في مواسم المطر.
وعلى الرمال كان صريعاً والروح العظيم يستعد للرحيل لقد اقتربت الساعة.
وتتألق الكرامة الانسانية عندما تتلاشى المسافات بين الأرض والسماء في
دعاء الانسان الحرّ الذي يرفض الهوان ويأبى أن يضام:

- «اللهم متعال المكان، عظيم الجبروت، شديد المحال!

غني عن الخلائق، عريض الكبرياء، قادر على ما تشاء!

قريب الرحمة صادق الوعد سابغ النعمة حسن البلاء!

١. بحار الأنوار: ٣٩٢/٤٤؛ الارشاد، الشيخ المفيد: ٩١/٢.

قريب إذا دعيت محيط بما خلقت !
 أدعوك محتاجاً وأرغب إليك فقيراً !
 صبراً على قضائك يا رب !
 ويهزم الحسين الموت .. ينتزع الخلود الأخضر من عمق الموت الأحمر !
 يعلم الأجيال كيف يحيون وكيف يموتون !
 وإن الكرامة هي هبة الله للإنسان وليس من حقه التنازل عنها؛ كل إنسان
 سيموت ولكن ليس كل إنسان سيحيا .
 يخاطب شقيقته الحوراء :
 - اريدك أن تكونين صوتي وكلماتي التي سأقولها للآتين :
 لا يحق للإنسان أن يتنازل عن كرامته أنها ملك لله كما هي الروح !
 هوّني عليك يا اختاه !
 لن يستثني الموت أحداً من الكائنات .
 انه يطاردنا جميعاً في كل مكان !
 أن أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون !
 أن الذين يفرون ربما سينجون ولكن بعد سنوات سيموتون !
 يموتون على الفراش وحينئذٍ سيموتون إلى الأبد !

سورة المعارج معراج الكرامة

قال الله تبارك وتعالى :

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ *
 لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيَّوْمَ الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ
 عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَالَّذِينَ هُمْ
 لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ
 مَلُومِينَ * فَمَنْ أَتَّبَعَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ
 لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ *
 وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾. (١)

ترسم الآيات طريقاً مشرقاً مفعماً بالصفاء لبلوغ ذلك المقام الرفيع من الكرامة
 الإلهية.

١- الصلاة والدعاء والتوجه إلى الله عز وجل بالعبادة الخالصة.

٢- الشعور بالمسؤولية ازاء الفقراء والبؤساء وتقديم العون لهم.

٣- الايمان الراسخ بيوم القيامة يوم الدين ويوم يقوم الناس لرب العالمين.

٤- الخشية من العذاب الإلهي.

٥- العفاف والنقاء والاستقامة الأخلاقية.

٦- أداء الأمانة في كل مجالات الحياة.

٧- الالتزام بالمواثيق والعهود.

٨- الشهادة بالحق والصدق في كل الظروف.

٩ - الالتزام بمواقيت الصلاة والمحافظة عليها وأدائها بخشوع ووعي وحضور قلبي .

هذا هو سلّم الكرامة والحياة الخالدة المفعمّة بالصفاء والسلام ترسمه هذه الآيات المباركة من سورة المعارج .

كرامة الانسان

يقول الفيض الكاشاني العارف السالك والعالم العابد والحكيم الزاهد في كتابه « زاد السالك » الذي يورد فيه آيات وروايات من أجل اكتساب الكرامة :

« اعلم - أيّدك الله بروح منه - انه مثلما للسفر الصوري مبدأً ومنتهى ومسافة ومسير وزاد وراحلة ورفيق ودليل ، فان للسفر المعنوي الذي هو سفر الروح إلى رحاب الحق - سبحانه وتعالى - مبدأً ومنتهى وغاية كذلك .

ومبدأه جهل ونقصان طبيعي اصطحبه معه من بطن أمّه .

﴿ وَاللّٰهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ۖ ﴾ (١)

ومنتهاه الكمال الحقيقي الذي هو فوق الكمالات وهو الوصول إلى الحق سبحانه وتعالى .

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ۖ ﴾ (٢)

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ۖ ﴾ (٣)

ومسافة الطريق في هذا السفر ، مراتب الكمالات العلميّة والعملية التي يطويها

٢ . سورة النجم (٥٣) : ٤٢ .

١ . سورة النحل (١٦) : ٧٨ .

٣ . سورة الإنشقاق (٨٤) : ٦ .

الروح شيئاً فشيئاً، على صراط الشرع المستقيم الذي هو مسلك الأولياء والأصفياء.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾. (١)

وهذه الكمالات مترتبة بعضها على بعض، فما لم ينطوي الكمال المتقدم لا ينتقل إلى الكمال الذي يليه، كما هو الحال في السفر الصوري فما لم يتم طي قطعة من المسافة المتقدمة لا يمكنه طي المسافة التي تأتي بعدها.

ومنازل هذا السفر هي الصفات الحميدة والأخلاق الحسنة التي هي أحوال ومقامات الروح ينتقل منها إلى ما فوقها على نحو تدريجي والمنزل الأول هي اليقظة (الوعي) والمنزل الآخر (الأخير) هو التوحيد وهو المقصد الأقصى من هذا السفر.

ومسير هذا السفر الجّد التام والجهد البليغ والهمة القويّة ويستلزم قطع هذه المنزل القيام بالمجاهدة والرياضة النفسية وتعويدها حمل اعباء التكليف الشرعية من فرائض وسنن وآداب ومراقبة ومحاسبة للنفس آنأً فآنأً ولحظة فلحظة ويكون الانقطاع الحق سبحانه وتعالى الهم الأكبر:

﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾. (٢)

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾. (٣)

٢. سورة المزمل (٧٣): ٨.

١. سورة الأنعام (٧): ١٥٣.

٣. سورة العنكبوت (٢٩): ٦٩.

وزاد هذا السفر التقوى :

﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ (١).

والتقوى عبارة عن القيام بما أمر به الشارع واجتناب ما نهى عنه عن بصيرة في الأمر حتى يصفو القلب بنور الشرع وتصفله التكليف الشرعية فيستعدّ بقبول فيضان المعرفة الصادر عن الحق عز وجل :

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُ اللَّهُ﴾ (٢).

وكما أنّ المسافر الصوري لا يمكنه قطع مسافة الطريق حتى يقوى بدنه بالزاد فكذلك المسافر المعنوي فأنّه ما لم يقم بالتقوى والطهارة الشرعية ظاهراً وباطناً وتقوية الروح بها فتترتب العلوم والمعارف والأخلاق الحميدة، وتحصل التقوى لم ينله الفيض .

ومثله مثل شخص في الظلام وبيده السراج فهو يرى الطريق بنوره ويسير، وفي كلّ خطوة يخطوها يضيء السراج تلك القطعة التي يقطعها وما لم يسقط عليها الضوء فأنّه لا يراها ولا يطويها، وتلك الرؤية بمنزلة المعرفة وذلك السير بمنزلة العمل والتقوى .

قال الإمام محمد الباقر عليه السلام :

مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ أَوْرَثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَخْلَمْ (٣).

وقال رسول الله ﷺ :

١ . سورة البقرة (٢) : ١٩٧ .

٢ . سورة البقرة (٢) : ٢٨٢ .

٣ . بحار الأنوار : ١٧٢ / ٨٩ ؛ الخرائج و الجرائح : ١٠٥٨ / ٣ .

الْعِلْمُ يَهْتَفُ بِالْعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا ارْتَحَلَ عَنْهُ.^(١)

وقال الامام جعفر الصادق عليه السلام:

لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَمَلًا إِلَّا بِمَعْرِفَةٍ، وَ لَا مَعْرِفَةً إِلَّا بِعَمَلٍ. فَمَنْ عَرَفَ دَلَّتْهُ الْمَعْرِفَةُ عَلَى

الْعَمَلِ، وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ فَلَا مَعْرِفَةَ لَهُ، أَلَا إِنَّ الْإِيمَانَ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ.^(٢)

وكما ان الشخص في السفر الصوري إذا لم يعرف الطريق فإنه لا يصل المقصد، كذلك في السفر المعنوي فمن لا بصيرة له في العمل لا يبلغ المقصد.

الْعَامِلُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ لَا تَزِيدُهُ سُرْعَةُ السَّيْرِ إِلَّا

بُعْدًا.^(٣)

الخير للعبد أن ينقاد معتذراً عن القصور إلى أعتاب سيده

لم لا وكل امرئ عما يليق به أقرّ بالعجز في منحي تعبده

والراحلة^(٤) (المركب) في هذا السفر البدن وقواه وكما في السفر الصوري إذا كانت الراحلة ضعيفة عليلة فانها لا تقوى على طي الطريق، كذلك في هذا السفر فإنه ما لم يصحّ البدن وتقوى القوى لم يمكنه القيام بعمل.

اذن فان تحصيل المعاش (كسب العيش) من هذه الجهة ضروري، وأن يكون ذلك على قدر الضرورة واذن فان طلب الفضول (ما زاد على الضرورة) في المعاش مانع عن السلوك والدنيا المذمومة التي ورد (عن أهل البيت عليه السلام) في

١. بحار الأنوار: ٣٣/٢؛ عوالي اللآلي: ٦٦/٤.

٢. الكافي: ٤٤/١، حديث ٢؛ المحاسن: ١٩٨/١.

٣. بحار الأنوار: ٢٤٤/٧٥؛ وسائل الشيعة: ٢٤/٢٧.

٤. يقال للناقة والجمال التي تستخدم في السفر «الراحلة» - المترجم.

التحذير منها عبارة عن ذلك الفضول الذي يجرّ الوبال على صاحبه وأمّا الضروري منه (المعاش) فانه داخل في أمور الآخرة وتحصيله عباده.

وكما أنّ الشخص في السفر الصوري ترك لراحته الزمام وأفلت اللجام في أثناء الطريق لترعى كما تهوى فانه لا يطوي الطريق.

كذلك في هذا السفر المعنوي إذا ترك لبدنه وقواه إلى منتهاه وما تهوى قواه وأفلت الزمام فلم يلجمه بالآداب والسنن الشرعيّة ولم يقيّد قواه فانه لا يطوي الطريق إلى الله.

ورفاق السفر في هذا الطريق العلماء والصلحاء والعباد السالكون الذين يعضد بعضهم بعضاً ويعين أحدهم الآخر، لأنّ الانسان لا يقف على عيوبه بسرعة ويطلع على عيوب غيره قبل عيبه، واذن اذا اجتمع شمل بعضهم وتآلفوا أخبر بعضهم بعضاً بعيوبه وآفاته فيسهل عليهم طي الطريق ويكونوا في مأمن من اللصوص وقطّاع الطرق ذلك أن:

الشَّيْطَانُ إِلَى الْمُتَفَرِّدِ أَقْرَبُ مِنْهُ إِلَى الْجَمَاعَةِ، وَيَدُ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ.^(١)

فان خرج أحدهم عن الطريق نبّهه آخر إلى ذلك، فاذا لم يكن (للمسافر) رفيق فتهيّات أن يعرف أنّه شدّد عن الطريق:

والدليل في هذا السفر النبويّ الأكرم ﷺ وسائر الأئمة المعصومين من آلّه صلوات الله عليهم أجمعين فهم الهداة الذين بيّنوا السنن والآداب وعرّفوا

١. قريب من هذا ما قاله الإمام علي عليه السلام للخوارج في الخطبة ١٢٧ من نهج البلاغة: «ألزموا السواد الأعظم فإن يد الله مع الجماعة وإياكم والفرقة! فإن الشاذ من الناس للشيطان، كما ان الشاذ من الغنم للذئب».

بالمصالح والمفاسد لهذا الطريق ، وهم من سلكوه ليكونوا للأمة قدوة وأسوة فيسلكوه .

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (١)

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (٢)

الطريق إلى نيل الكرامة

في ضوء الروايات المعتبرة الواردة عن طريق أهل البيت عليهم السلام فإنه يتعين على السالك أن الالتزام بأمور لا بد له منها ولا يجوز له الإخلال بها على أي وجه وهي بعد تحصيل العقائد الحقّة خمسة وعشرون شيئاً:

الأول: المحافظة على الصلوات الخمس ، يعني أداؤها في أول الوقت جماعة بحسب السنن والآداب .

اذن فان لم يستطع القيام بذلك لغير ما علة وعذر ولم يحضر الجماعة ولم يعمل بسنة من السنن وأدب من الآداب خرج عن سلوك الطريق وتاه مع العوام في بيداء الجهالة والضلال ، وغفل عن المقصد ولم يترقّ أبداً .

الثاني: المحافظة على صلاة الجمعة والعيدين وصلاة الآيات مع اجتماع الشروط ، إلا مع العذر المُسقط ، لأن من ترك صلاة الجمعة ثلاث جمعات من دون علة صدأ قلبه وران على فؤاده .

الثالث: المحافظة على الصلاة المعهودة اليومية لأن تركها يعدّ معصية إلا أربع ركع من نافلة العصر وركعتان من نافلة المغرب والوترية إذ لا يجوز تركها دون عذر .

٢ . سورة آل عمران (٣) : ٣١ .

١ . سورة الأحزاب (٣٣) : ٢١ .

الرابع: المحافظة على الصوم في شهر رمضان المبارك واكمال ذلك في حفظ اللسان عن اللغو والغيبة والكذب والفحش وكذلك حفظ سائر الأعضاء عن الظلم والخيانة والحرام والشبهة وفي سائر الأيام.

الخامس: المحافظة على صوم السنة وهو الصوم المعهود في الثلاثة أيام من كل شهر والذي يعادل صوم الدهر فلا يتركه دون عذر وإن فعل قضى ما فاته أو تصدق عنه بمد من الطعام.

السادس: المحافظة على الزكاة فلا يجوز له التأخير دون عذر، من قبيل فقد المستحق أو انتظار أفضل المستحقين ونحو ذلك.

السابع: المحافظة على انفاق الحق المعلوم من المال، يعني ما هو مقرر انفاقه كل يوم أو كل اسبوع أو كل شهر إذ عليه أن يعطي السائل والمحروم شيئاً على قدر استطاعته، على أن لا يخل به، والأفضل أن لا يعلم أحد بذلك.

الثامن: المحافظة على حجة الاسلام إذ يجب أدائها في سنة وجوبها ولا يجدر له التأخير دون عذر وقد ورد في الحديث لكلّ امام عهد في عنق أوليائه وشيعته ومن تمام الوفاء بالعهد زيارة قبره.

التاسع: زيارة القبور المقدسة للنبي ﷺ والأئمة المعصومين من آلِهِ ﷺ خصوصاً الإمام الحسين عليه السلام وقد جاء في الحديث: «زيارة الحسين فرض على كل مؤمن» فمن تركه ترك حقاً لله ورسوله.

العاشر: المحافظة على حقوق الاخوان وقضاء حوائجهم حيث وردت التأكيدات البليغة في ذلك بل ان ذلك مقدم على أكثر الفرائض.

الحادي عشر: أداء ما فاته من المذكورات ما أمكنه ذلك فاذا انتبه لما فاته أداه.

الثاني عشر: مكافحة الأخلاق المذمومة مثل الكبر والبخل والحسد ونحو ذلك من خلال الرياضة النفسية والتحلي بالأخلاق الحسنة مثل حسن الخلق والسخاء والصبر وغير ذلك حتى تصبح ملكة.

الثالث عشر: ترك المنهيات جملة، فإذا بدرت منه معصية على سبيل الندرة سارع إلى الاستغفار والتوبة والانابة لكي يكون محبوب الحق.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(١).

قال ابن عربي:

وَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ كُلَّ مُفْتَنٍ تَوَّابٍ^(٢).

متى ما شملت العبد منك بنظرة تفق في الورى آثاره شهر الشمس

إن يك لا يستطيع حصر عيوبه فعطفك بمحو كل عيب عن النفس

الرابع عشر: ترك الشبهات الموجبة للوقوع في المحرمات وقد قيل: كل من ترك أدباً حرم سنة وكل من ترك سنة حرم فريضة.

الخامس عشر: عدم الخوض في ما لا يعني لأنه موجب للقسوة والخسران وقد جاء في الحديث:

مَنْ طَلَبَ مَا لَا يَغْنِيهِ فَاتَهُ مَا يَغْنِيهِ^(٣).

فان صدر ذلك عن غفلة ثم تنبه إلى ذلك بادر إلى الاستغفار والانابة:

١. سورة البقرة (٢): ٢٢٢.

٢. الفتوحات المكية: ١٤٢/٢؛ فيض القدير: ٦٣/٣.

٣. المناقب، الخوارزمي: ٣٧٥؛ جواهر المطالب في مناقب الامام علي عليه السلام، ابن الدمشقي:

١٥٢/٢.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ * وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ^(١).

وكذلك ترك مجالسة البطالين والمغتائبين والمثرثرين للكلام فليس مثل هذا موجب للقسوة والغفلة وتضييع الوقت.

السادس عشر: التقليل من الأكل والتقليل من وقت النوم وجعل ذلك شعاراً لأنه يضيء القلب بالنور.

السابع عشر: تلاوة ما تيسر من آيات القرآن يومياً وأقله تلاوة خمسين آية بتدبر وتأمل وخشوع وخضوع، وإذا وقع بعض ذلك في الصلاة فهو أفضل.

الثامن عشر: قراءة قدر من الأوراد والأذكار في أوقات معينة خصوصاً بعد أداء الفرائض، فإذا أمكن اشغال اللسان بذكر الحق في أكثر الأوقات وجوارحه في الأعمال الأخرى فهو من السعادة.

ورد في سيرة الامام محمد الباقر عليه السلام أن لسانه يترنم بذكر الكلمة الطيبة «لا إله إلا الله».

لأن الذكر في حال الأكل والحديث والمشي يمد السالك ويعينه بقوة فاذا اقترن بذلك الذكر القلبي فُتح عليه بأقل زمان وان أمكنه ذكر الحق في كل آن وآن كي لا يغفل وفي هذا ضمان على مداومة السلوك ومعين للعبد في ترك مخالفة الحق سبحانه وتعالى بارتكاب المعاصي والذنوب.

التاسع عشر: مصاحبة العالم وسؤاله والاستفادة من العلوم الدينية على قدر

١. سورة الأعراف (٧): ٢٠١ - ٢٠٢.

الاستطاعة ليضيف علماً إلى علمه .

أَعْلَمُ النَّاسِ مَنْ جَمَعَ عِلْمَ النَّاسِ إِلَى عِلْمِهِ^(١)

ومصاحبة السالك لمن هو أعلم منه فوز عظيم فاذا وجد عالماً يعمل بعلمه فان متابعته تعدّ لازمة فلا يخرج عن حكمه ، والمراد من العلم علم الآخرة لا علوم الدنيا ، فاذا لم يجد هكذا عالم ولم يجد من هو أعلم منه فعليه مصاحبة الكتاب وعاشر الناس بالحسنى فيكتسب منهم الأخلاق الحميدة ولا يفقد صحبة من يذكره بالحق والنشأة الآخرة .

العشرون : معاشرّة الناس بالأخلاق الحسنة والتبسّط في معاشرتهم حتّى لا يثقل عليهم ويحمل أفعالهم على محمل حسن ولا يظنّ بأحد سوء .
الحادي والعشرون : الصدق في الأقوال والأفعال والشعار .

الثاني والعشرون : التوكّل على الحقّ - سبحانه وتعالى - في جميع الأمور والاجمال في طلب الرزق والقناعة وترك الفضول من الدنيا .
الثالث والعشرون : الصبر على أهل الجفاء والثبات في البأساء وعدم اساءة الخلق مهما بلغ به الجفاء وتلقّي البلاء فكّلما ازداد البلاء قصرت المسافة بينه وبين بلوغ المطلوب .

الرابع والعشرون : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على قدر الطاقة ووسع الاستطاعة واشراك الآخرين في خيره ومشاركتهم في الهموم واشراكهم في السير في السلوك إن كانت له قوّة نفسيّة وإلاّ اجتنب صحبتهم وعمد إلى مداراتهم

١ . بحار الأنوار : ١ / ١٦٤ ؛ من لا يحضره الفقيه : ٤ / ٣٩٥ .

وانتهاج التقيّة معهم حتّى لا يوجب استيحاشهم منه .

الخامس والعشرون: ضبط أوقاته وتنظيم أوقاده في ذكر كلّ ورد في وقت معين ، حتّى لا تضيع أوقاته لأن كلّ وقت تابع للموقوت وهذا محور في السلوك وهذا ما وصل إلينا من الأئمة المعصومين عليهم السلام وما كانوا يقومون به ويوصون به شيعتهم .

في كلّ آن نفس من عمري	يمرّ والباقي ضعيف الأثر
يا مذهب الخمسين بالنوم سدى	أيّامك الخمس قريبة المدى
يا حيرة الساري وما سوى الخمول	والركب قد خف على قرع الطبول
فما ألدّ النوم في صبح الرحيل	وضيعة الراجل في تلك السبيل
وغيره يمضي بهذا الهوس	وللمحاق رأس مال المفلس
لا تتخذ غير الوفي صاحباً	وإن ترى الغدار فاذهب جانباً
بالموت ما تفعل من خير وشر	يمضي ويا طوبى لمن زان المقر
فاحمل إلى قبرك أنوار الهدى	فليس ما ينجيك من بعد الردى
فالعمر ثلج وبتموز الأفق	نار فامسك ما تبقى من رمق
يا من مضى للسوق فارغ اليد	أخشى بأن ترجع خلوا فاقعد
من أكل السنبل قبل نضجه	فالتبن عند الحصد ملّ خرجّه
بأذن القلب استمع نصيحتي	وامض كإنسان على طريقتي

٤- افتتاح المجرمين

يقول الإمام السجّاد عليه السلام في مناجاة التائبين :

فَوَا أَسْفَاهُ مِنْ خَجَلْتِي وَافْتِضَاحِي، وَوَالْهَفَاهُ مِنْ سُوءِ عَمَلِي وَاجْتِرَاحِي،
أَسْأَلُكَ يَا غَافِرَ الذَّنْبِ الْكَبِيرِ، وَيَا جَابِرَ الْعَظَمِ الْكَسِيرِ أَنْ تَهَبَ لِي مُوَبِقَاتِ
الْجَرَائِرِ، وَتَسْتُرَ عَلَيَّ فَاضِحَاتِ السَّرَائِرِ.^(١)

ويقول جدّه أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء كميل :

فَأَسْأَلُكَ بِعِزَّتِكَ أَنْ لَا يَحْجُبَ عَنْكَ دُعَائِي سُوءُ عَمَلِي وَفِعَالِي، وَلَا تَقْصَحْنِي
بِخَفَائِي مَا أَطْلَعْتَ عَلَيْهِ مِنْ سِرِّي، وَلَا تُعَاجِلْنِي بِالْعُقُوبَةِ عَلَيَّ مَا عَمِلْتُهُ فِي
خَلَوَاتِي مِنْ سُوءِ فِعْلِي وَإِسَاءَتِي، وَدَوَامِ تَقْرِيطِي وَجَهَالَتِي، وَكَثْرَةِ شَهَوَاتِي
وَعَفْلَتِي.^(٢)

ومن هذين النصين البليغين المفعمين بالتضرّع والتسليم ندرك أنّ المجرمين
سوف يفتضح أمرهم ويظهر خزيهم في الدنيا والآخرة.
وأنّ المعاصي والذنوب والتمادي في التمرّد على الله سبحانه يقود الانسان إلى
الخزي الدنيوي والفضيحة الكبرى في عالم الآخرة.

١. بحار الأنوار: ١٤٢/٩١، مناجاة التائبين.

٢. مصباح المتهجد: ٨٤٤، دعاء آخر وهو دعاء الخضر عليه السلام، دعاء كميل.

[﴿٧﴾ اَللّٰهُمَّ اَغْنِنَا عَنْ هَبَةِ الْوَهَّابِينَ بِهَيْبَتِكَ وَاكْفِنَا وَخْشَةَ الْقَاطِعِينَ بِصَلَتِكَ حَتَّى لَا نَزْغَبَ اِلَى اَحَدٍ مَّعَ بَذْلِكَ وَلَا نَسْتَوْحِشَ مِنْ اَحَدٍ مَّعَ فَضْلِكَ .

[﴿٨﴾ اَللّٰهُمَّ فَصِّلْ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَاٰلِهِ وَكَذِّ لَنَا وَلَا تَكْذِبْ عَلَيْنَا وَاْمَكُزْ لَنَا وَلَا تَمْكُرْ بِنَا وَاَدِلْ لَنَا وَلَا تُدِلْ مِنَّا]

الحاجة إلى الله

صحيح أن الانسان مدني بالطبع ، واجتماعي وهو بحاجة إلى الآخرين لتسيير شؤون حياته ، فالحياة الاجتماعية تنهض على حالة من التعاون بين الأفراد وتشابك مصالحهم .

لكن هذا لا يعني ان الانسان محتاج في كل شيء إلى الآخرين من أبناء نوعه ، فالناس جميعاً سوف يقفون عاجزين تماماً عن اغاثة انسان ملهوف ، بل أكثر من ذلك قد يكونوا قادرين لكنهم لا يكثرثون وقد يكثرثون لكنهم يكتفون بالتعبير عن تعاطفهم فقط لا أكثر .

وقد تكون الحاجة خندقاً لأعداء الله ، ولذا يحتمي الانسان بذلك الخندق ويلجأ إليه وما درى انه وقع في أسر عدو مخادع ينفذ إلى قلبه وعقله فيصبح عميلاً للشيطان .

وفي هذا المسار يتجلى موقف أبي ذر الغفاري الصحابي التقي الزاهد الورع الشجاع الذي رفض معونة العدو وقد جاءت إليه في وقت عصيب وظرف معاشي مؤسف لكنه رفضها لأنها في الحقيقة كانت مدنسة بالرشوة ومن أجل شراء ضميره واخماد صوته البطولي الذي كان صوتاً للثورة ضد الظلم والفساد.

وسرعان ما ظهرت الحقيقة فما إن رفضها حتى تصاعدت معاناته وراح الذين اضطهدوه يضيقون عليه ثم يقومون بإبعاده ونفيه إلى منطقة قاسية المناخ.

وظل يعاني ما يعاني ويقاسي ما يقاسي وفي النفس الوقت ظل قوياً صامداً ثابتاً ثبات الجبال في وجه العواصف العاتية والأعاصير؛ هكذا كان أبودر في روحه العظيم وارادته الفولاذية.

أما جسده فقد كان يذوب شيئاً فشيئاً كما الشموع تخبو قليلاً قليلاً إلى أن تنطفئ. أجل توفاه الله في منفاه تحوطه رحمة الله ورضوان منه أكبر وهالة نور تسطع حول اسمه ومجد في الدنيا وفي الآخرة يوم يقوم الناس لرب العالمين. ومن كان مع الله كان الله معه، ومن كان مع الله كان الله له ومن كان عدواً لله كان الله عليه وأخزاه.

وان الذين يطيعون الله في السراء والضراء في زمن الرخاء وفي زمن المعاناة والبلاء، هم أحباء الله حقاً وسيجزئهم الله في الدنيا خيراً وفي الآخرة حسن الثواب؛ قد ساروا على صراطه المستقيم وأحبوه وزهدوا بغيره، فوهبهم ربهم نوراً يهديهم سواء السبيل ويوفقهم إلى السير على خطى الأنبياء والأوصياء والأئمة الأطهار متمسكين بالقرآن الثقل الأكبر وبأهل البيت الثقل الآخر فهما الضمان على الهدى والنور والنجاة.

[﴿٩﴾ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَاٰلِهٖ وَقِنَا مِنْكَ وَاخْفِظْنَا بِكَ وَاِهْدِنَا اِلَيْكَ وَلَا تُبَاعِدْنَا عَنْكَ اِنَّ مَنْ تَقِيهِ يَسْلَمْ وَمَنْ تَهْدِهٖ يَعْصِمُ وَمَنْ تُقَرِّبْهُ اِلَيْكَ يَنْجُمْ]

الله ملاذ الانسان

ان من هداه الله عاش حياته في اعتدال وتوازن أي في أمان من حالة الافراط وحالة التفريط ، فاذا هو يسير في خط مستقيم بعيداً عن الانحرافات هنا وهناك . فاذا شرح الانسان صدره لله واثقاً برحمته مؤمناً بفضله وعطفه فان النور الالهي سوف يسطع على قلبه وينير له الطريق إليه . ومن سار إلى الله فانه سيحظى بالقرب الالهي وسيتحقق له الغنى والحياة الأبدية في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

البنية التحتية للسعادة

ان معرفة النفس هي البنية التحتية للسعادة الانسانية في جميع الشؤون المادية والمعنوية وكافة المجالات ، لأنه سوف يدرك احتياجاته في الباطن وفي حياته الروحية والنفسية وسينظم حياته وفق ذلك وينتهج مساراً صحيحاً يقوده إلى الكمال المنشود .

السعادة والوعي

ان من ينشد السعادة عليه أن يكتشف ذاته وأن يعي ما بداخله من طاقات ومكونات من نوازع ايجابية وغرائز حيوانية ورغبات وتطلعات انسانية نحو الكمال ثم يقوم بالموازنات المطلوبة في ضوء الشريعة الاسلامية وانتهاج المسار الصحيح في الحياة.

يقول الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام:

لَيْسَ مِثْلًا مَنْ تَرَكَ دُنْيَاهُ لِدِينِهِ وَ دِينَهُ لِدُنْيَاهُ وَ تَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ.^(١)

أهمية معرفة النفس

لقد أوصى الأئمة الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين أهمية فائقة لهذا الموضوع وحثوا الانسان على معرفة نفسه لأن معرفة النفس هي الأساس والمنطلق إلى معرفة الرب تبارك وتعالى.

يقول الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام:

هَلَكَ امْرُؤٌ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَهُ.^(٢)

ويقول عليه السلام أيضاً:

نَالَ الْفَوْزَ الْأَكْبَرَ مَنْ ظَفَرَ بِمَعْرِفَةِ النَّفْسِ.^(٣)

وقال سلام الله عليه أيضاً:

١. بحار الأنوار: ٣٤٦/٧٥؛ مستدرک الوسائل: ٢٢٣/٨.

٢. نهج البلاغة: حكمت ١٤٩. ٣. غرر الحكم: ٢٣٢.

مَنْ لَمْ يَعْرِفْ نَفْسَهُ بَعْدَ عَنْ سَبِيلِ النَّجَاةِ وَ حَبَطَ فِي الضَّلَالِ وَ الْجَهَالَاتِ.^(١)

أجل ان سعي الانسان لمعرفة نفسه هي الخطوة الأساس والبداية الواعدة للتنمية الفكرية والمعرفية والأخلاقية لأن هذه الخطوة ستقود إلى الوعي العميق للذات الانسانية وسوف يطل الانسان من خلال هذه النافذة على عالم الحقيقة إن الطريق إلى المعرفة الحقيقية تبدأ عادة بطرح الأسئلة على الذات وهذه الأسئلة في الحقيقة تحدث هزّات نفسية قوية تقود إلى الوعي:

من أنا؟ ومن أكون؟ من أين جئت؟ وإلى أين أسير؟ وما هو المصير؟

كم من الأيام والساعات مرّت.

والليالي تنطوي ساعاتها.

وأنا افكّر.

لِمَ أنا غافل عن قلبي وروحي؟

أنا من أين أتيت، ولماذا جئت؟

وترى أين أسير؟

موطني أين؟

وسأبقى دائماً في الفكر.

حتّى أعرف المنزل أراه من بعيد!

إنّ الوعي الذاتي ومعرفة النفس وإزالة القلق الانساني من خلال العثور على الأجوبة المقنعة لهذه الأسئلة المزلزلة هو الضمان على تحقّق الوعي الحقيقي

والأمان من النسيان، ذلك أنّ نسيان الإنسان نفسه هو أخطر ما يواجهه الإنسان في حياته وما أجمل وأروع ما قاله القرآن الكريم في هذا المضمار:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. (١)

على الإنسان أن يفكر في مستقبله الحقيقي الذي ينتظره وهو مستقبل حتمي يرسمه الإنسان من خلال تجربته في حياته الدنيوية.

«وأساساً فإن جوهر التقوى شيان: ذكر الله تعالى، وذلك بالتوجه والانسداد إليه من خلال المراقبة الدائمة منه واستشعار حضوره في كل مكان وفي كل الأحوال، والخشية من محكمة عدله ودقة حساب، الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها في صحيفة أعمالنا، ولذا فإنّ التوجه إلى هذين الأساسين (المبدأ والمعاد) كان على رأس البرامج التربوية للأنبياء والأوصياء والنقطة الجديرة بالملاحظة، أنّ القرآن الكريم يعلن هنا - بصراحة - ان الغفلة عن الله تسبب الغفلة عن الذات، ودليل ذلك واضح أيضاً، لأن نسيان الله يؤدي من جهة إلى انغماس الإنسان في اللذات المادية والشهوات الحيوانية وينسى خالقه وبالتالي يغفل عن ادّخار ما ينبغي له يوم القيامة ومن جهة أخرى فإنّ نسيان الله ونسيان صفاته المقدسة وأنّه سبحانه هو الوجود المطلق اللامتناهي والغنى اللامحدود وكلّ ما سواه مرتبط به ومحتاج إلى ذاته المقدسة كلّ ذلك يسبب أن يتصور نفسه مستقلاً ومستغنياً عن المبدأ.

وأساساً فإنّ النسيان - بحد ذاته - من أكبر مظاهر تعاسة الانسان وشقائه، لأن قيمة الانسان في قابليّاته ولياقاته الذاتيّة وطبيعة خلقه التي تميّزه عن الكثير من المخلوقات وإذا نسيها فهذا يعني نسيان انسانيته.

وفي مثل هذه الحالة يسقط الانسان في وحل الحيوانيّة، ويصبح همّه الأكل والشرب والنوم والشهوات.

وهذه كلّها عامل أساس للفسق والفجور، بل إنّ نسيان الذات هو من أسوأ مصاديق الفسق والخروج عن طاعة الله، ولهذا يقول سبحانه: «اولئك هم الفاسقون»^(١).

وما تجدر الإشارة إليه أنّه سبحانه لم يقل: «لا تنسوا الله» بل قال عزّ وجلّ: «ولا تكونوا كالذين نسوا الله» أي كاولئك الأشخاص الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم وفي الحقيقة ثمّة مصداق حسّي ونموذج ماثل أمام الجميع لمصير الذين نسوا الله وما يجزّه هذا النسيان من شقاء على الانسان.

نسيان الذات

إنّ نسيان الانسان ذاته ونفسه من أخطر الأمراض الأخلاقيّة التي تفتك في تكوينه النفسي وبنائه الروحي، ذلك ان هذا المرض الأخلاقي يدمّر شخصيّة الانسان ويسلخ الكائن البشري عن آدميّته فاذا هو أبشع ما يكون، أي انه سوف

١. تفسير الأمثل: ١٨/ ٢٠٨ - ٢٠٩.

ينحدر إلى ما دون المستوى الحيواني والبهيمي أي سوف يستحيل إلى كائن شيطاني .

والتوصيف القرآني على هذا الكائن الذي هو في ظاهره فقط يبدو كإنسان هو «الفاسق»^(١).

أجل أنّه عبارة عن مسخ مقرف تماماً وكائن لا يمت بصلة الإنسان ولا حتى للحيوان .

قيمة العمر

في نظر رجال الله أنّ العمر يكتسب قيمته عندما يكون في ذكر الله سبحانه وتعالى وطاعته والتسليم لأمره، وعندما يفعل الإنسان ذلك فإنه يتحول إلى كائن يعشق الخير والحق والجمال وتصبح حياته مفعمة بالفضيلة وتموج بالإنسانية .

١ . في يوم عاشوراء ظهر الشمر بن ذي الجوشن قريباً من معسكر سيّد الشهداء الحسين بن

علي عليه السلام وصاح :

أين بنو أختنا ؟ !

أين العباس وأخوته ؟ !

كان الشمر قد حصل على كتاب تمنح السلطة الأمويّة بموجبه العباس وأشقائه ضمانات بعدم التعرّض لهم إذا ما تركوا جبهة الحسين ! ولم يبد العباس أي اهتمام لنداء الشمر وهنا قال الامام الحسين لأخيه أبي الفضل العباس :

- أجيّبه وإن كان فاسقاً !

ولنا ان نتصوّر شخصيّة الفاسق الذي نسي الله فأنساه الله ذاته ونفسه انّ شخصيّة الشمر تجسيد لشخصيّة الفاسق بكلّ قسوتها وهمجيتها وسقوطها الأخلاقي وانسلاخها عن الآدميّة - المترجم .

يقول الامام السجاد زين العابدين عليه السلام:

وَعَمَّرْنِي مَا كَانَ عُمْرِي بِذِلَّةٍ فِي طَاعَتِكَ، فَإِذَا كَانَ عُمْرِي مَرْتَعًا لِلشَّيْطَانِ
فَأَقْبِضْنِي إِلَيْكَ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَ مَقْتُكَ إِلَيَّ، أَوْ يَسْتَحْكِمَ غَضَبُكَ عَلَيَّ. ^(١)

ولذا فإنه في ضوء معرفة الله فان اسلوب الأنبياء في الدعوة إلى الله عز وجل
أنهم يذكرون الانسان بفطرته ويثيرون مكانن التفكير في ذاته ويخاطبون عقله
ليفكر ومن خلال هذا التفكير يتوصل الانسان إلى معرفة الله .

يقول الامام علي عليه السلام:

فَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولَهُ وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ لِيَسْتَأْذِنُوا مِنْهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ وَيَذْكُرُواهُمْ
مَنْسَى نِعْمَتِهِ وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِغِ وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ. ^(٢)

والحقيقة أنه يمكن القول ان مجموع البرامج التربوية التي كان ينتهجها الأنبياء
في دعوة أقوامهم إلى التوحيد هي عبارة عن أربع مراحل:

١ - معرفة الله؛

٢ - معرفة القوى التي أودعها الله في داخل الانسان؛

٣ - معرفة التعاليم الالهية في الافادة من هذه القوى؛

٤ - معرفة العوامل التي تعيق الانسان على أداء مسؤوليته وتخرجه عن مساره
الانساني .

وهذه المراحل الأربع نجدها في حديث شريف للامام جعفر الصادق عليه السلام:

وَجَدْتُ عِلْمَ النَّاسِ كُلَّهُ فِي أَرْبَعٍ أَوَّلُهَا: أَنْ تَعْرِفَ رَبَّكَ وَالثَّانِي: أَنْ تَعْرِفَ

٢ . نهج البلاغة: الخطبة ١ .

١ . الصحيفة سجادية: دعاء ٢٠ .

مَاصِنَعُكَ وَالثَّالِثُ: أَنْ تَعْرِفَ مَا أَرَادَ مِنْكَ وَالرَّابِعُ: أَنْ تَعْرِفَ مَا يَخْرُجُكَ مِنْ دِينِكَ. (١)

والخلاصة: ان الانسان ومن أجل تحقيق سعادته الحقيقية ينبغي له الابعاد التي تؤلف شخصيته في جوانبها الحيوانية وابعادها الانسانية .
وهنا يتوجب عليه أن يقوم بضبط نفسه السيطرة على غرائزه وشهواته وذلك من خلال تحكيم العقل والمنطق والضمير .
فاذا اجتاز الانسان جميع المراحل وطواها يكون قد فاز في الامتحان وحصل على المعرفة الالهية وأن الله عز وجل وفقه للهدى وجعل من المقربين في رحابه وحينئذ سوف يصبح في أمان وساوس الشيطان .
قال الله عز وجل :

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾. (٢)

والطائف اسم فاعل من طاف يطوف، كأنها طافت بهم ودارت حولهم .
والطائف هو الذي يطوف ويدور حول الشيء فكأن وساوس الشيطان تدور حول فكر الانسان وروحه، كالطائف حول الشيء ليجد منفذاً إليه، فاذا تذكر الانسان في مثل هذه الحالة ربّه، واستعاذ من وساوس الشيطان وعاقبة أمره، أبعداها عنه وإلا أذعن لها وانقاد وراء الشيطان .
وأساساً فان كلّ انسان في آية مرحلة من الايمان أو أي عمر كان يبتلى

١ . الكافي: ٥٠ / ١؛ معدن الجواهر: ٤٣ . ٢ . سورة الأعراف (٧): ٢٠١ .

بوساوس الشيطان وربما أحسّ أحياناً أن في داخله قوّة مهيمنة تدفعه نحو الذنب وتدعوه إليه .

ولا شكّ أن مثل هذه الحالة من الوسوس في مرحلة الشباب أكثر منها في أيّة مرحلة أخرى ولا سيّما اذا كانت البيئة أو المحيط كما هو في العصر الحاضر من التحلّل والحرية لا الحرية بمعناها الحقيقي، بل ما يذهب إليه الحمقى من الانسلاخ من كلّ قيد والتزام أخلاقي أو اجتماعي أو ديني فتزداد الوسوس الشيطانية . وطريق النجاة الوحيد من هذا التلوّث والتحلّل في مثل هذه الظروف هو تقوية رصيد التقوى أولاً كما أشارت إليه الآية : «انّ الذين اتقوا...» ثمّ المراقبة والتوجّه نحو النفس والالتجاء إلى الله وتذكّر الطّافه ونعمه وعقابه الصّارم للمذنب .

وهناك اشارات كثيرة في الروايات الاسلاميّة إلى أثر ذكر الله العميق في معالجة الوسوس الشيطانية ، حتّى انّ الكثير من المؤمنين والعلماء وذوي المنزلة ، كانوا يحسّون بالخطر عند مواجهة وساوس الشيطان ، وكانوا يحاربونها بالمراقبة المذكورة في كتب علم الاخلاق بالتفصيل .

والوسوس الشيطانية مثلها مثل الجرائم الضارّة التي تبحث عن البقية الضعيفة لتنفيذ فيها الا ان الأجسام القويّة تطرد هذه الجرائم فلا تؤثّر فيها .

وجملة «فاذا هم مبصرون» اشارة إلى حقيقة أن الوسوس الشيطانية تلقي حجاباً على البصيرة «الباطنية» للانسان حتّى انه لا يعرف العدو من الصديق ولا الخير من الشرّ إلا أن ذكر الله يكشف الحجب ويزيد الانسان بصيرة وهدى ويمنحه القدرة على معرفة الحقائق والواقعيّات التي تخلصه من مخالب الوسوس الشيطانية» .^(١)

١ . تفسير الأمثل : ٥ / ٣٤٣ .

[﴿١٠﴾ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاكْفِنَا حَدَّ نَوَائِبِ الزَّمَانِ وَشَرَّ مَصَائِدِ الشَّيْطَانِ وَمَرَارَةَ صَوْلَةِ السُّلْطَانِ].

الأمان من حوادث الزمان وحبائل الشيطان وظلم السلطان

تشتمل الآيات القرآنيّة والروايات على تحذيرات للانسان في أخذ الحذر والحيلة من حوادث الدهر ونوائب الزمان وكذلك من شباك ومصائد الشيطان ومن شرور السلطان.

حوادث اجتماعيّة هي عاديّات الزمن وتحديّات فرديّة يواجهها الانسان خلال تفاعله مع الحياة اغراءات ورغبات ودنيا تعجّ بالمغريات وإلى جانب كلّ ذلك على الانسان أن ينظم علاقته ويكون حذراً في مواقفه السياسيّة.

إنّ الشخصيّة التي يهدف الاسلام إلى بنائها في كيان الفرد شخصيّة متوازنة تنهض على دعائم ثلاث: روح وعقل ووجدان الذي ضمير الانسان.

فبالروح ينظم علاقته مع الغيب وما وراء الطبيعة وبالعقل ينظم علاقته مع الطبيعة وبالوجدان والضمير ينظم علاقته الاجتماعيّة مع الناس.

وهو في كلّ ذلك يستضيء بنور الآيات وهدى الأحاديث الشريف والروايات.

وسلاح الانسان المؤمن الدعاء وقد جاء في الأثر الدعاء سلاح الأنبياء .
ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة فكم تحمل من العذاب في مكة وكم عانى
وقاسى ويأتيه الخطاب الالهي :

﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾. (١)

انّ الله سبحانه وتعالى يأمر رسوله ﷺ بالصبر أمام ما يتعرض له من الأذى
حيث الصبر الجميل يعني تحمل الكثير من الأذى فلا يشعر بالاحباط واليأس ولا
يشكو ما يصيبه إلا إلى الله. (٢)
وجاء في الروايات عن جابر :

قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام يَرْحَمُكَ اللَّهُ مَا الصَّبْرُ الْجَمِيلُ قَالَ ذَلِكَ صَبْرٌ لَيْسَ فِيهِ
شَكْوَى إِلَى النَّاسِ. (٣)

أجل انّ الصبر الجميل هو الثبات والصمود بوجه الحوادث .
قال الامام الصادق عليه السلام :

الْمُؤْمِنُ يُطَبِّعُ عَلَى الصَّبْرِ عَلَى النَّوَائِبِ. (٤)

وقال عليه السلام أيضاً :

السُّرُورُ فِي ثَلَاثٍ خِلَالٍ: فِي الْوَفَاءِ وَرِعَايَةِ الْحُقُوقِ وَ النُّهُوضِ فِي
النَّوَائِبِ. (٥)

-
- ١ . سورة المعارج (٧٠) : ٥ .
 - ٢ . بحار الأنوار : ٨٣ / ٦٨ ؛ الكافي : ٩٣ / ٢ .
 - ٣ . بحار الأنوار : ٨٣ / ٦٨ .
 - ٤ . بحار الأنوار : ٩٧ / ٦٨ ؛ مشكاة الأنوار : ٢٣ .
 - ٥ . بحار الأنوار : ٢٣٧ / ٧٥ ؛ تحف العقول : ٣٢٢ .

والصبر يمنح الانسان القوة والصلابة أمام أعاصير الزمن وطوفان الحوادث الزلزلة.

يقول الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام:

من توالى عليه نكبات الزمان اكتسبته فضيلة الصبر.^(١)

وقال عليه السلام:

ثَلَاثٌ بِهِنَّ يَكْمُلُ الْمُسْلِمُ التَّفَقُّهُ فِي الدِّينِ وَالتَّقْدِيرُ فِي الْمَعِيشَةِ وَالصَّبْرُ عَلَى النُّوَائِبِ.^(٢)

شباك الشيطان

يشير القرآن الكريم إلى أنّ الذين يتعرّضون إلى وساوس الشيطان ونزغ الأبالسة عليهم أن يستعينوا بالله وهنا تبرز التقوى كطاقة روحية عظيمة توفر للانسان غطاء واقياً ضد مصائد وشباك الشياطين:

﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾.^(٣)

الشيطان لا يتوقّف عن وساوسه وهو يكمن دائماً في دروب الحياة ويخطّط للايقاع بالمتّقين المؤمنين، انه لا يكف عن ملاحقتهم مستغلاً جميع الفرص وما أكثرها.

تارة يحاول الايقاع بالانسان التقى من خلال موقع اجتماعي أو منصب

١. غرر الحكم، حديث ٦٢٥٥. ٢. بحار الأنوار: ١/ ٢١٠.

٣. سورة الأعراف (٧): ٢٠١ - ٢٠٠.

سياسي حكومي وتارة اخرى من خلال الثروة والمال وتارة ثالثة من خلال الشهوات الجنسيّة.

ولهذا فهم يحومون حول القلوب ويطوفون حول النفوس وينفذون إلى أعماق البشر من خلال تأجيج غرائزهم الحيوانية ونوازعهم المادية.

ولهذا على الانسان أن يكون على حذر دائم ويقظة تامة ووعي عميق ذلك انه يكون في مأمن من وساوس الشيطان أبداً، وعليه ألا يغفل عن ذلك لحظة واحدة.

يقول الامام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام في احدى خطبه البليغة:

وَأَحْمَدُ اللَّهَ وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَاحِرِ الشَّيْطَانِ وَمَزَاجِرِهِ وَالْإِعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ
وَمَخَاتِلِهِ. (١)

ويقول عليه السلام في مناسبة أخرى:

فَاَحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ عَدُوَّ اللَّهِ أَنْ يُغْدِيَكُمْ بِدَائِهِ وَأَنْ يَسْتَفْرِّكُمْ بِدَائِهِ وَأَنْ يُجْلِبَ
عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوْقَ لَكُمْ سَهْمُ الْوَعِيدِ وَاعْرَقَ لَكُمْ بِالنَّزْعِ
الشَّدِيدِ، وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ. (٢)

وجاء في مواعد الامام جعفر الصادق عليه السلام لأحد أصحابه ويدعى عبدالله بن جندب:

يَا ابْنَ جُنْدَبٍ إِنَّ لِلشَّيْطَانِ مَصَائِدَ يَصْطَادُ بِهَا فَتَحَامُوا شِبَاكَهُ وَ مَصَائِدَهُ.
قُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَ مَا هِيَ؟

قَالَ: أَمَّا مَصَائِدُهُ فَصَدُّ عَنْ بَرِّ الْإِخْوَانِ وَأَمَّا شِبَاكُهُ فَتَنُومٌ عَنْ قَضَاءِ الصَّلَوَاتِ

١. نهج البلاغة: الخطبة ١٥١.

٢. نهج البلاغة: الخطبة ٢٣٤، الخطبة القاصعة.

الَّتِي قَرَضَهَا اللَّهُ، أَمَا إِنَّهُ مَا يُعْبُدُ اللَّهُ بِمِثْلِ نَقْلِ الْأَقْدَامِ إِلَى بَرِّ الْإِخْوَانِ وَ
زِيَارَتِهِمْ، وَيُلِّ لِلشَّاهِدِينَ عَنِ الصَّلَوَاتِ، النَّائِمِينَ فِي الْخَلَوَاتِ الْمُسْتَهْزِئِينَ
بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ فِي الْفَقَرَاتِ. (١)

شُرور الحاكم الظالم

إنَّ من المآسي التي يتعرَّض لها الإنسان المؤمن هو أن يحيا ويعيش في ظلِّ
سلطة ظالمة وحكام جائرين، ذلك أنَّ الإنسان معرض للخطر في كلا الحالتين
حالة المعارضة وحالة الموالاتة بل أنَّ الحالة الأخيرة تعدُّ وبالأعلى على الإنسان
المؤمن لأنَّها تسحق روحه وتقوده إلى الهلاك الأبدي.

يقول الرسول الأكرم ﷺ:

إِيَّاكُمْ وَمُخَالَطَةَ السُّلْطَانِ فَإِنَّهُ ذَهَابُ الدِّينِ وَإِيَّاكُمْ وَمَعُونَتَهُ

فَإِنَّكُمْ لَا تَحْمِدُونَ مَعُونَتَهُ. (٢)

أجل أنَّ نظام الحكم المستبد الجائر يشكل خطراً على حياة الإنسان المؤمن
الروحية، وفي حالة التعاون معه ومساندته فإن ذلك يجره إلى الضياع والسقوط
في الهاوية.

يقول الامام علي أمير المؤمنين في وصيَّته إلى نجله سبط رسول الله ﷺ

الحسن عليه السلام:

١. بحار الأنوار: ٢٨٠/٧٥؛ تحف العقول: ٣٠١.

٢. بحار الأنوار: ٣٦٨/١٠.

بَاعِدِ السُّلْطَانَ لِتَأْمَنَ خُدَعُ الشَّيْطَانِ.^(١)

ويقول عليه السلام في حكمة من حكمه البليغة:

صاحب السلطان كراكب الأسد، يغبط بموقعه وهو أعلم بموضعه.^(٢)

١. بحار الأنوار: ٢١٧/٧٤؛ مستدرک الوسائل: ٣٠٨/١٢.

٢. نهج البلاغة: الحكمة ٢٦٣.

[﴿١١﴾ اَللّٰهُمَّ اِنَّمَا يَكْتَفِي الْمَكْتُفُونَ بِفَضْلِ قُوَّتِكَ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَآكِفِنَا وَاِنَّمَا يُعْطِي الْمُعْطُونَ مِنْ فَضْلِ جِدَّتِكَ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَآعْطِنَا وَاِنَّمَا يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ بِنُورِ وَجْهِكَ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاهْدِنَا].

القناعة ذلك الرزق العظيم

من أجل فهم أفضل لكفاية الله عزّ وجلّ عباده المؤمنين أن نتأمل فيما يلي من السطور:

ان الانسان مخيّر وهذه حقيقة ناصعة، ذلك اننا ندرك بالفطرة فمسألة الارادة مسألة وجدانية فطريّة، فنحن مرتبطون مع النظام الأحسن من جهتين:

الأولى: أننا نعيش ضمن هذا النظام في اطار من الحرية في اتخاذ القرار يعني مع احتفاظنا بالارادة وهذه الارادة هي هبة الله لنا فهي ليست ذاتيّة وإنّما هي مشيئة الله عزّ وجلّ متى شاء سلبها منا.

الثانية: انّ النظام هو في يد الانسان وأنّ الانسان هو مظهر النظام الأحسن، أو على الأقل ينطوي على قابليّة أن يكون المظهر للنظام الأحسن واذن فنحن من هذه الجهة الناظم وعليه يجب أن نبذل قصارى الجهد في هذا النظام وعلى أفضل نحو ممكن لنحوز الوصف الفردي والجمعي الأفضل للنظام الأحسن في ظرف الاختيار.

إنّ النظام الأحسن في الظرف الظهوري من هذه الجهة هو ظهور حسن وجمال الحق ولكن من جهة المقايسة مع الكمال الذاتي ، عن العين النقص فقير .
والمعصوم في ظرف الاختيار - فضلاً عن التكوين - بلحاظ العصمة من جهة التشريع هو أيضاً مظهر تام للنظام الأحسن .
وغير المعصوم أن يكون ويقدر استطاعة مظهر عصمة المعصوم في جهة النظام الأحسن .

وفي حالة فعلية الذنب عليه أن يدرك أن الذنب يوجد اختلالاً في النظام الأحسن .

ومن هنا فإن بعض المعضلات والمشاكل والبلايا التي تحلّ بالإنسان توجب عليه أن يعيد النظر في أعماله بدل الاعتراض على الحق والنظام الأحسن الإلهي .
قال الله تبارك وتعالى :

﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ * ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾^(١)

إن القوة (القابلية) على الكمال تطلق القدرة ولأنّ الله عزّ وجلّ هو مرتكز جميع الكائنات ومصدر الفيض بجميع القابليات والاستعدادات اذن فهو الواهب لكلّ شيء يحتاج إلى كمال قدرته وانه لقانون عام يوجب منح الحياة الطيبة لكلّ من يعمل صالحاً وهو متوفر على شرط الايمان .

قال تعالى :

١. سورة النحل (١٦) : ٥٣ - ٥٤ .

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١).

إن الوليد الذي ينجم عن اقتران الايمان بالعمل الصالح هو الحياة الهائنة الطيبة المباركة الخالدة أي التي لن تنتهي بنهاية الحياة الدنيا وإنما تستمر في العالم الآخر على نحو أوسع وأشمل لأنها ستكون مفعمة بالصفاء والطمأنينة والسلام.

الحياة الطيبة

ذهب المفسرون في تفسير معنى «الحياة الطيبة» إلى عدد من المعاني من قبيل: الرزق الحلال القناعة، الرزق المتواصل المستمر، العبادة المقترنة بالرزق الحلال، التوفيق لطاعة الله عز وجل و...

واذن فان مفهوم الحياة الطيبة يتسع لكثير من المعاني ذات الصلة بالحياة الدنيا، بينما يرتبط الجزاء الأحسن بالآخرة.

يقول الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام:

كَفَى بِالْقَنَاعَةِ مُلْكًا وَبِحُسْنِ الْخُلُقِ نَعَمِيًّا وَ سُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ فَقَالَ: هِيَ الْقَنَاعَةُ^(٢).

ولا ينحصر مفهوم الحياة الطيبة بهذا المعنى وإنما هو بيان لأحد مصاديق وابعاد هذه الحياة إلا انه يعد المصداق الأبرز والأوضح، ذلك ان الانسان لو أعطي الدنيا كلها وسلب روح القناعة فانه لن يهنأ له عيش أبداً بسبب القلق والحرص والبخل على عكس الانسان الذي يتحلّى بروح القناعة فانه معافى من تلك الأمراض التي

١. سورة النحل (١٦): ٩٧.

٢. نهج البلاغة: الحكمة ٢٢٩.

تمزق روح الانسان .

يقول الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته المعروفة بـ «القاصعة» :

وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذَّهَبَانِ
وَمَعَادِنِ الْعَقِيَانِ وَمَغَارِسِ الْجَنَانِ وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طَيْرَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ
الْأَرْضِ لَفَعَلَ وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ وَبَطَلَ الْجَزَاءُ وَاضْمَحَلَّ الْأَنْبَاءُ وَلَمَّا وَجِبَ
لِلْمُقَابِلِينَ أَجُورُ الْمُبْتَلَيْنِ وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ وَلَا لَزِمَتْ
الْأَسْمَاءُ مَعَانِيهَا وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رَسُولَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ
وَضَعْفَةً فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ خَالَاتِهِمْ مَعَ قَنَاعَةٍ تَمَلُّ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونُ غِنًى
وَحَصَاصَةً تَمَلُّ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعُ أَدًى. ^(١)

وقال عليه السلام:

ابْنُ آدَمَ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ مِنَ الدُّنْيَا مَا يَكْفِيكَ فَإِنَّ أَيْسَرَ مَا فِيهَا يَكْفِيكَ وَإِنْ كُنْتَ
إِنَّمَا تُرِيدُ مَا لَا يَكْفِيكَ فَإِنَّ كُلَّ مَا فِيهَا لَا يَكْفِيكَ. ^(٢)

وقال عليه السلام يعظ ابنه الحسين سيّد الشهداء عليه السلام:

لَا مَالَ أَذْهَبَ بِالْفَاقَةِ مِنَ الرِّضَا بِالْقُوتِ وَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَى بُلْغَةِ الْكَفَافِ تَعَجَّلَ
الرَّاحَةَ وَتَبَوَّأَ خَفْضَ الدَّعَةِ. ^(٣)

وسئل الامام علي بن موسى الرضا عن معنى القناعة فقال عليه السلام:

الْقَنَاعَةُ تَجْتَمِعُ إِلَى صِيَانَةِ النَّفْسِ وَعِزِّ الْقَدْرِ وَطَرَحِ مُؤْنِ الْاسْتِكْنَارِ وَالتَّعَبُّدِ

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢. ٢. الكافي: ٢/ ١٣٨.

٣. بحار الأنوار: ٧٤/ ٢٤٠؛ الكافي: ٨/ ١٩.

لَأَهْلِ الدُّنْيَا وَلَا يَسْلُكَ طَرِيقَ الْقَنَاعَةِ إِلَّا رَجُلَانِ إِمَّا مُتَعَلِّلٌ يُرِيدُ أَجْرَ الْآخِرَةِ
أَوْ كَرِيمٌ مُنْتَزِعٌ عَنِ لِبَاسِ النَّاسِ. ^(١)

الفضل والجود الالهيين

التسابق في الفضيلة يعني التنافس والتسابق في التفوق في العلم والأدب
والكمال والمعرفة والسخاء والكرم والعطاء.

والدنيا حلبة وميدان للسباق من أجل كسب الفضائل، وكل إنسان يسعى
لتحصيل نصيبه، فالدنيا مزرعة الآخرة.

وفي باب الفقر والغنى يطلب الإنسان من ربه وخالقه وسيده ومولاه مالكة أن
يغنيه من فضله وجوده وواسع رحمته، لهذا فهو يطلب منه:

١ - الغنى الظاهري، من مال وثروة وامكانيات دنيوية فلا يحتاج أن يمدّ يده
إلى غيره، فهو يطلب من بحر الجود ومعدن الكرم والفضل اللامتناهي والغني
المطلق.

٢ - الغنى الباطني: حيث يطلب الإنسان المؤمن اثراء روحه وتعزيز ايمانه فلا
يسأل إلا من الله عز وجل.

يقول الامام عليّ عليه السلام في تعقيبه بعد الصلاة:

اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيُسَارِ وَلَا تَبْذُلْ جَاهِي بِالْإِقْتَارِ فَاسْتَرْزِقْ طَالِبِي رِزْقِكَ
وَأَسْتَغْطِفْ شِرَارَ خَلْقِكَ وَأُبْتَكَ بِحَمْدٍ مَنْ أَعْطَانِي وَأُقْتَتِنَ بِذَمٍّ مَنْ مَنَعَنِي
وَأَنْتَ مَنْ وَرَاءَ ذَلِكَ كُلِّهِ وَلِيَّ الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. ^(٢)

١. بحار الأنوار: ٣٤٩/٧٥.

٢. نهج البلاغة.

وعندما يقدّم المعصومون طعامهم إلى الجياع ويؤثرون الأسير والفقير واليتيم على أنفسهم فأنما يفعلون ذلك من أجل الله وحده.

﴿إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾. (١)

ولا يقتصر ذلك على الاطعام فقط وإنما يمتدّ ليشمل كلّ نواحي الحياة، وهذا يعبر عن رسوخ الايمان في نفوسهم ومعرفتهم اليقينية بأنّ الله عزّ وجلّ هو منبع الفضل والجود والرحمة والعطاء.

الجواد عند الامام الرضا عليه السلام

فقد جاء في الروايات أن أحدهم سأل الامام عليّ الرضا عليه السلام وكان يطوف حول بيت الله :

فَقَالَ لَهُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْجَوَادِ فَقَالَ إِنَّ لِكَلَامِكَ وَجْهَيْنِ فَإِنْ كُنْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْمَخْلُوقِ فَإِنَّ الْجَوَادَ الَّذِي يُؤَدِّي مَا افْتَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَالْبَخِيلُ مَنْ بَخَلَ بِمَا افْتَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَإِنْ كُنْتَ تَعْنِي الْخَالِقَ فَهُوَ الْجَوَادُ إِنْ أُعْطِيَ وَهُوَ الْجَوَادُ إِنْ مَنَعَ لِأَنَّهُ إِنْ أُعْطِيَ عَبْدًا أَعْطَاهُ مَا لَيْسَ لَهُ وَإِنْ مَنَعَ مَنَعَ مَا لَيْسَ لَهُ. (٢)

الجود عند الامام الصادق عليه السلام

وقد بيّن الامام جعفر الصادق مفهوم الجود لأحد أبنائه قائلاً:

يَا بُنَيَّ إِذَا طَلَبْتَ الْجُودَ فَعَلَيْكَ بِمَعَادِنِهِ؛ فَإِنَّ لِلْجُودِ مَعَادِينَ وَ لِلْمَعَادِينَ أُصُولًا، وَ لِلأُصُولِ فُرُوعًا، وَ لِلْفُرُوعِ ثَمَرًا وَ لَا يَطِيبُ ثَمَرٌ إِلَّا بِفَرْعٍ وَ لَا فَرْعٌ إِلَّا بِأَصْلٍ وَ

١. سورة الانسان (٧٦) : ٩.

٢. بحار الأنوار : ٦٨ / ٣٥١.

لَا أَصِلُ إِلَّا بِمَعْدِنٍ طَيِّبٍ. (١)

وقد اقتبس الامام الصادق هذه المعاني الرائعة من حديث جدّه الرسول الأكرم ﷺ في اخباره المسلمين أن أجود الأجودين هو الله عزّ وجلّ وأنه ﷺ أجود الناس ورجل تعلم علماً ونشره فانه يبعث يوم القيامة أمة ورجل نذر نفسه لله حتّى قتل في سبيله. (٢)

والجود والعطاء والسخاء يكسب الانسان محبوبية كبيرة لدى المجتمع ولقد كان الامام الحسين عليه السلام يتصدّق بنصف ممتلكاته سنوياً وفي أواخر عمر تنازل لصالح الفقراء عن كلّ ممتلكاته ثلاث مرّات.

يقول والده العظيم:

جُودُوا فِي اللَّهِ وَ جَاهِدُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى طَاعَتِهِ يُعْظِمَ لَكُمْ الْجَزَاءَ وَ يُحَسِّنَ لَكُمْ

الْحَبَاءَ. (٣)

المهتدون بنور وجه الله

يقول الامام السجاد عليه السلام في هذا المقطع من الدعاء: «إِنَّمَا يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ بِنُورِ وَجْهِكَ» ولما بعث الله موسى بن عمران ومعه أخاه هارون إلى فرعون حاكم مصر قالوا نحن رسل ربك لترسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية منه والسلام على من اتبع الهدى:

١. بحار الأنوار: ٢٠١/٧٥؛ كشف الغمة: ١٥٨/٢.

٢. كنز العمال: ١٥١/١٠؛ الجامع الصغير: ٤٣٩/١.

٣. غرر الحكم: ٣٧٩.

فقال فرعون: فمن ربكما يا موسى؟!

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾. (١)

وفي هذه الآية فان كلام موسى يتضمن نقطتين أساسيتين في مسألة الخلق الالهي:

الأول: ان الله منح كل شيء خلقه، ما يحتاج في حياته واستمراره في الحياة.

الثانية: ان هداية جميع الكائنات هي بيده سبحانه.

الانسان يشتمل على الهداية التكوينية وهدايته التشريعية من خلال الأنبياء والرسل، ولذا يتعين متابعتهم والسير على هداهم.

تفسير الآية لدى الطباطبائي رحمته الله

يقول العلامة الطباطبائي في تفسير الآية الكريمة:

يؤول المعنى إلى القائه الرابطة بين كل شيء بما جهز به في وجوده من القوى والآلات وبين آثاره التي تنتهي به إلى غاية وجوده، فالجنين من الانسان مثلاً وهو نطفة مصورة بصورته مجهز في نفسه بقوى وأعضاء تناسب من الأفعال والآثار ما ينتهي به إلى الانسان الكامل في نفسه وبدنه، فقد أعطيت النطفة الانسانية بما لها من الاستعداد خلقها الذي يخصصها، وهو الوجود الخاص بالانسان، ثم هديت وسيّرت بما جهّزت به من القوى والأعضاء نحو مطلوبها وهو غاية الوجود الانساني والكمال الأخير الذي يختص به هذا النوع. (٢)

١. سورة طه (٢٠): ٥٠.

٢. تفسير الميزان: ٤/ ١٦٦ - ١٦٧ ذيل الآية ٥٠ من سورة طه.

الهداية والارادة الالهية

في الكثير من الآيات القرآنية إشارة واضحة جداً وهي ان الهداية بيد الله عز وجل، حتى رسوله ﷺ ليس بمقدوره شيء إنما هو وسيلة فقط بيد الهادي عز وجل.

قال تعالى:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾. (١)

والهداية هي السير في الطريق الصحيح الذي يوصل إلى الهدف المنشود وحياة النعيم الأبدي والخلود.

وهناك يكافأ الانسان المؤمن روحياً ومادياً؛ روحياً من خلال تطهير باطنه من كل أنواع الغل والكرهية ومن جميع الأمراض الأخلاقية من حسد وحقد وحرص ومادياً بالحوار العيني وبالسكنى في قصور فارهة وسط جنات واسعة وقد امتلأت نفوسهم بالرضا والبهجة والسعادة.

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. (٢)

وجاء في الحديث النبوي الشريف:

قال الله جل جلاله: عبادي كلُّكم ضالُّ إلا من هديته و كلُّكم فقير إلا من أغنيته،

١. سورة القصص (٢٨): ٥٦.

٢. سورة الأعراف (٧): ٤٣.

وَكُلُّكُمْ مُذْنِبٌ إِلَّا مَنْ عَصَمَتْهُ. ^(١)

كما جاء في الروايات:

وَرُوِيَ أَنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَرَجَ مُصْحَرًا مُنْفَرِدًا فَأَوْحَى إِلَيْهِ يَا دَاوُدُ مَا لِي أَرَاكَ
وَحَذَانِيًا فَقَالَ إِلَهِي اشْتَدَّ الشَّوْقُ مِنِّي إِلَى لِقَائِكَ وَحَالَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ خَلْقُكَ
فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَإِنَّكَ إِنْ تَأْتِنِي بَعْدَ آبِقِ اثْبَتَكَ فِي اللُّوحِ حَمِيدًا. ^(٢)

ويقول الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مِنْ اسْتَنْصَحَ اللَّهَ وَفَقَّ وَ مِنْ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلًا هُدًى لِلَّتِي هِيَ
أَقْوَمُ. ^(٣)

ويقول عليه السلام أيضاً:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِي غِنَاكَ أَوْ أَضِلَّ فِي هُدَاكَ أَوْ أُضَامَ فِي سُلْطَانِكَ
أَوْ اضْطَهَّدَ وَالْأَمْرُ لَكَ. ^(٤)

اللهم فلا تحرمنا من رحمتك ومن فضلك وجودك.

فَهَبْنِي يَا إِلَهِي صَبْرْتُ عَلَى عَذَابِكَ فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَلَى فِرَاقِكَ؟! ^(٥)

يا من سموت عن الخيال	ووهم أقيسة العقول
وعن الذي كنا قرأنا	عنك من ضافي الفضول
قد تمّ مجلسنا ووافى	العمر منزلة الأفل
وكما بدأننا لم نزل	بنهاية الوصف الجميل

١. بحار الأنوار: ١٩٨/٥؛ من لا يحضره الفقيه: ٣٩٧/٤.

٢. بحار الأنوار: ٤٠/١٤. ٣. نهج البلاغة: الخطبة ١٤٧.

٤. نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٦.

٥. مصباح المتهجد: ٨٤٧، دعاء كميل؛ البلد الأمين: ١٩٠.

[﴿١٢﴾ اَللّٰهُمَّ اِنَّكَ مَنْ وَالَيْتَ لَمْ يَضُرُّهُ خِذْلَانُ الْخٰذِلِيْنَ وَمَنْ اَعْطَيْتَ لَمْ يَنْقُصْهُ مَنَعُ الْمٰنِعِيْنَ وَمَنْ هَدَيْتَ لَمْ يُغْوِهِ اِضْلَالُ الْمُضِلِّيْنَ فَصَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّآلِهِ .
﴿١٣﴾ وَامْنَعْنَا بِعِزِّكَ مِنْ عِبَادِكَ وَاَغْنِنَا عَنْ غَيْرِكَ بِإِزْفَادِكَ وَاسْلُكْ بِنَا سَبِيلَ الْحَقِّ بِإِزْشَادِكَ].

نور لا يعرف الانطفاء

منذ فجر التاريخ البشري والطغاة يسعون إلى اطفاء النور الالهي ، اضطهاد وقهر وعذاب وتعذيب واعتقال وحبس وسجن وابعاد ونفي وكان المؤمنون بالله عزوجل يعانون الأمرين من جبايرة العصور وطغاة الدهور الذين ما انفكوا ينفخون بأفواههم لاطفاء نور النبوات الالهية ، غير ان النور الالهي لا يعرف الانطفاء ، وأن دين الله الحق شمس لا تغيب أبداً .

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّأ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ .^(١)

ومهما سعى أعداء الحق والحقيقة في نشر الظلام فان عباد الله الصالحين سوف

يكسبون الجولة الأخيرة من الصراع المثير بين الحق والباطل والنور والظلام
والمعرفة الإلهية والجهل.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ
الصَّالِحُونَ﴾. (١)

أجل سوف يسيطر عباد الله الصالحون على الأرض ويرفعون لواء العدالة
ويسود السلام وترتفع عالياً راية الاسلام.

[﴿١٤﴾ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْ سَلَامَةَ قُلُوْبِنَا فِي ذِكْرِ عَظَمَتِكَ وَفَرَاغِ
اَبْدَانِنَا فِي شُكْرِ نِعْمَتِكَ وَانْطِلَاقِ اَلْسِنَتِنَا فِي وَصْفِ مِثَّتِكَ].

سلامة القلب

ان ذكر الله مع كلّ نبضة من نبضاته وخفقة من خفقاته هو من توفيقات الله عزّ وجلّ حيث يطمئنّ الانسان - لأن ذكر الله هو الذي يبعث في القلب السكينة والطمأنينة والشعور بالسلام «ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب».

يقول الامام السجاد (عليه السلام) في هذا المقطع من الدعاء: «وَاجْعَلْ سَلَامَةَ قُلُوْبِنَا فِي
ذِكْرِ عَظَمَتِكَ».

ان ذكر الله يعمل على ترشيد حركة الانسان ووضعه في مسار مستقيم يفضي به إلى الكمال المنشود، لأن الطريق الالهي لا يسلكه إلا ذوي القلوب المطمئنّة والطاهرة النقية.

القلوب التي ليس فيها غير حبّ الله تبارك وتعالى .

قال تعالى :

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(١).

والقلب السليم هو القلب المبرأ من الأمراض النفسية والآفات الأخلاقية.

يقول الامام الصادق عليه السلام في توضيحه الآية الكريمة لمن سألته:

سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ قَالَ الْقَلْبُ السَّلِيمُ الَّذِي

يَلْقَى رَبَّهُ وَلَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ سِوَاهُ وَقَالَ وَكُلُّ قَلْبٍ فِيهِ شِرْكٌ أَوْ شَكٌّ فَهُوَ سَاقِطٌ

وَإِنَّمَا أَرَادُوا الرُّهْدَ فِي الدُّنْيَا لِيَتَفَرَّغَ قُلُوبُهُمْ لِآخِرَةٍ^(٢).

وقال عليه السلام أيضاً:

إِغْرَابُ الْقُلُوبِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ: رَفَعٍ وَفَتْحٍ وَخَفْضٍ وَوَقْفٍ، فَرَفَعَ الْقَلْبُ فِي

ذِكْرِ اللَّهِ وَفَتْحَ الْقَلْبُ فِي الرِّضَا عَنِ اللَّهِ، وَخَفَضَ الْقَلْبُ فِي الْإِشْتِغَالِ بِغَيْرِ اللَّهِ،

وَوَقَفَ الْقَلْبُ فِي الْعَقْلَةِ عَنِ اللَّهِ^(٣).

وجاء في الحديث القدسي الشريف:

أَيُّمَا عَبْدٍ أَطَّلَعْتُ عَلَى قَلْبِهِ فَرَأَيْتُ الْغَالِبَ عَلَيْهِ التَّمَسُّكَ بِذِكْرِي تَوَلَّيْتُ

سِيَاسَتَهُ وَكُنْتُ جَلِيسَهُ وَمُحَادِثَهُ وَأَنْيَسَهُ^(٤).

وفي هذا ترجمة لمعاني قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ

الْقُلُوبُ﴾^(٥).

١. سورة الشعراء (٢٦): ٨٨ - ٨٩. ٢. بحار الأنوار: ٢٣٩/٦٧.

٣. بحار الأنوار: ٥٥/٦٧؛ مستدرک الوسائل: ١٦٩/١٢.

٤. بحار الأنوار: ١٦٢/٣٠. ٥. سورة الرعد (١٣): ٢٨.

والذكر الحقيقي لا يمت بصلة بالذكر بقلقة اللسان دون حضور للقلب .

يقول الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام :

الذِّكْرُ ذِكْرَانِ: ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ وَ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ذِكْرُ اللَّهِ عِنْدَ مَا حَرَّمَ عَلَيْكَ فَيَكُونُ حَاجِزًا^(١).

وجاء في السيرة النبوية الشريفة :

الْتَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اتَّخِذُوا جَنَنًا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِنْ عَدُوٍّ قَدْ أَظْلَمْنَا؟ قَالَ: لَا وَلَكِنْ مِنَ النَّارِ قُولُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ^(٢).

ويقول الامام السجاد عليه السلام في مقطع من أدعيته ومناجاته :

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاجْعَلْنَا مِنْ سَهْلَتِ لَهُ طَرِيقَ الطَّاعَةِ بِالتَّوْفِيقِ فِي مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ فَحْيُوا وَقُرُّبُوا وَأَكْرِمُوا وَزَيِّنُوا بِخِدْمَتِكَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ أُرْسِلَتْ عَلَيْهِمْ سُنُورُ عِصْمَةِ الْأَوْلِيَاءِ وَخَصَصْتَ قُلُوبَهُمْ بِطَهَارَةِ الصَّفَاءِ وَزَيَّنْتَهَا بِإِلْفِهِمِ وَالْحَيَاءِ فِي مَنْزِلِ الْأَصْفِيَاءِ^(٣).

السلامة البدنية في شكر المنعم

ان شكر المنعم له جذور قويّة في الفطرة الانسانية وقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها، هكذا جبل الانسان؛ أنّه في أعماقه يشعر بالامتنان لمن

١. الكافي: ٩٠/٢؛ وسائل الشيعة: ٢٣٧/١٥.

٢. بحار الأنوار: ١٧١/٩٠. ٣. بحار الأنوار: ١٢٨/٩١.

يحسن إليه فالمنعم له فضل وشكره واجب أخلاقي أكيد.

ومن هنا فان الكفران والاعراض عن العبادة والعبودية والشكر للخالق الرحمن له جذور في كفران النعم وانكار المنعم الحقيقي ، يعني القاء ستار سميك فوق حقيقة الفطرة وحرمان من فيض الحق تبارك وتعالى .

يشير القرآن الكريم وبعد أن يعدد نعم الله تبارك وتعالى المادية إلى النعم المعنوية :

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ (١)

فالنعم المادية والهبات الدنيوية دائماً تمتزج مع حالات من الاضطراب والتقلب يلاحقها هاجس الزوال والقلق من زوالها ، ومن هنا تأتي أهمية الايمان بالعالم الآخر ومسراته الخالدة .

ولذا فان دعاء المؤمنين يوم القيامة هو قولهم الحمد لك يا رب فقد اذهبت عنا هواجس الحزن وهموم الدنيا ، ولك الحمد أن أسكنتنا دار الخلود في عالم مفعم بالاستقرار والطمأنينة عالم خالد يسوده السلام .

الحياة الدنيوية مليئة بالمنعطفات والتقلبات والمنغصات بينما الحياة في الدار الآخرة والعالم الآخر فهي على العكس تماماً أنها حياة طيبة هائلة مليئة بالخيرات وليس للشروع فيها من أثر؛ انها حياة رائعة ومثالية ذلك ان الانسان في العالم

الآخر يتمتع بصحة نفسية مثالية فلا قلق ولا هواجس ولا شعور بالخوف من مرض أو من بطش الأنظمة السياسية الجائرة ولا من تلك النهاية المبهمة عندما يحين الأجل فلا موت في ذلك العالم وإنما حياة خالدة وشباب دائم.

جاء في كتب الحديث المعتمدة:

عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام هَلْ لِلشُّكْرِ حَدٌّ إِذَا فَعَلَهُ الْعَبْدُ كَانَ شَاكِرًا قَالَ نَعَمْ قُلْتُ مَا هُوَ قَالَ يَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ نِعْمَةٍ عَلَيْهِ فِي أَهْلٍ وَمَالٍ وَإِنْ كَانَ فِيمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ فِي مَالِهِ حَقٌّ أَدَّاهُ وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ وَقَوْلُهُ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا. ^(١)

وجاء في الحديث النبوي الشريف قوله صلى الله عليه وسلم:

طُوبَى لِمَنْ أَسْلَمَ وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَوْلُهُ سَدَادًا. ^(٢)

وقال الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام:

وَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَى بُلْغَةِ الْكَفَافِ فَقَدْ انْتَضَمَ الرَّاحَةُ، وَتَبَوَّأَ حَقُّصَ الدَّعَةِ. ^(٣)

وقال عليه السلام أيضاً:

مَا أَعْجَبَ هَذَا الْإِنْسَانَ مَسْرُورٌ بِدَرْكِ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَقُوتَهُ مَحْزُونٌ عَلَى قُوْتِ مَا لَمْ

١. بحار الأنوار: ٦٨/٢٩.

٢. بحار الأنوار: ٦٩/٦٧؛ الكافي: ١٤٠/٢.

٣. نهج البلاغة: الحكمة ٣٧١.

يَكُنْ لِيُذِرْكَهُ وَلَوْ أَنَّهُ فَكَّرَ لَأَبْصَرَ وَعَلِمَ أَنَّهُ مُدَبَّرٌ وَأَنَّ الرِّزْقَ عَلَيْهِ مُقَدَّرٌ
وَلَا قُتَصَرَ عَلَى مَا تَيْسَّرَ وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِمَا تَعَسَّرَ. (١)

وجاء في حديث المعراج الشريف :

يَا أَكْثَمُ هَلْ تَذَرِي أَيُّ عَيْشٍ أَهْنًا وَأَيُّ حَيَاةٍ أَبْقَى قَالَ اللَّهُمَّ لَا قَالَ أَمَّا الْعَيْشُ
الْهَنِيُّ فَهُوَ الَّذِي لَا يَفْتُرُ صَاحِبُهُ عَنْ ذِكْرِي وَلَا يَنْسَى نِعْمَتِي وَلَا يَجْهَلُ حَقِّي
يَطْلُبُ رِضَايَ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ وَأَمَّا الْحَيَاةُ الْبَاقِيَّةُ فَهِيَ الَّتِي يَعْمَلُ لِنَفْسِهِ
حَتَّى تَهْوَنَ عَلَيْهِ الدُّنْيَا وَتَصْغُرَ فِي عَيْنِهِ وَتَعْظُمَ الْآخِرَةُ عِنْدَهُ وَيُؤَثِّرَ هَوَايَ
عَلَى هَوَاهُ وَيَبْتَغِي مَرْضَاتِي وَيُعْظِمَ حَقَّ عَظَمَتِي وَيَذْكُرَ عِلْمِي بِهِ وَيُرَاقِبُنِي
بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ عِنْدَ كُلِّ سَيِّئَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ وَيُنَقِّي قَلْبَهُ عَنْ كُلِّ مَا أَكْرَهُ وَيُبْغِضَ
الشَّيْطَانَ وَوَسَاوِسَهُ وَلَا يَجْعَلَ لِابْلِيسَ عَلَى قَلْبِهِ سُلْطَانًا وَسَبِيلًا فَإِذَا فَعَلَ
ذَلِكَ أَسْكَنْتُ قَلْبَهُ حُبًّا حَتَّى أَجْعَلَ قَلْبَهُ لِي وَفِرَاعَهُ وَاشْتِعَالَهُ وَهَمَّهُ وَحَدِيثَهُ
مِنْ النِّعْمَةِ الَّتِي أَنْعَمْتُ بِهَا عَلَى أَهْلِ مَحَبَّتِي مِنْ خَلْقِي وَأَفْتَحَ عَيْنَ قَلْبِهِ
وَسَمْعِهِ حَتَّى يَسْمَعَ بِقَلْبِهِ وَيَنْظُرَ بِقَلْبِهِ إِلَى جَلَالِي. (٢)

ويقول إمام العارفين واسوة السالكين في توصيف السالكين لطريق الله :

قَدْ أَحْيَى عَقْلَهُ وَأَمَاتَ نَفْسَهُ حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ وَلَطَفَ غَلِيظُهُ وَبَرَقَ لَهُ لَامِعُ
كَثِيرُ الْبَرْقِ فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ وَتَدَافَعَتْهُ الْأَبْوَابُ إِلَى بَابِ
السَّلَامَةِ، وَدَارَ الْإِقَامَةِ وَثَبَّتَتْ رِجْلَاهُ بِطُمَأْنِينَةٍ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ الْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ،
بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ، وَأَرْضَى رَبَّهُ. (٣)

٢. بحار الأنوار : ٢٨/٧٤.

١. بحار الأنوار : ٥٤/٧٥.

٣. نهج البلاغة: الخطبة ٢١٠.

حركة اللسان في بيان عطايا الرحمن

دعا سيّدنا موسى بن عمران عليه السلام الله عزّ وجلّ أن يمنحه قدرة البيان من أجل بيان رسالة الله سبحانه:

﴿وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَقْفَهُوا قَوْلِي﴾. (١)

فأيّده سبحانه وتعالى بوزير يعاضده في دعوته قوي البيان فصيح اللسان وهو شقيقه ووزيره وشريكه في ابلاغ رسالات الله هارون عليه السلام. فشكرا الله عزّ وجلّ على نعمه وفضله:

﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾. (٢)

فكان هدف النبي موسى عليه السلام من ازالة عقدة اللسان أن يسبح الله كثيراً ويذكره كثيرة ويحمده سبحانه على نعمه واحسانه وفضله.

يقول المرحوم العلامة الطباطبائي في هذا المضمار:

«ظاهر السياق وقد ذكر في الغاية تسبيحهما معاً أن الجملة غاية لجعل هارون وزيراً له! لا تعلق لتسبيحهما معاً وذكرهما معاً بمضامين الأدعية السابقة، وهي شرح صدره وتيسير أمره وحل عقدة من لسانه ويترتب على ذلك أن المراد بالتسبيح والذكر تنزيهما معاً لله سبحانه وذكرهما له بين الناس علناً لا في حالة خلوتهما، أو في قلوبهما سرّاً، إذ لا تعلق لذلك أيضاً بجعله وزيراً، بل المراد أن يسبحاه ويذكراه معاً بين الناس في مجامعهم، نواديهم وأيّ مجلس حالاً فيه وحضراً، فتكثر الدعوة إلى الايمان بالله ورفض الشركاء.

٢. سورة طه (٢٠): ٣٣ - ٣٤.

١. سورة طه (٢٠): ٢٧ - ٢٨.

وبذلك يرجع ذيل السياق إلى صدره كأنه يقول: ان الأمر خطير وقد غرّ هذا الطاغية وملاه وأتمته عزهم وسلطانهم ونشب الشرك والوثنية بأعراقه في قلوبهم وأنساهم ذكر الله من أهله.

وقد امتلأت أعين بني إسرائيل بما يشاهدونه من عزّة فرعون وشوكته ملئه واندحشت قلوبهم من سطوة آل فرعون وارتاعت نفوسهم من سلطتهم، فنسوا الله ولا يذكرون إلا الطاغية؛ فهذا الأمر أمر الرسالة والدعوة في نجاحه ومضيه في حاجة شديدة إلى تنزيهك بنفي الشريك كثيراً وإلى ذكرك بالربوبية والألوهية بينهم كثيراً، ليتبصّروا فيؤمنوا، وهذا أمر لا أقوى عليه وحدي، فاجعل هارون وزيراً لي وأيدني به، وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً لعلّ السعي ينجح والدعوة تنفع». (١)

ومن هنا ندرك ان طلاقة اللسان والقدرة على البيان من نعم الله الكبرى التي أنعم بها على الانسان.

فالامام السجّاد عليه السلام في هذا المقطع من الدعاء يسأل الله عزّ وجلّ أن تنطلق الألسنة بذكر الله وتوصيف نعمه التي لا تحصى.

يقول الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام:

أَصْدَقُ الْمَقَالِ مَا نَطَقَ بِهِ لِسَانُ الْحَالِ. (٢)

ويقول حفيده السجّاد عليه السلام في رسالة الحقوق الخالدة:

١. تفسير الميزان: ١٤/ ١٤٨ ذيل الآيات ٢٧ - ٣٤ من سورة طه.

٢. غرر الحكم: ٣٣٠٢.

حَقُّ اللِّسَانِ إِكْرَامُهُ عَنِ الْخَنَاءِ وَ تَعْوِيدُهُ الْخَيْرَ، وَ تَرْكُ الْفُضُولِ الَّتِي لَافَائِدَةٌ
لَهَا، وَ الْبِرُّ بِالنَّاسِ وَ حُسْنُ الْقَوْلِ فِيهِمْ.^(١)

ويقول مؤسس البلاغة في دنيا العرب أمير البيان مولى المتقين
أمير المؤمنين (عليه السلام):

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ بِلساني ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ
الْأَلْحَاطِ وَ سَقَطَاتِ الْأَلْفَافِ، وَ شَهَوَاتِ الْجَنَانِ وَ هَفَوَاتِ اللِّسَانِ.^(٢)

يا من خزائن رزقه من جوده حبت المجوس وعابدي الأوثان
أعدى عداك شملته برعاية أفتقتل الأحباب بالحرمان

١. بحار الأنوار: ٢٨٦/٦٨؛ وسائل الشيعة: ١٧٢/١٥.

٢. نهج البلاغة: الخطبة ٧٧.

[﴿١٥﴾ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْنَا مِنْ دُعَايِكَ الدَّاعِيْنَ اِلَيْكَ وَهُدَايِكَ الدَّالِّيْنَ عَلَيْكَ وَمِنْ خَاصَّتِكَ الْخَاصِّينَ لَدَيْكَ يَا اَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ].

الدعوة إلى الحق

من خلال التأمل في الآيات والروايات يتبين بوضوح أن لا عمل أسمى وأعلى من الدعوة إلى الحق تبارك وتعالى .

الدعوة إلى الله عز وجل هي أساس وجوهر ومحور الرسالات الالهية وكل جهود الأنبياء وجهاد المرسلين إنما يكمن في هذا الطريق المشرق الساطع الذي يبدد الظلمات ويرفع راية العدالة والمساواة بين البشر .

أجل ان الدعوة إلى اقامة دولة الحق يعني نشر السلام واشاعة روح الوئام فيعيش البشر في محبة وإخاء وصفاء ، وعندها يعم الخير والخصب والنماء . وما أشرف هذا العمل العظيم عندما ينهض الانسان من أجل الدعوة إلى الحق واقامة دولة العدل !

ولقد ورد في الدعاء :

اَللّٰهُمَّ اِنَّا نَرْغِبُ اِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيْمَةٍ، تُعِزُّ بِهَا الْاِسْلَامَ وَاَهْلَهُ، وَتُذِلُّ بِهَا النِّفَاقَ

وَأَهْلُهُ، وَتَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى طَاعَتِكَ، وَالْقَادَةِ إِلَى سَبِيلِكَ، وَتَرْزُقُنَا بِهَا
كَرَامَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وجاء في كتاب «عيون أخبار الرضا عليه السلام»: في تعريف الاسلام والايمان:
عَنْ أَبِي الصَّلْتِ الْهَرَوِيِّ قَالَ سَأَلْتُ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ الْإِيمَانُ عَقْدُ
بِالْقَلْبِ وَلَفْظُ بِاللِّسَانِ وَعَمَلُ بِالْجَوَارِحِ لَا يَكُونُ الْإِيمَانُ إِلَّا هَكَذَا.
وحضرت أحد رجال الله الصالحين وكان يعيش اللحظات الأخيرة من عمره
المبارك الذي أمضاه في الدعوة إلى الله.
همس بصوت واهن وأنفاس متقطعة قائلاً:

-ليس في خزانة الوجود ومملكة الخلق جوهرة أغلى وأسمى وأجدى نفعاً من
دعوة البشر إلى الحق.

ان شيعة علي عليه السلام يرون في الدعوة إلى الله أهم واجباتهم لا تأخذهم في ذلك
لومة لائم ولا يخشون في أداء مسؤولياتهم التبليغية أحداً، قد وضعوا نصب أعينهم
قول الحق تبارك وتعالى:

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو صيّه علي أمير المؤمنين عليه السلام وكان قد بعثه إلى اليمن داعياً
أهل اليمن إلى الله عز وجل:

وَإِيمُ اللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ
وَعَزَبَتْ وَلَكَ وَلَاؤُهُ يَا عَلِيُّ. (١)

ولقد بذل الامام الحسين سيّد الشهداء ومعه أنصاره قصارى جهودهم وألقوا كلمات بليغة من أجل دعوة أعدائهم إلى الحق .

ولو تأمل الانسان في تلك الخطب والكلمات البليغة والمواظب العظيمة لشعر بالدهشة؛ ترى أي نوع من البشر كان اولئك الذين وقفوا ضدّ الحقّ والعدالة والكرامة الانسانية؟! انهم ولا شكّ قد انحدروا إلى آخر نقطة من الحضيض إلى ما أسوأ من الوحوش الكاسرة .

وفي نفس الوقت يشعر المرء بالدهشة والاجلال لتلك الثلة المؤمنة من أنصار الحسين سبط آخر الأنبياء في التاريخ، كيف وقفوا يتحدّون الظلم بكلّ امكاناته الضخمة وينصرون الحق ويساندون سبط النبي ﷺ الذي وقف وحيداً داعياً إلى الحق مطالباً بالعدالة متحدّياً سلطة الطغاة .

مجد خالد

هذا يزيد بن ثبيط القيسي أحد الرجال الأبطال الخالدين من أصدقاء ورفاق أبي الأسود الدؤلي وكان انساناً نبيلاً شريفاً تحترمه قبيلته وتنظر إليه باجلال .
لقد بلغ من المجد أن الامام المهدي ﷺ خصّه بالزيارة والتحية والسلام:

السَّلَامُ عَلَى يَزِيدِ بْنِ ثَبِيطِ الْقَيْسِيِّ (١)

يقول المؤرخ أبو جعفر الطبري في تاريخه: ان مارية السعدية امرأة شديدة التشيع في البصرة، وكانت دارها مركزاً للشيعة يجتمعون فيها ويتذكرون مناقب وفضائل أهل البيت ﷺ .

١. موسوعة شهادة المعصومين: ٢/ ٢٣٧.

وفي تلك الفترة كانت الامام الحسين عليه السلام قد غادر مكة متوجّهاً إلى مدينة الكوفة بعد أن وجّه أهل الكوفة رسائل عديدة تطالبه باقامة حكومة العدل. وفي دمشق أمر يزيد حاكم البصرة عبيد الله بن زياد التوجّه إلى الكوفة لمعالجة الأوضاع المتفجرة فيها ونصبه حاكماً عليها. أمر عبيد الله بن زياد بمحاصرة الطرق المؤدية إلى خارج البصرة واعتقال كلّ من يريد الالتحاق بالامام الحسين.

غير ان ذلك لم يثبط من ارادة يزيد بن ثبيط القيسي إذ يذكر أهل السير انه كان له بنون عشرة، فدعاهم إلى الخروج معه إلى نصرة الحسين عليه السلام فانتدب منهم اثنان: عبدالله وعبيد الله ونفر من الشيعة أيام سدّ الطريق، فأتوا إلى الأبطح من مكة.

ثم خرج إليه عليه السلام وقد بلغ الحسين عليه السلام مجيئه، فجعل يطلبه حتّى جاء إلى رحله. وسمع يزيد انه جاء عليه السلام إليه فرجع، فلمّا رآه في رحله قال:

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾^(١).

السلام عليك يا بن رسول الله!

فدعا الحسين عليه السلام له.

وقد رافق يزيد بن ثبيط الحسين عليه السلام ومعه ابنه إلى كربلاء حيث استشهد مع ولديه في الحملة الأولى^(٢).

١. سورة يونس (١٠): ٥٨.

٢. انظر تاريخ الطبري: ٣٥٤/٥؛ قاموس الرجال، الشيخ محمد تقي التستري: ٩٧/١١ - المترجم.

وقد وصف القرآن الكريم أنبياء الله ورسله بالهداة والدعاة إلى الله والمنذرين والمبشرين والمجاهدين في سبيل الله والمبلغين لرسالات الله .

ومن أجل ذلك يدعو الامام السجاد عليه السلام الله عز وجل ويتضرع قائلاً: «وَاجْعَلْنَا مِنْ دُعَايِكَ الدَّاعِينَ إِلَيْكَ، وَهُدَايِكَ الدَّالِّينَ عَلَيْكَ...»

ذلك ان الدعاء إلى الحق والهداة إلى الرب المحبوب تغمرهم بركات من الله ورضوان ويفوزوا بالقرب من الرحمن والسكنى في دار الجنان .

يَا مَنْ يُجِيبُ دُعَا الْمُضْطَرِّ فِي الظُّلُمِ	يَا كَاشِفَ الضُّرِّ وَالْبَلَوَى مَعَ السَّقَمِ
قَدْ نَامَ وَفُذِكَ حَوْلَ الْبَيْتِ قَاطِبَةً	وَأَنْتَ وَحْدَكَ يَا قَيُّومُ لَمْ تَنْمَ
أَدْعُوكَ رَبِّ دُعَاءٍ قَدْ أَمَرْتَ بِهِ	فَارْحَمْ بُكَائِي بِحَقِّ الْبَيْتِ وَالْحَرَمِ
إِنْ كَانَ عَفْوُكَ لَا يَرْجُوهُ ذُو سَرَفٍ	فَمَنْ يَجُودُ عَلَى الْعَاصِيْنَ بِالنِّعَمِ ^(١)

الحمد لله رب العالمين

تمت الترجمة في ١٢ شوال ١٤٣٦ هـ

٢٩ تموز ٢٠١٥

المُجْتَمِعَات

تتمّة الدعاء الرابع : في الصلاة على أتباع الأنبياء ﷺ

(١٠٨-٥)

- معاني الأسماء الحسنى ٧
- ١ - الله جلّ جلاله ٨
- ٢ و ٣ - الواحد الأحد ٩
- ٤ - الصمد ١٢
- ٥ و ٦ - الأوّل والآخر ١٣
- ٧ - السميع ١٣
- ٨ - البصير ١٥
- ٩ و ١٠ - القدير، القاهر ١٥
- ١١ و ١٢ - العلي الأعلى ١٦
- ١٣ - الباقي ١٧
- ١٤ - البديع ١٧
- ١٥ - البارئ ١٨
- ١٦ - الأكرم ١٨

١٧ و ١٨ - الظاهر والباطن	١٩
١٩ - الحيّ	٢٠
٢٠ - الحكيم	٢٠
٢١ - العليم	٢١
٢٢ - الحليم	٢٢
٢٢ - الحفيظ	٢٢
٢٤ - الحقّ	٢٣
٢٥ - الحسيب	٢٤
٢٦ - الحميد	٢٤
٢٧ - الحفي	٢٥
٢٨ - الربّ	٢٥
٢٩ و ٣٠ - الرحمن الرحيم	٢٦
٣١ - الذارئ	٢٧
٣٢ - الرزاق	٢٧
٣٣ - الرقيب	٢٨
٣٤ - الرؤوف	٢٩
٣٥ - الرائي	٢٩
٣٦ - السلام	٣٠
٣٧ - المؤمن	٣٠
٣٨ - المهيمن	٣١

٣٩- العزیز	٣٢
٤٠- الجبّار	٣٢
٤١- المتكبّر	٣٣
٤٢- السيّد	٣٣
٤٣- السبّوح	٣٤
٤٤- الشهيد	٣٤
٤٥- الصادق	٣٥
٤٦- الصانع	٣٥
٤٧- الطاهر	٣٦
٤٨- العدل	٣٧
٤٩- العفوّ	٣٧
٥٠- الغفور	٣٨
٥١- الغنيّ	٣٨
٥٢- الغياث	٣٨
٥٣- الفاطر	٣٩
٥٤- الفرد	٣٩
٥٥- الفتّاح	٣٩
٥٦- الفالق	٤٠
٥٧- القديم	٤٠
٥٨- الملك	٤١

٥٩- القدّوس	٤١
٦٠- القوي	٤٢
٦١- القريب	٤٢
٦٢- القيّوم	٤٣
٦٣- القابض	٤٣
٦٤- الباسط	٤٤
٦٥- قاضي الحاجات	٤٤
٦٦- المجيد	٤٥
٦٧- المولى	٤٥
٦٨- المتّان	٤٦
٦٩- المحيط	٤٦
٧٠- المبين	٤٧
٧١- المقيت	٤٧
٧٢- المصوّر	٤٧
٧٣- الكريم	٤٨
٧٤- الكبير	٤٩
٧٥- الكافي	٤٩
٧٦- الكاشف	٤٩
٧٧- الوتر	٥٠
٧٨- النور	٥٠

- ٧٩- الوهّاب ٥٠
- ٨٠- الناصر ٥٠
- ٨١- الواسع ٥٢
- ٨٢- الودود ٥٣
- ٨٣- الهادي ٥٣
- ٨٤- الوفي ٥٤
- ٨٥- الوكيل ٥٥
- ٨٦- الوارث ٥٥
- ٨٧- البرّ ٥٦
- ٨٨- الباعث ٥٦
- ٨٩- التّوّاب ٥٧
- ٩٠- الجليل ٥٧
- ٩١- الجواد ٥٧
- ٩٢- الخبير ٥٨
- ٩٣- الخالق ٥٨
- ٩٤- خير الناصرين ٥٨
- ٩٥- الدّيّان ٥٩
- ٩٦- الشكور ٥٩
- ٩٧- العظيم ٦٠
- ٩٨- اللطيف ٦١

٩٩ - الشافي	٦١
معرفة الأسماء الحسنی لله	٦١
الخشية من عظمة الخالق تعالى	٦٣
الزهد في الدنيا	٦٤
الدنيا رحلة قصيرة جداً	٦٥
الاستعداد لعالم الآخرة	٦٨
الاستعداد للموت في الروايات	٦٨
خصائص الصحابة والتابعين الحقيقيين	٧١
ذروة الايمان	٧٣
الايمان الحقيقي في كلام العارف علي شاه	٧٨
الشريعة والطريقة	٧٩
أنواع الخلائق	٨٠
الحواس الخمس في الشريعة	٨١
الايمان الكامل في الروايات	٨٤
معرفة الامامة والولاية	٨٥
أصحاب الأخلاق الحسنة	٨٦
الراحة عند الموت	٨٨
الموت التدريجي	٩١
وإليه المصير	٩٣
حالات الموت	٩٥

- الموت في كلام الإمام السجّاد عليه السلام ٩٦
- الموت في كلام الإمام موسى الكاظم عليه السلام ٩٦
- الموت في كلام الإمام الحسين عليه السلام ٩٧
- النجاح في الامتحانات الصعبة ٩٨
- خصائص الامتحان الالهي ١٠٢
- الامتحان في الروايات ١٠٣
- النجاة من الجحيم ١٠٥

الدعاء الخامس : دعاؤه لنفسه وخاصّته

(١٠٩ - ٣٠٥)

- عجائب عظمة الحق تعالى ١١٣
- عظمة الحقّ تبارك وتعالى في القرآن المجيد ١١٤
- سبع سماوات وأرضون سبع ١١٥
- محددوديّة العلم البشري ١١٥
- كواكب تشبه الأرض ١١٦
- عظمة الرب في نهج البلاغة ١١٨
- عظمة الحق في الأحاديث الشريفة ١٢٣
- عظمة الخالق في كلام الامام جعفر الصادق عليه السلام ١٢٣
- عظمته جلّ وعلا في كلام الامام الرضا عليه السلام ١٢٤
- عظمة الخلق المبين في كلام أمير المؤمنين عليه السلام ١٢٥

عظمة الحقّ المتّان في مناجاة موسى بن عمران عليه السلام.....	١٢٦
عجائب السماوات والأرضين	١٢٦
عظمة الحقّ جلّ وعلا في كلام العلماء.....	١٢٨
نبوتن والجاذبيّة العامّة	١٣٠
قضايا الكون.....	١٣٠
ضوء الشمس	١٣١
الأرض.....	١٣٢
عالم الذرّة المدهش	١٣٣
نظام الخلق في القرآن الكريم	١٣٤
هذه الحياة المدهشة	١٣٥
توسّع الكون	١٣٦
خلق السموات والأرض في القرآن الكريم	١٣٦
النباتات عالم مدهش	١٤١
عجائب النباتات في القرآن الكريم.....	١٤٣
نعم الله الكبرى	١٤٣
أسرار النبات.....	١٤٤
عجائب عالم الحيوان.....	١٤٦
عالم النمل	١٤٧
عالم الجراد.....	١٤٩
عالم السمك والحياة البحريّة.....	١٥٠

الأعماق الرهيبة	١٥١
السماك الكهربائي	١٥٤
وللسمكة عمر مسجل في قشورها	١٥٤
الحيتان	١٥٥
ألغاز في حياة الحيوان	١٥٦
الأيل لا يشرب الماء رغم الظمأ	١٥٧
عالم الذباب	١٦٢
عالم العناكب	١٦٥
كيف تعرف العنكبوت أن حشرة دخلت بيته؟	١٦٦
عناكب تعيش تحت الماء	١٦٦
عالم الطيور	١٧٠
خلق الانسان من طين	١٧٣
الجلد	١٧٤
البصمة	١٧٦
آيات الأعماق	١٧٧
عجائب الأعماق	١٨٠
مقامات الانسان في العبادة	١٨٠
جهاد النفس في الهرم	١٨٤
الأمانة الالهية	١٨٥
الأمانة في القرآن الكريم	١٨٦

المعنى العام للأمانة.....	١٨٧
الانحراف في العقيدة.....	١٨٩
الاحاد بآيات الله.....	١٩١
انحراف الشهابيين.....	١٩١
قدرة مطلقة وملك بلا حدود.....	١٩٥
صفات الله عز وجل.....	١٩٦
معنى القدرة.....	١٩٧
الدلائل على قدرة الله المطلقة.....	١٩٩
١- الدليل العلمي.....	١٩٩
٢- برهان الوجوب والامكان.....	١٩٩
٣- البرهان الفلسفي.....	٢٠٠
المشيئة.....	٢٠٠
الحكومة الالهية لدى العلامة الطباطبائي.....	٢٠٢
قدرة الحق تعالى في كلام أمير المؤمنين ٧.....	٢٠٤
الخلاص من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.....	٢٠٧
نصيحة مشفق.....	٢٠٨
احتواء الشهوات بقدرة الايمان.....	٢٠٩
التقوى في نهج البلاغة.....	٢١٠
الطريق لتحقيق السعادة.....	٢١١
اللجوء إلى الله من أجل الخلاص.....	٢١٥

- ٢١٦..... خشية الله ضمان على الأمان يوم الخوف الأكبر.
- ٢١٧..... الأمان من العذاب في نهج البلاغة.
- ٢١٩..... يوم تشهد جوارح الانسان!
- ٢١٩..... الخلاص يوم القيامة في الروايات.
- ٢٢٢..... كلام العلامة المجلسي حول حديث التفكر.
- ٢٢٣..... مكارم الأخلاق في كلام الإمام الصادق (عليه السلام).
- ٢٢٤..... أسماء النعمة.
- ٢٢٤..... الذنوب التي تغير النعمة.
- ٢٢٥..... الذنوب التي تورث الندم.
- ٢٢٥..... الذنوب التي تزيل النعم.
- ٢٢٥..... الذنوب التي تحول دون هبات الرحمن.
- ٢٢٥..... الذنوب التي تهتك العصم.
- ٢٢٦..... الذنوب التي تنزل البلاء.
- ٢٢٦..... الذنوب التي تؤدي إلى تسلط الأعداء.
- ٢٢٦..... الذنوب التي تعجل في حلول الفناء.
- ٢٢٦..... الذنوب التي تبعث على اليأس.
- ٢٢٦..... الذنوب التي تنشر الظلام في الأجواء.
- ٢٢٧..... الذنوب التي تؤدي إلى زوال الحرمة بين الحق تعالى وعبيده.
- ٢٢٧..... الذنوب التي تحول دون رفع الدعاء.
- ٢٢٧..... الذنوب التي تحول دون نزول مطر السماء.

٢٣٠	١ - الرحمة الالهية المطلقة
٢٣١	رحمة الله في القرآن الكريم
٢٣١	الرحمة الالهية والخلاص
٢٣١	رحمة الله في مقابل النفس الأمارة
٢٣٢	الرحمة الالهية يوم القيامة
٢٣٢	الرحمة الالهية الضمان من السقوط في السيئات
٢٣٢	الرحمة الالهية الضمان من الخسران
٢٣٣	رحمة الله في أداء الواجبات
٢٣٣	رحمة الله في اتباع القرآن الكريم
٢٣٤	الرحمة الالهية في الاصغاء للقرآن الكريم
٢٣٤	الرحمة الالهية والاصلاح بين الاخوة
٢٣٤	الرحمة الالهية في الصبر
٢٣٥	الرحمة الالهية في الأخلاق الحسنة
٢٣٥	خلاصة القول
٢٣٦	رحمة الله في الروايات
٢٣٦	إبليس يطمع في رحمة الله
٢٣٦	تتحوّل السيئات إلى الحسنات
٢٣٦	حسن الظن بالله
٢٣٧	تفسير الآية
٢٣٨	رحمة الله في الانفاق

- ٢- مسألة القرب الالهي ٢٣٩
- مقام القرب في القرآن الكريم ٢٣٩
- تفسير الآية ٣٢ من سورة فاطر ٢٣٩
- مقام القرب في الروايات ٢٤١
- وصايا لقمان الحكيم لابنه ٢٤٣
- ٣- كرامة الانسان العالية ٢٤٥
- الكرامة في القرآن الكريم ٢٤٦
- كرامة سيّد الشهداء عليه السلام ٢٤٧
- سورة المعارج معراج الكرامة ٢٤٩
- كرامة الانسان ٢٥١
- الطريق إلى نيل الكرامة ٢٥٦
- ٤- افتضاح المجرمين ٢٦٢
- الحاجة إلى الله ٢٦٣
- الله ملاذ الانسان ٢٦٥
- البنية التحتية للسعادة ٢٦٥
- السعادة والوعي ٢٦٦
- أهميّة معرفة النفس ٢٦٦
- نسيان الذات ٢٦٩
- قيمة العمر ٢٧٠
- الأمان من حوادث الزمان وحبائل الشيطان وظلم السلطان ٢٧٤

٢٧٦	شباك الشيطان
٢٧٨	شرور الحاكم الظالم
٢٨٠	القناعة ذلك الرزق العظيم
٢٨٢	الحياة الطيبة
٢٨٤	الفضل والجود الالهيين
٢٨٥	الجواد عند الامام الرضا عليه السلام
٢٨٥	الجود عند الامام الصادق عليه السلام
٢٨٦	المهتدون بنور وجه الله
٢٨٧	تفسير الآية لدى الطباطبائي رحمته الله
٢٨٨	الهداية والارادة الالهية
٢٩٠	نور لا يعرف الانطفاء
٢٩٢	سلامة القلب
٢٩٤	السلامة البدنية في شكر المنعم
٢٩٨	حركة اللسان في بيان عطايا الرحمن
٣٠١	الدعوة إلى الحق
٣٠٣	مجد خالد
٣٠٦	المحتويات